



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة القديس - كلية التربية

قسم التربية الإسلامية

نموذج رقم (٨)*

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الكلية: التربية

الاسم: جميلة بنت عبد الله حسن سقا

الغرض: الأصول الإسلامية للتربية

القسم: التربية الإسلامية

الأطروحة، مقدمة، دليل حرجية: المكتوراه

عنوان الأطروحة

الحمد للإسلامي علم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين: وبعد
فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه، والتي تمت مناقشتها بتاريخ
١٤٢٢/٢/٢٢ هـ بقبول الأطروحة. فإن اللجنة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب
تكميلي للدرجة العلمية المذكورة أعلاه مع التوصية بطباعتها على نفقة الجامعة لهما

والله الموفق

أعضاء اللجنة

مناقش من خارج الجامعة

مناقش من القسم

المشرف

أ.د. محمد بن عبد الرحمن النوحري

أ.د. آمال بنت حمزة المرزوقي أبو حسين

أ.د. محمود بن محمد عبد الله كساوي

رئيس قسم التربية الإسلامية

د. نايف بن همام الشريف



٢٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٩٢٤



٣٩٢٤

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية - مكة المكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

التأصيل الإسلامي لعلم النفس

في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

إعداد الطالبة

جميلة بنت عبد الله حسن سقا

إشرافه

الأستاذ الدكتور

محمود بن محمد كسناوي

بعضه مكمل لنيل درجة الدكتوراه في

الأصول الإسلامية للتربية

الفصل الثاني

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

١٠٧٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

" بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "

قال تعالى :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْتَهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا

﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

(سورة الشمس . آية ٧ - ١٠)

قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

((أي الناس أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب ، صدوق اللسان

قالوا : صدوق اللسان فنعرفه . فما مخموم القلب ؟ قال : هو

التقي النقي . لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد .))

(ابن ماجة . ح . ٤٤٤٠ ، كتاب الزهد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٩)

إهداء

إلى...

من أمرني ربي أن أحسن إليهما ، ولا أقول لهما أف ولا أنهرهما وأن أقول لهما قولاً كريماً . فإليهما اهدي ، وأقول : رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ، وكما سهر الليالي داعين لي بالتوفيق والسداد .

إلى ...

زوجي ، الذي ساندني ودعمني في مراحل دراستي العليا ، أهدي جهدي الذي استمديته من تشجيعه المستمر .

إلى ...

ابنائي ، اغلني ما املك في الحياة : عماد ، دينا ، دعاء ، رامي ، لمي .

إلى ...

اخوتي وأخواتي اللذين استمدت من آمالهم في شخصي قوة املتي في دراستي .

إلى ...

من أمرني أيضاً خالقي بوصولهم من ذوي القربى ... إلى عمتي الحبيبة القريبة .

إلى ...

كل باحث وباحثة لديهما حب المعرفة .

شكر وتقدير

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه الظاهرة والباطنة ، أحمده وأشكره جل وعلا على ما تفضل به ومن عليّ من إتمام لهذا العمل ، فله الحمد أولاً وآخراً ، وله الشكر مراراً وتكراراً .
ثم أتني بشكري وتقديري وعظيم امتناني على أستاذي الفاضل والمشرف على هذه الدراسة سعادة الأستاذ الدكتور محمود بن محمد كسناوي ؛ عرفاناً ووفاءً لدوره الكبير في حُسن توجيهي وتعليمي ، كما أشكره على رحابة صدره وأسلوبه المتميز في متابعة رسالتي ، فله مني صادق الدعاء بأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناته .

كما أوجه شكري وتقديري للأساتذة الذين ناقشوا خطة الدراسة الأمر الذي ساعد الباحثة على بلورة هذا العمل ، وهم كل من سعادة الدكتور محمد بن جميل خياط ، وسعادة الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله الشميري ، وسعادة الدكتور حامد بن سالم الحربي .

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري لرئيس قسم علم النفس الأسبق سعادة الدكتور محمد أنس قاضي مخدوم لما قدمه من دعم ومشورة . ويسعدني توجيه شكري أيضاً لمدير عام تعليم البنات بمكة المكرمة سعادة الدكتور عبد العزيز بن علي العقلا لما قدم من مشورة ؛ وما قام به من تذليل للصعوبات التي واجهت الباحثة .

وجزيل شكري وتقديري أقدمه لسعادة الدكتورة احلام بنت حسن عبد الله ؛ على ما قدمته من توجيه وتشجيع فجزاها الله خير الجزاء .

كما أسجل شكري الكبير وإمتناني العظيم لمن اعطتني من وقتها وجهدها ، ودعمتني بتشجيعها المستمر قولاً وعملاً ، فمهما قدمت لها من شكر فهو قليل في الوفاء بحقها ؛ إنها سعادة الأخت والزميلة الدكتورة شاهيناز بنت إسماعيل عبد الهادي .

وخالص شكري وامتناني اقدمه لسعادة الأخت الدكتورة هيفاء بنت عثمان فدا ، نائبة عميدة الدراسات الجامعية للطالبات ؛ لما بذلته معي من جهد صادق في التوجيه والتصويب ، منذ أن كانت هذه الدراسة وليدة في مهدها ، أنار الله لها طريقها .

كما اسجل أيضاً كلمات شكر و عرفان والتي مهما سمت تعجز عن إيلاءه حقه ، لما اعطاني من وقته الثمين ، وتوجيهه البناء ، وإضافاته المثمرة النيرة ، فلساني وقلمي لا يفيان حقه من الشكر سعادة الدكتور محمد بن أحمد المنشي ، فجزاه الله عني خير الجزاء لما قدم ووجه ، والله أسأل له المزيد من التقدم والعطاء .

وانتقم بالشكر الجزيل لكل من الأستاذ غالب بن ثابت عبد الله ؛ من مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض ، والأستاذ منصور الحمدان من مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض .

كما اسجل شكري وتقديري لكل من سعادة الدكتور سعد بن سعيد الزهراني وكيل كلية العلوم الاجتماعية ؛ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وسعادة الدكتور محمد بن عبد المحسن التويجري رئيس قسم علم النفس بنفس الجامعة ، وسعادة الأخت الزميلة الدكتورة مريم بنت عبد الله الصبان لما قدموه لي من توجيهات وآراء سديدة في تصويب خطة الدراسة الحالية. كما لا يفوتني أن أشكر أختي الكريمة ابتسام بنت غازي مغربي على جهدها الذي بذلته معي في إخراج هذه الدراسة للنور ، لذا أسأل الله لها العافية والصحة .

وفائق شكري وتقديري اقدمه لصديقتي كلاً من سعادة الدكتورة فائقة بنت عباس سنبل، وسعادة الأستاذة سهيلة بنت صالح بكر ؛ وكيلة قسم علم النفس على مساندهما ودعمهما لي ، أمنياتي لهما مزيداً من التقدم والنماء . وخالص شكري وتقديري أقدمه للأخت الأستاذة شفاء

بنت عبد الله بالخوير ، المحاضرة بكلية التربية للبنات ، لما قدمته من جهد مشكور .

كما تقدم الباحثة جزيل شكرها وتقديرها للمؤسسات العلمية وهي :

— مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض .

— مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض .

— مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالرياض .

— مكتب التربية العربي لدول الخليج العربي بالرياض .

— المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، فرعي القاهرة وماليزيا .

— مركز الدراسات المعرفية ، القاهرة .

— مركز البحوث والدراسات التابع للمركز الإسلامي للدعوة والإفتاء ، قطر .

— مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت .

وأخيراً أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى عضوي لجنة مناقشة الرسالة سعادة الأستاذة

الدكتورة آمال بنت حمزة المرزوقي أبو حسين ، وسعادة الأستاذ المشارك الدكتور محمد بن عبد

المحسن التويجري ، أثابهما الله وجزاهما عني خير الجزاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى

آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة : التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة (١٤٢٢هـ) .

إعداد : جميلة بنت عبد الله حسن سقا

إشراف : الدكتور محمود محمد عبد الله كسناوي

أهداف الدراسة : في محاولة للتأصيل الإسلامي لعلم النفس من خلال معالمه الرئيسية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . قامت الباحثة بصياغة الأهداف التالية : توضيح مفهوم التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، ومبرراته ، وواقع الاتجاهات التي تدور حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، أيضاً وضع خطوات منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس .

أسئلة الدراسة : ومن أجل تحقيق هذه الأهداف وضعت الدراسة التساؤلات التالية :

١ - ما واقع التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، وما مبرراته في ضوء الاتجاهات المعاصرة التي تدور حوله ؟

٢ - ما خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ؟

٣ - ما طبيعة وخصائص النفس الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؟

٤ - ما المعالم الرئيسية لعلم النفس في صيغته المؤصلة إسلامياً ؟

نتائج الدراسة : وبناء على ما تمت دراسته تم التوصل إلى عدة النتائج كان من أهمها ما يلي :

١ - أن علم النفس عند الغرب يركز على الماديات عند دراسته للنفس الإنسانية ، مع إهمال الروحانيات ، بينما جاء الإسلام بتأكيد خصائص الطبيعة الإنسانية الثلاثة في الدراسات النفسية وهي (النفس ، والجسم ، والروح) متكاملة ،

٢- تزامنت الدعوة لعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس مع الصحوة الإسلامية التي قامت في دول العالم الإسلامي .

٣ - إن المعيار الإسلامي لتأصيل العلوم موجود لكن العالم الإسلامي يفتقد إلى تطبيقاً إجرائياً في مجال التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، في ضوء ثلاثة معايير هي : أسس ومبادئ الإسلام ؛ وحدة مجال المعرفة المرتبط بالوحي والعقل ؛ وكذلك في ضوء مصدري التشريع الأساسيين (القرآن والسنة) .

٤ - إن خير منهج يستخدم في التأصيل الإسلامي لعلم النفس هو المنهج الإسلامي ، الذي يتسم بسمات ثمانية هي : الشمولية ، والتكاملية ، والمعارية ، والخيرية ، والوسطية ، والاستمرارية ، المساواة ، وأخيراً سمة العالمية .

التوصيات وآليات العمل : أوصت الدراسة بعدد من التوصيات كان من أهمها ما يلي :

١ - الأخذ في الاعتبار بنتائج الدراسة الحالية واعتبارها منطلقاً للدراسات المستقبلية للتأصيل الإسلامي لعلم النفس .

٢ - أن تقوم الدعوة التأصيلية على دراسة نقدية بناءة متحررة من كل تبعية واتجاه ، وعدم الاكتفاء بالنقد فقط .

٣ - ضرورة إجراء دراسات متعمقة لخصائص الطبيعة الإنسانية الثلاثة (النفس ، الجسم ، الروح) نحو فهم أعمق لما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان المسلم ويستطيع معه غير المسلم من التفكير الذي يقوده نحو أن يكون مسلماً لينعم بما ينعم به المسلم في الدنيا والآخرة . وبهذا يتحقق إكمال مكونات طبيعة النفس الإنسانية التي هي مبدأ خاص بالفكر الإسلامي .

٤ - لا بد من تعميق مفهوم طبيعة النفس الإنسانية في ضوء توجيهات الإسلام ، حيث أن تأصيل المفهوم الإسلامي لعلم النفس وفق خطوات منهجية هو عبادة في حد ذاته .

٥ - إن وظائف النفس والجسم لا يمكن أن تمارس إلا بوجود المكون الثالث للطبيعة الإنسانية وهو (الروح) .

٦ - أن يأخذ الباحثون المؤصلون لعلم النفس في الاعتبار مصادر التشريع الإسلامي جميعها لكشف كنوزها عند دراسة طبيعته النفسية الإنسانية ، مع التركيز على الدوافع والانفعالات الإنسانية باعتبارها أساس بنائي لسلوك الإنسان .

٧ - لتحقيق توصيات الدراسة تم إقتراح آليات عمل لهذه التوصيات موجهة إلى المؤسسات والهيئات العلمية والبحثية في المملكة العربية السعودية وفي دول العالم الإسلامي ، وغيرها .

عميد كلية التربية

المشرف

الطالبة

أ . د . محمود محمد عبد الله كسناوي

أ . د . محمود محمد عبد الله كسناوي

جميلة عبد الله حسن سقا

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوعات
أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
هـ	ملخص الدراسة
و	فهرس المحتويات
م	فهرس الأشكال
الفصل الأول : المدخل للدراسة والتمهيد	
٢	مقدمة
١١	مشكلة الدراسة
١٤	أهمية الدراسة
١٦	أسئلة الدراسة
١٧	منهج الدراسة
١٩	حدود الدراسة
١٩	مصطلحات الدراسة
٢٥	الدراسات السابقة
٢٥	دراسات الإطار الأول
٣٨	دراسات الإطار الثاني
٤٥	الدراسات السابقة ومدى علاقتها بالدراسة الحالية
الفصل الثاني : اتجاهات وخطوات منهج	
التأصيل الإسلامي لعلم النفس	
٥١	مقدمة
٥٣	أولاً : الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس

الصفحة	الموضوعات
٥٣	الاتجاه الأول : الاتجاه الراض لعملية التأصيل
٥٦	الاتجاه الثاني : الاتجاه التوفيقي
٥٧	الاتجاه الثالث : اتجاه الوسط الصحيح
٦٠	ثانياً : خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
٦٠	الخطوة الأولى : تحديد مسلمات الإسلام الأساسية في دراسة النفس الإنسانية
٨٠	الخطوة الثانية : دراسة خصائص النفس الإنسانية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
٨٩	الخطوة الثالثة : وحدة مجال المعرفة
٩٠	الخطوة الرابعة : مصدري المعلومات اليقينية القرآن الكريم والسنة النبوية
٩٣	الخطوة الخامسة : معرفة إسهامات العلماء المسلمين في إثراء الدراسات النفسية
٩٤	الخطوة السادسة : تحديد أسس ومبادئ علم النفس الغربي
٩٨	سمات يجب أن تتوفر في القائمين على عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس
١٠٤	تلخيص
الفصل الثالث : طبيعة وخصائص النفس	
الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن الكريم	
والسنة النبوية المطهرة	
١٠٧	مقدمة
١٠٩	أولاً : النفس
١١١	مدلولات لفظ النفس في القرآن الكريم

١١٣ أحوال ومراتب النفوس
١١٣ ١ - النفس المطمئنة
١١٤ ٢ - النفس اللوامة
١١٥ ٣ - النفس الأمارة بالسوء
١١٦ ثانياً : الجسم
١١٧ تكوينات جسم الإنسان التي تهتم بها الدراسات النفسية
١١٨ المكون الأول : الأعضاء الحسية
١١٩ ١ - حاسة السمع
١٢٤ ٢ - حاسة البصر
١٢٩ ٣ - حاسة اللمس
١٣٢ ٤ - حاسة الشم
١٣٢ ٥ - حاسة التذوق
١٣٦ المكون الثاني : الجهاز العصبي
١٣٦ أقسام الجهاز العصبي
١٣٦ ١ - الجهاز العصبي المركزي - الإرادي -
١٣٧ أ - المخ
١٣٩ ب - النخاع الشوكي
١٤١ ٢ - الجهاز العصبي المحيطي - الطرفي -
١٤٥ العقل وأداته المخ كما أشار إليه القرآن الكريم والسنة النبوية
١٤٦ علاقة العقل بالمخ
١٤٧ أقسام العقل
١٤٨ وظائف العقل في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية

١٤٩	وسائل تربية العقل والمحافظة عليها وفق توجيهات
	القرآن الكريم والسنة النبوية
١٥٩	المكون الثالث : الجهاز الغدي
١٦٠	أقسام الغدد
١٦١	الغدد الصماء ووظائفها
١٦٢	١ - الغدة النخامية
١٦٣	٢ - الغدة الدرقية وجاراتها
١٦٤	٣ - الغدة الكظرية
١٦٥	٤ - غدة البنكرياس
١٦٦	٥ - الغدة الجنسية
١٦٧	المكون الرابع : الجهاز الدوري
١٦٨	القلب
١٧٠	مرادفات القلب في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
١٧١	وظائف القلب
١٧٦	أحوال القلوب
١٧٨	توجيه وإيقاظ القرآن الكريم والسنة النبوية للقلب
١٨٣	ثالثاً : الروح
١٨٤	معاني الروح كما ورد نكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية
١٨٦	تلخيص

الفصل الرابع : أطوار خلق الإنسان في خوء

توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

١٨٩	مقدمة
١٩٠	أطوار خلق الإنسان
١٩٢	الطور الأول : أصل الخلق

١٩٢ أ - خلق آدم عليه السلام
١٩٥ ب - خلق حواء
١٩٦ ج - خلق نرية آدم عليه السلام
١٩٧ الطور الثاني : المرحلة الجنينية
١٩٨ ١ - مرحلة الصلب والترائب
٢٠٠ ٢ - مرحلة النطفة
٢٠٩ ٣ - مرحلة العلقة
٢١١ ٤ - مرحلة المضغة
٢١٦ ٥ - مرحلة الخلق الآخر
٢١٩ تلخيص

الفصل الخامس : الدوافع في ضوء توجيهات

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

٢٢٢ مقدمة
٢٢٣ تعريف الدوافع
٢٢٤ الحاجة
٢٢٤ الحافز
٢٢٤ الباعث
٢٢٥ سمات الدوافع
٢٢٨ أقسام الدوافع
٢٣٠ دراسة لبعض أنواع الدوافع الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
٢٣٠ أولاً : دافع الجوع
٢٣٨ ثانياً : دافع العطش
٢٤١ ثالثاً : دافع التنفس

٢٤٤ رابعاً : دافع النوم
٢٥٠ خامساً : دافع الجنس
٢٦٠ سادساً : دافع الوالدية
٢٦٤ سابعاً : دافع التملك
٢٧٠ ثامناً : دافع العدوان والمقاولة
٢٧٣ تاسعاً : دافع حماية النفس
٢٧٧ تلخيص

الفصل السادس : الانفعالات في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

٢٧٩ مقدمة
٢٧٩ تعريف الانفعال
٢٨٠ أسباب الانفعال
٢٨١ أثر الانفعال على السلوك الإنساني
٢٨٢ التأثيرات الإيجابية للانفعالات
٢٨٤ التأثيرات السلبية للانفعالات
٢٨٩ دراسة لبعض الانفعالات في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة
٢٨٩ أولاً : انفعال الغيرة
٢٩٢ ثانياً : انفعال الغضب
٢٩٧ ثالثاً : انفعال الحسد
٣٠٤ رابعاً : انفعال الخوف
٣١٨ خامساً : انفعال الحب
٣٢٧ سادساً : انفعال الحزن
٣٣٤ سابعاً : انفعال الفرح والسرور

٣٣٨ تلخيص
	الفصل السابع : ملخص ونتائج الدراسة والتوصيات وآليات العمل
٣٤٣ ملخص ونتائج الدراسة
٣٦١ التوصيات وآليات العمل
٣٦٧ فهرس المصادر والمراجع

فهرس الأشكال والصور

الصفحة	رقمه	الشكل
٢٣	١	الدراسات السابقة للإطار الأول
٢٤	٢	الدراسات السابقة للإطار الثاني
٥٢	٣	الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس
٥٩	٤	خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس
١٠٨	٥	الجوانب الثلاث المسئولة عن حدوث السلوك الإنساني في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية
١١٩	٦	أجزاء الأنز
١٢٥	٨ + ٧	أقسام العين
١٢٩	٩	طبقات الجلد
١٣٠	١٠	أماكن حساسية الجسم
١٣٣	١١	أماكن انتشار براعم التنوق على اللسان
١٣٧	١٢	الأغشية الواقية للمخ
١٣٨	١٣	تركيب المخ
١٤٠	١٤	النخاع الشوكي
١٤٣	١٥	وظائف أقسام المخ
١٦٨	١٦	أقسام القلب
٢٠٦	١٧	مراحل انقسام البويضة المخصبة
٢٠٩	١٨	كيفية إنغراز العلقة في جدار الرحم
٢١٢	١٩	مرحلة المضغة
٢١٢	٢٠	ظهور الأعضاء والتراكيب
٢١٣	٢١	مرحلة تكوين الفم والأنف والعين والأنز

الصفحة	رقمه	الشكل
٢١٤	٢٢	تكوين العظام والأطراف
٢١٨	٢٣	أطوار المرحلة الجنينية
٢٢٧	٢٤	أقسام الدوافع وأسس تقسيمها
٢٤٢	٢٥	دورة عملية التنفس
٢٤٣	٢٦	الرئتين واتصالهما بالقصبة الهوائية
٢٨٣	٢٧	تأثير الجوانب السلبية للانفعال على الإنسان

الفصل الأول

المدخل للدراسة والتمهيد

- المقدمة

- مقدمة الدراسة

- أهمية الدراسة

- أهداف الدراسة

- تساؤلات الدراسة

- منهج الدراسة

- حدود الدراسة

- مصطلحات الدراسة

- الدراسات السابقة

- ملخص الدراسات السابقة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمدٍ عبده ورسوله ، إمام أنبيائه ،
وسيد مرسله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .
إن موضوع التأصيل الإسلامي للعلوم عامة والعلوم الإنسانية خاصة ، ومنها علم
النفس، يعد من الموضوعات المهمة والأساسية في عصرنا الحاضر ؛ بل ومن مستجدات العصر
الذي نعيش فيه ؛ ويعود ذلك للتحديات العقديّة ، والفكرية ، والعلمية ، والاجتماعية ... التي
تواجهها الأمة الإسلامية .

والمسلمون وهم يعتقدون رسالة من أعظم الرسالات ، رسالة ذات أسس ومبادئ لها
سماتها الخاصة التي تسعى لتوجيه حياة الإنسان عقيدة وعبادة ، منهجاً وطريق حياة ، علماً و
تعلماً ، أدباً وتربية ... يتوجب عليهم التمسك بعملية التأصيل والدعوة لها والقيام بها في كل
ميادين المعرفة ، خاصة تلك التي تدرس في المدارس والمعاهد والجامعات .

لذا فإن على الأمة الإسلامية إعادة صياغة العلوم الإنسانية والاجتماعية وفق منظور
إسلامي من حيث الأهداف ، والمحتوى ، والطريقة ، والأدوات ، مستتيرين بنصوص وحي رب
السماوات والأرضين ، المعصومة من الخطأ والزلل ، وهدى معلم المسلمين والإنسانية الأول
محمد بن عبد الله ، عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات .

ذلك أن هدى الله عز وجل الحق ، العدل ، الواحد ، الأحد ، الذي خلق النفس وألهمها
فجورها وتقواها ، وجعل الفلاح لمن زكاها ، والخيبة لمن دساها. والذي وضع حداً للفلاح جعل

له الأولوية ، وميز به الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل والذي بدوره لا يكتمل فهم النص الإلهي ، هو سبحانه وتعالى الذي جعل العقول مراتب وكذا النفوس ، وفضل بعضها على بعض بدرجة إعمال العقل بأمانة ومسؤولية .

ووفق منهجية الاستتارة بنصوص الوحي ، وإعمال العقل فيها ، وهدى معلم البشرية الأول ؛ تسعى الآن عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس والقائمين على تحقيقها ونشرها ؛ إلى إعادة تشكيل الشخصية المسلمة المعاصرة ، الشخصية المعيار التي تنفرد بسماتها ، تفردا ينبع من معالم أصول تربيتها الإسلامية .

هذا التأصيل الإسلامي لا يعني تجاهل ما ثبت ويثبت صدقه من حقائق ونظريات علمية معاصرة غربية كانت أم غيرها ، بل تأصيل يعني الانتقاء الواعي من خير ما في هذه العلوم انتقاء غير مشوه ، أو مقلد ، بل انتقاء يقوم على أسس ومبادئ ثابتة تجعل من الرفض بعد الانتقاء تميزا ، وعصمة من الوقوع في الزلل ، كما يجعل الانتقاء تمكين وتمكن ، في استخدام طرق وأدوات علم النفس المعاصر. وفي ضوء هذا الانتقاء توضع مناهج ، وأدوات ، ووسائل ، وأسس تربية الإنسان الصالح .

وهو ما حاولت هذه الدراسة أن تقدمه في موضوعها التأصيل الإسلامي لعلم النفس في بعض من معالمه الرئيسية ، محتكمة ومستتيرة بشواهد من القرآن الكريم كتاب الله عز وجل ، والسنة النبوية المشرفة ، بتوفيق من الله تعالى ، والذي يعتبر من العلوم الإنسانية التي قامت ولا زالت تسعى إلى دراسة السلوك الإنساني ؛ فهما ، وتفسيرا ، وتوجيها .

وبما أن علم النفس علم حديث بمصطلحاته الجديدة ، ومناهجه ، وأدواته ... ، رغم

نشأته القديمة جداً ، فقد مر بمراحل متعددة ، تأثر في كل مرحلة من مراحل تطوره بالظروف والعوامل التي كانت قائمة في تلك الفترة الزمنية ، ويمكن إيجاز مراحل التطور التي مر بها علم النفس في أربع مراحل ، هي :

أولاً : المرحلة الأولى : مرحلة الفكر اليوناني القديم : (٤٦٩ - ٣٢٢ ق.م) في

هذه المرحلة تأثر علم النفس بالفلسفة تأثراً كبيراً بل والتحم معها ؛ حيث تناول الفلاسفة دراسة الروح وماهيتها وتكوينها ، واختلفوا في ذلك اختلافاً شديداً ؛ الأمر الذي أدخلهم في مناظرات جدلية في الصلة بين النفس والجسم وجوهرهما ، وكان من أشهر فلاسفة هذه المرحلة : سقراط ، و أفلاطون ، و أرسطو . (الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ٥٣)

ثانياً : المرحلة الثانية: مرحلة الفكر الإسلامي : (١١٠هـ - ١٣٥٠هـ) وهذه المرحلة

تتقسم إلى قسمين :

١- الدراسات النفسية في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة . (انظر

الدراسات السابقة ، ص ٢٥)

٢- الدراسات النفسية عند علماء المسلمين ، وذلك مثل : عبد الله المحاسبي ،

وابن سحنون ، والفارابي ، وابن سينا ، وأبو حامد الغزالي ، وابن خلدون

... (نجاتي وآخرون ، ١٤١٧هـ ، ج ١-٣ ، ص ١ - ٣٦٩)

في هذه المرحلة وجه القرآن الكريم والسنة النبوية الناس إلى طبيعة

النفس الإنسانية ومكوناتها ، كما أمرنا وحضنا على ضرورة التبصر ،

والنظر ، والتدبر في هذه الطبيعة وفق منهج رباني ، منهج أخرج الناس من
الظلمات إلى النور ؛ فكانت خير منهجية على وجه الأرض ؛ نظمت
وفسرت السلوك الإنساني ، منهجية اتسمت بسمات منها :

١- الاستتارة بمنهجية القرآن الكريم المنزل من عند الخالق جل وعلا ،
خالق النفس البشرية والعالم بمكوناتها الجسدية والروحية .

٢- بناء السلوك الإنساني ، وتربيته ، وتوجيهه ، في ضوء أسس وأهداف
ووسائل تحقق مصلحة الفرد والجماعة والأمة، هذا البناء يستخدم التدرج
والتسلسل في تشكيل السلوك الإنساني بما يوافق فطرة الله في خلقه .

٣- ملازمتها للتشريع ، الذي يوازن بين أسباب خلق الإنسان ، ودوافعه ،
انفعالاته ، عواطفه ، خصائص شخصيته ...

٤- سعيها إلى دراسة السلوك الظاهر والباطن ، السوي والشاذ ، المادي
والروحي ، الدنيوي والأخروي ... وفق منهجية التنكير بنعم الله أولاً ،
ثم منهج الهدى ، فالاختيار ، ثم الثواب والعقاب ... في إصلاح وتهذيب
هذا السلوك بأنواعه السابقة . (عبد الجابر ، ١٤١٠هـ ، ص ص ١٣-١٩)

ثالثاً : المرحلة الثالثة : مرحلة النهضة العلمية الغربية : (١٥٩٦م - ١٨٨٠م)

ينكر كل من الهاشمي (١٤٠٤هـ ، ص ٦٣) و(عس وتوق ، ١٤٠٧هـ ، ص ٦)

بأن هذه المرحلة بدأت بعد انقضاء فترة ظلام القرون الوسطى ، وسيادة

الإرهاب الكنسي الذي حارب وقاوم العلم والعلماء ؛ فضغفت سلطة الكنيسة ،

وصاحب ذلك في نفس الوقت إنحسار وجمود الفكر الإسلامي ؛ فاستفاد الفكر الأوربي من التراث العلمي ، والإسلامي النفسي عن طريق الاحتكاك بالمسلمين إبان الحروب الصليبية ، والفتح الأندلسي ، وغيره، وظهرت الدراسات النفسية باعتبارها علماً مستقلاً له كيانه وهويته في تسلسل تاريخي قال عنها دافيدوف (١٤٠٨م ، ص ص ٣٢ - ٤٤) بأنها الحركات الخمسة التي شكلت علم النفس الغربي ، وتتمثل في التالي :

١- علم النفس البنيوي : مؤسسه (ويليام فونت) وموضوعه دراسة العمليات الأولية الشعورية ، والعقلية ، بهدف إكتساب المعرفة ؛ مستخدماً منهج الاستبطان التحليلي المعلمي .

٢- علم النفس الوظيفي : مؤسسه (ويليام جيمس) وموضوعه دراسة وظيفة العمليات العقلية ؛ بهدف مساعدة الإنسان على التكيف مع الحياة، وإكتساب المعرفة وتطبيقها ، ومنهجه الاستبطان غير الشكلي (الموضوعي) والتجريب.

٣- علم النفس التحليلي : مؤسسه (سيجموند فرويد) وموضوعه دراسة محددات الشخصية السوية واللا سوية ؛ بهدف علاج السلوك غير السوي وتقديم الخدمة النفسية ، عن طريق التنويم المغناطيسي ، والتداعي الحر ، وتحليل الأحلام .

٤- علم النفس السلوكي : مؤسسه (جون واطسون) وموضوعه دراسة

أثر المثيرات على الاستجابة الصادرة عن الإنسان ؛ بهدف اكتساب المعرفة وتطبيقها أيضاً ، عن طريق منهج الملاحظة الموضوعية .

٥ - علم النفس الشكلي أو الكلي (الجشطالت) : ومؤسسه كل من (كوهلر ، وكوفكا ، وفريتمر) . وموضوعه دراسة الخبرة الذاتية للفرد مع التأكيد على الإدراك ، والتفكير ، وحل المشكلات ؛ بهدف اكتساب المعرفة أيضاً ، عن طريق الاستبطان غير الشكلي ، والطرق الموضوعية .

رابعاً : المرحلة الرابعة : مرحلة علم النفس المعاصر : (١٩٠٨م - ١٩٧٠م) في هذه المرحلة قدمت كل من مدرسة التحليل النفسي والمدرسة السلوكية طرقاً أكثر موضوعية لدراسة النفس الإنسانية ووظائفها ، كما ظهرت نظريتان حديثتان في دراسة النفس ، هما :

١- النظرية المعرفية : التي تدرس وظائف الأنشطة العقلية ، والعمليات الإدراكية ، وحل المشاكل ...

٢- النظرية الإنسانية : مؤسسها (ابراهام ماسلو) هذه النظرية ركزت على دراسة الخبرة الإنسانية الذاتية ، والمشكلات الإنسانية المهمة ؛ هادفة إلى مساعدة الناس على فهم أنفسهم، والوصول بإمكانياتهم إلى حدها الأقصى ، مهتمة بالموضوعات المختارة للدراسات النفسية ، لا طرق الدراسة نفسها ، كما يُركز عليه في المدارس النفسية السابقة الذكر .

من هذا العرض الموجز لتاريخ علم النفس والمراحل التي مر بها ، نرى أنه قد تأثر تأثراً كبيراً بظروف وفلسفة كل مرحلة من المراحل السابقة ؛ ففي المرحلة الأولى كان الطابع الفلسفي غالباً على دراسة النفس الإنسانية، حيث كان الجدل دائراً حول ماهية النفس ، وماهية الروح ، وكيفية حدوث السلوك الإنساني ، وفي المرحلة الثانية التي أشرق فيها نور الإسلام ، تحددت منهجية دراسة النفس الإنسانية وطبيعتها، وفق توجيهات القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وقضى على الجدل القائم بين ماهية النفس ، وماهية الروح ، والكيفية التي يصدر بها السلوك الإنساني ؛ فقد ورد في القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وصف كامل لطبيعة النفس الإنسانية ، وما تحمله من سمات إيجابية وسلبية ، مع توضيح للوسائل والأساليب التي تتبع للتعامل مع هذه النفس الإنسانية في حالة سوائها وانحرافها ، وفق أسس ثابتة ، ومتغيرات ، تراعي ظروف العصر الذي تعيش فيه هذه النفس الإنسانية .

أما في المرحلتين الثالثة والرابعة فنجد النظرة الجزئية في دراسة النفس الإنسانية ؛ والتي أنت إلى كثير من الاختلافات في دراسة النفس وطبيعتها ، بل واتجهت غالبية الدراسات إلى دراسة أجزاء من السلوك الإنساني ؛ على حسب المنظور الذي تعتمد عليه كل مدرسة من مدارس علم النفس .

حيث نجد فرويد ونظريته التي تركز على عالم اللا شعور وتعتبره هو المحرك والمسيطر على السلوك الإنساني ، وترى أن الشعور هو شيء مفروض على الإنسان من مجتمعه الذي يعيش فيه بالضغط والقهر ، متناسياً أن العقل الواعي الشعور جزء من بنية النفس

الإنسانية وفطرتها التي فطرها الله عليها ، وسمة من سمات تميزها عن سائر المخلوقات المتمثلة في الإرادة وحرية الاختيار ، والنظرة الخاطئة الأخرى له والمتمثلة في جعله الغريزة الجنسية هي المحرك الأساسي لكل النشاطات الصادرة عن الإنسان ، فجعل الطفل يرضع ، ويتبول ، ويتبرز، ويتكون شعوره تجاه أمه بهدف إشباع هذه الغريزة الجنسية لديه .

وأكد تلامذة فرويد أدلر، ويونج الخطأ الذي بدأ به مؤسس مدرسة التحليل النفسي انحراف استاذهما في دراسة النفس الإنسانية ؛ حين فسرا السلوك الإنساني والدوافع المحركة له من وجهة نظر عقدة أسماها بـ **عقدة النقص** . (محمود ، ١٤١٩هـ ، ص ١٥-٢٦)

ثم ظهر الاتجاه التجريبي وأدخل السلوك الإنساني إلى المعمل ، وازدادت النظرة الجزئية في تفسير السلوك الإنساني ، كما أضاف قطب (١٣٩٨هـ ، ج ٢ ، ص ٩٦٧) بأن أصحاب هذا الاتجاه التجريبي المادي قاموا بقياس ما تتركه الحواس ، وما تقيسه الأدوات ولكنهم لم يستطيعوا تفسير ما يخرج عن دائرة الحواس وقدرة الآلات ؛ ذلك لأنهم تناسوا عالم الغيب الذي أشارت إليه الآيات القرآنية الكريمة والتي جعلت الإيمان بالغيب قاعدة من قواعد العقيدة في ذات المسلم وضميره ، قاعدة تبني بها العقيدة السلوك الإنساني ، وتتاطب بها أمانة الخلافة في الأرض بمنهج الله القويم . لذا يجب على كل مسلم أن يؤمن به كما يؤمن بعالم الشهادة فيقول جل من

قال: ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(سورة المائدة ، آية ٩٤) .

وكذلك فسرت المدرسة السلوكية السلوك الإنساني في ضوء ردود الفعل الشرطية المنعكسة ، وطرق تعلم العادات بطريقة آلية حسية بحتة ، جردت فيه الإنسان من قيمه ،

ومشاعره ، وإرادته ...

وكذا حال بقية مدارس ونظريات علم النفس الغربي ففي نظرتها الجزئية للسلوك الإنساني ، بل وفي إغفالها أيضاً لأهم جانب من جوانب دراسة النفس الإنسانية ألا وهو صلة هذه النفس بالله عز وجل خالق مكوناتها ، ومكوناتها ، وتوجهها توجهاً فطرياً له. هذا الإغفال للجانب العقدي الإيماني أدى إلى دراسة النفس الإنسانية دراسة مشوهة مبتسرة ، تعكس مفاهيم بعض منها مظاهر الانحراف والضلال عن طريق الحق . (عبد الجابر ، ١٤١٠هـ ، ص ص ١٤-١٨)

من العرض التاريخي الموجز لتطور علم النفس والذي وضح فيه تأثيره بالفلسفة اليونانية ، وبالنظريات الغربية ، ذات النظرة الجزئية ؛ وغير المتكاملة ، والعازلة للروح ؛ والمُغفلة لدور الإيمان ومتطلباته ؛ وتأثيره على السلوك الإنساني . الأمر الذي دعا بالباحثة للبحث في موضوع التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، موظفة ما تمت دراسته في تخصص التربية الإسلامية من مواد شرعية وتربوية للعمل على تأصيل وتوجيه وغرلة بعض من ميادين هذا العلم . سائلة الله اتباع الصواب ، والعصمة من الخطأ ، إنه سميع قريب مجيب الدعوات .



٣٩٤

مشكلة الدراسة : -

إن بعض العلوم الإنسانية في العالم الإسلامي هي علوم غربية تدرس كما هي ، في فلسفتها ووجهتها . لأن واضعي أسسها ونظرياتها هم علماء غربيون غير مسلمين ، وبالتالي فقد قامت نظرياتها وبنيت أسسها على نتائج بحوث ودراسات أجريت وطبقت في مجتمعات غربية غير مسلمة ، لها أساليبها الخاصة ونظرتها المختلفة الرؤى عن طبيعة الإنسان وغاية وجوده في الحياة ، ومن ضمن هذه العلوم الإنسانية ، علم النفس بجميع ميادينه .

ذلك أنه من الملاحظ أن علم النفس في العالم الإسلامي لم يخضع معظمه للتحليل النقدي وفق منظور إسلامي، وإنما نقلت مقررات هذا العلم من جامعات الغرب دون أي تمحيص وتحليل لمنطلقات ومسلمات وأدوات علم النفس الغربي ، ومن نتائج دراسات وتجارب أجريت في المجتمعات الغربية ، وحيث أن النتائج في غالبيتها توجه حسب طبيعة فلسفة المجتمع الذي تجرى فيه الدراسة ، إذاً النتائج لا تتفق دائماً في غالبيتها مع طبيعة فلسفة المجتمعات الإسلامية.

(نجاتي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٢١)

إن دراسة وتدریس هذا العلم (علم النفس) بفلسفته الغربية ، في العالم الإسلامي كما

يوضحه (الهاشمي ، د.ت) يرجع إلى عدد من العوامل ، والتي تلخصها الباحثة فيما يلي :

١- مبتعثي وعلماء العالم الإسلامي الذين تخصصوا في علم النفس ، هم في

غالبيتهم علماء وطلبة درسوا في الجامعات الغربية ، تتلمذوا على أيدي علماء

الغرب. إفتتن بعضهم بهذه الدراسات سمينها وغثها، حقها وباطلها ، صحيحها

وسقيمها . وعقب هذا الافتتان أصبحوا يرددون بكل فخر ما درسوه هناك

عند عودتهم لديارهم .

٢- نتيجة لهذا الافتتان بدأت حركة الترجمة للكتب المقرؤة بلغة الدراسة التي تمت

في الدول الغربية ترجمة حرفية بأمتنتها وحالاتها الشخصية وبيئاتها وأدواتها، هذا بالإضافة إلى أن بعض هذه المؤلفات تصدر في غالبيتها عن علماء نفس يهود فكرياً وتوجهاً ؛ ذلك لأنهم يهيمنون على عدد غير قليل من الكليات والجامعات والمعامل النفسية في الدول الأوربية وأمريكا، فيعكس ذلك في كتاباتهم وتبدو سمومهم في مؤلفاتهم المنافية للإسلام في نظرتهم للنفس الإنسانية . وتتمثل بعض من تلك السموم في التالي :

أ - بعد علم النفس الغربي في دراسته للنفس الإنسانية عن توجيهات الدين الإسلامي ، الذي لن تجد الأمة الإسلامية في بعدها عنه دراسة موضوعية واقعية شمولية موجودة في غيره؛ لأنه دين ومنهج حياة ، يستعلي على سائر المناهج والدراسات .

ب - اقتصار المنهج الغربي في دراسته للنفس الإنسانية على العالم المحسوس فقط ، أما المنهج الإسلامي فيشمل عالم الغيب والشهادة في دراسته للنفس الإنسانية وطبيعتها .

ج - افتقار الدراسات النفسية الغربية إلى مقياس ثابت يعتبر أصولاً يُحدد على ضوءه درجة استواء السلوك الإنساني وانحرافه ؛ ذلك لأن المقياس لديهم هو الواقع بما يحمله من معايير واعراف ... وواقع العالم الغربي كان ولا يزال منحرفاً ؛

فمن هذا المنطلق أصبح المقياس منحرفاً . ص ص ٢٥، ٢٧

٣- إن بعض المتخصصين في علم النفس الحديث بكافة ميادينها كما يؤكد نجاتي (١٤١٤هـ) بأنهم قد فطنوا إلى هذه النظريات التي تمت دراستها، و مسلماتها الدخيلة على الإسلام، إلا أنهم وجدوا أنفسهم عاجزين عن التحليل النقدي لنظريات وأسس هذا العلم ؛ بسبب عدم إحاطتهم إحاطة عميقة بأسس ومسلمات الشريعة الإسلامية التي يجب أن تقوم عليها دراسة النفس الإنسانية، وكذا بسبب عدم تمكنهم واطلاعهم على التراث الإسلامي وإسهاماته في إثراء الدراسات النفسية ، بل وعجزهم عن تقديم بدائل تتفق مع المبادئ الإسلامية، لذا نجدهم قد تبنوا بعض النظريات والمبادئ النفسية التي درست لهم، واستخدموا كل ما عرفوه من مناهج البحث الغربي في علم النفس، الأمر الذي جعل هذا العلم يقدم للدارسين من الطلبة و الطالبات من منطلقات غريبة لا تتفق في بعض جوانبها مع أسس ومسلمات الشريعة الإسلامية . ص ٣٢٢

٤- كما يؤكد نجاتي (١٤١٤هـ) على نظام ازدواجية التعليم وتشعبه إلى شعبتين في بعض الدول الإسلامية، تعليم مدني ، وآخر ديني ، أو ما يسمى إسلامي . هذا النظام الذي لم يكن معروفاً في البلاد الإسلامية قديماً في عصور ازدهار الثقافة والعلوم والمعارف الإسلامية ؛ لأنه إفران من إفرانات الاستعمار ، الذي لم يخرج من الدول الإسلامية المستعمرة إلا بعد إضعاف روح الإسلام فيها ، وإنهاكها مادياً ومعنوياً ، مع تقنيت وحدثها والتأثير على مناهجها التعليمية ،

فقدت بعض المجتمعات الإسلامية هويتها ، واتجهت نحو ما يسمى بالتعليم المدني، مزوداً بقدر يسير من مبادئ الإسلام ؛ لذا فإن هذا المتخصص يجد نفسه ضعيفاً أمام تيار المبادئ والأفكار والنظريات الواردة من الغرب القوي بوسائله، وأدواته، وإعلامه، ومناهجه، وتقنيته المتفوقة ، الأمر الذي يولد لديه الرغبة والاتجاه نحو تقليد الأقوى . ص ص ٣٢٢ - ٣٢٥

واستناداً إلى توصيات ونتائج المؤتمرات وبحوثها التي سيتم استعراضها في الدراسات السابقة التي عقدت ، حول التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، والتي أوصت بضرورة قيام المتخصصين في علم النفس وذوي الاهتمام بهذا الموضوع بتأصيل المقررات التي تدرس في الجامعات والمعاهد ، والقيام بأبحاث مكثفة على طول العالم الإسلامي وعرضه؛ إسهاماً منهم في قيام علم نفس يقوم على أسس إسلامية في فهم طبيعة النفس الإنسانية في حالة استوائها وانحرافها وكيفية التعامل معها.

ولذا فإن الدراسة الحالية هي ، محاولة علمية سعت فيها الباحثة نحو التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

أهمية الدراسة : -

نبعت أهمية الدراسة من أهمية موضوعها الأساسي الذي تدرسه ، ألا وهو عملية التأصيل الإسلامي في وقتنا الحالي ، ذلك لأن مسيرة المسلمين الحضارية العلمية مؤخراً قد تأثرت سلباً بالمعطيات العلمية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والنفسية ... وابتعدت عن تطبيق منهج الله عز وجل ، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

وعليه فقد وجب على المسلمين السعي إلى إعادة كل العلوم إلى إطارها الإسلامي ،
مستفيدين مما حققه الغرب من تقدم وسبق علمي، والتي من ضمنها العلوم الإنسانية والاجتماعية،
وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة الحالية ؛ لأنها :

١- تعد خطوة من الخطوات التي بدأها مجتهدون آمنوا بضرورة العودة بالعلوم إلى
منابعنا الأصيلة ؛ للاستتارة بها في حسن التعامل مع النتاج الغربي بكل فروعه،
لتكون استتارة مميزة ، وتميزها نابع من :

أ - مميزات وتفرد وخصائص دينها الإسلامي الحنيف .

ب - جعل هذه الميزة والتفرد معياراً تحكم به على قبول أو رفض ما أتى
به علم النفس الغربي وتطبيقاته ، مع توضيح لأسباب القبول أو
الرفض .

٢- دراسة حاولت أن تسهم في إثراء عمليات التأصيل الإسلامي التي تعد في مرحلة
النمو والبناء .

٣- دراسة سعت إلى تأصيل إسلامي لعلم النفس في بعض من معالمه الرئيسية ، وفق
توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية مقدمة لكل من :

أ - اساتذة الجامعات بالمملكة العربية السعودية الذين يقومون بتدريس مواد علم
النفس في المملكة العربية السعودية .

ب - الطلاب الذين يدرسون مواد علم النفس في جامعات المملكة العربية

السعودية ومعاهدها.

جـ — المخططين لبرامج التعليم الجامعي والتعليم العالي .

د — المؤلفين في هذا العلم والمهتمين به .

أهداف الدراسة : —

الهدف الأساسي لهذه الدراسة ، هو : محاولة التأصيل الإسلامي لعلم النفس في معالمه

الرئيسية ، في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، مع الاستفادة من العلوم

الغربية بعد عرضها على معيار قائم على أصول ومبادئ الإسلام المتمثلة في القرآن الكريم

والسنة النبوية المشرفة .

أسئلة الدراسة : —

في ضوء مشكلة الدراسة ، ولتحقيق أهدافها فقد تمت صياغة السؤال الرئيس التالي :

— ما واقع التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، وما مبرراته في ضوء الاتجاهات

المعاصرة التي تدور حوله ؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية التالية :

س¹ — ما خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس ؟

س² — ما طبيعة وخصائص النفس الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة

النبوية ؟

س³ — ما المعالم الرئيسية لعلم النفس في صيغته المؤصلة إسلامياً ؟

منهج الدراسة : -

استعانت الباحثة في دراستها الحالية بمنهجين من مناهج البحث ، وهما :

١- **المنهج الوصفي** : هو " منهج يهتم بالتشخيص الوصفي للواقع وتقرير ما ينبغي أن تكون عليه الأشياء والظواهر التي يتناولها البحث ، في ضوء قيم أو معايير معينة واقتراح الخطوات والأساليب التي من الممكن أن تتبع للوصول إلى الصورة التي ينبغي أن تكون في ضوء هذه المعايير أو القيم " . (جابر - كاظم ، ١٣٩٩هـ ، ص ٤٠)

كما تعرف البحوث الوصفية بأنها : " البحوث التي تحلل الخصائص المتعلقة بمشكلة معينة ، وتعمل على دراسة المؤثرات التي ارتبطت بها وأثرت عليها " . (الصباب ، ١٣٩٩هـ ، ص ٤٥)

وهذا المنهج الوصفي هو الذي يحقق بعضاً من أهداف الدراسة الحالية ، حيث إن هدف هذه الدراسة هو محاولة وصف واقع علم النفس الحديث من وجهة النظر الغربية ، مع تطبيق عمليتي التقويم والانتقاء لهذا الواقع في ضوء منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس المقترحة في هذه الدراسة .

٢- **المنهج الأصولي (الاستنباطي)** : إن المفهوم الإجرائي لهذه الدراسة في استخدام المنهج الأصولي الاستنباطي يتوافق مع ما جاء من تعريفات وردت في أدبيات الدراسات والتي فيها تعريف أبو سليمان (١٤٠٤هـ) الذي يقول بأن المنهج الأصولي هو : " الطريقة أو الوسيلة التي إستخدمها ويستخدمها علماء الأصول لدراسة الظواهر والقضايا والموضوعات والمشكلات المختلفة في ضوء مصادر الشريعة الإسلامية " . ص ١٦

كما يعرفه أمزيان (١٤١٣هـ) بأنه : " ذلك المنهج الذي نهجه علماء الإسلام في صياغة أفكارهم وتقافتهم ، وتصرفاتهم وفق الأصول الشرعية الكلية ، حتى تأخذ الصفة الدينية والتي تستمد شرعيتها من عقيدة التوحيد ، وهو الميزان الذي توزن به كل المنطلقات والتصورات، وتضبط به كل الآراء والفلسفات، والمعتقدات مهما تعددت منابعها ومفاهيمها ، وهو مجموع هذه الموازين التي تحفظ بها قدسية الوحي ، وعصمة الرسالة ، من فقدان معالمها؛ لتظل الرؤية المهيمنة على العقل المسلم هي رؤية الوحي ، ويظل الزمام الذي يتمسك به العقل المسلم هو زمام الرسالة ، وهو الضامن لإستمرارية الوحي بالمجهود البشري " . ص ٤٠٠

وفيما يلي تحديد لخطوات تطبيق منهجي الدراسة الحالية المنهج الوصفي ، والمنهج الأصولي الاستنباطي :

١- الوقوف على دراسات المتخصصين في مجال علم النفس ؛ للتعرف على واقع علم النفس .

٢- الرجوع إلى الجهود التأصيلية السابقة التي قام بها العاملون في هذا التخصص .

٣- تحديد المصطلحات والمفاهيم والطرق والوسائل ... التي أشار إليها العاملون في عملية

التأصيل الإسلامي لعلم النفس على أنها تتعارض مع المنطلقات أو الأسس الإسلامية

في دراسة النفس الإنسانية.

٤- اتباع خطوات أو مراحل الاستنباط الأصولي لمعرفة طبيعة النفس الإنسانية في ضوء

توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ، والتي تتمثل في :

أ - البحث عن النص المتعلق بموضوع البحث من القرآن أولاً ثم السنة ثانياً ، أي تقديم القرآن على السنة .

ب - القراءة المنظمة والمتأنية لكتب التفاسير ، وكتب السنن الصحيحة .

ج - حصر الموضوعات التي استخدمت فيها الألفاظ والتعبيرات القرآنية والنبوية ،

وترتيبها من حيث تاريخها ؛ لمعرفة الناسخ والمنسوخ ، المطلق والمقيد ، العام

والخاص ، الأمر والنهي ، الظاهر والمؤول ...

د - فهم السنة الشريفة في ضوء نصوص القرآن الكريم .

محدود الدراسة : -

قامت هذه الدراسة بعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن

الكريم والسنة النبوية ، للموضوعات التالية :

١- طبيعة وخصائص النفس الإنسانية .

٢- أطوار ومراحل خلق وتكوين النفس الإنسانية .

٣- دوافع السلوك الإنساني .

٤- الانفعالات الإنسانية .

مصطلحات الدراسة : -

أولاً : التأصيل الإسلامي : ورد في أدبيات الدراسات تعريفات كثيرة توضح معنى التأصيل

الإسلامي أو الأسلمة ، تذكر منها الباحثة ما يتوافق مع المفهوم الإجرائي للدراسة الحالية ،

والتي منها تعريف الصنيع (١٤١٦هـ) بأنها " إيراد الأسس الإسلامية التي تقوم عليها العلوم من خلال جمعها ، أو استنباطها من مصادر الشريعة وقواعدها الكلية وضوابطها العامة ، ودراسة هذه العلوم من حيث موضوعاتها ومناهجها ، دراسة تقوم على هذه الأسس ، وتستفيد مما توصل إليه العلماء المسلمون وغيرهم فيما لا يتعارض مع تلك الأسس . " ص ١٩

كما عرفها (العلواني ، ١٤١٧هـ) بأنها " الجمع بين القراءتين ، قراءة تستصحب الوحي في قراءة الكون وفهمه واكتشاف سننه ، وقراءة تستصحب سنن الكون في فهم آيات الوحي ، وغاية قراءة الوحي التنزل من الكلي إلى الجزئي ، والربط بين المطلق والنسبي ، بقدر ما تتيحه قدرات البشر العقلية في فهم تنزلات الكلي ، وربطه بالواقع المتغير الجزئي " ص ١٦ .

أما المصطلح الإجرائي للدراسة الموسوم بـ : (عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس) يعرف التأصيل الإسلامي لعلم النفس بأنه : " ذلك الجهد العلمي الذي يهدف إلى تأسيس علم نفسٍ يقوم على أسس ومنطلقات إسلامية ، يجعله أكثر ملاءمة في دراسة النفس الإنسانية ، وطبيعتها ، وتكوينها لدى المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية . "

ثانياً : علم النفس : هناك عدد من التعريفات الشاملة لعلم النفس ، والتي عرضها محمد (١٤١٦هـ) وهي كما يلي :

" الدراسة العلمية لسلوك الإنسان وتوافقته مع البيئة . "

" علم نشاطات الفرد . "

" العلم الذي يدرس السلوك بوجه عام من حيث الناحية العقلية ، شعورية كانت أو

لا شعورية . "

" العلم الذي يدرس سلوك الكائن الحي ، وما وراءه من عمليات عقلية ، دوافعه و دينامياته وآثاره ، دراسة علمية يمكن على اساسها فهم وضبط السلوك والتنبؤ به والتخطيط له . "

" العلم الذي يبحث في دوافع السلوك ، ومظاهر الحياة العقلية الشعورية منها والسلا شعورية ، دراسة ايجابية موضوعية ، تساعد على إفساح المجال للقوى والمواهب النفسية، كي تنمو وتستغل فيما يساعد على حُسن التكيف مع البيئة ، وما يؤدي إلى تحسين الصحة النفسية للأفراد والجماعات . "

" علم الخبرة والسلوك . "

" العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن حي يرغب ويحس ويدرك وينفعل و يتنكر ويتعلم ويفكر ويعبر ويريد ويفعل . " ص ص ٤٧ - ٤٩

من استعراض الباحثة للتعريفات السابقة ، وجدت أنها جميعاً تتفق على كون علم النفس

هو علم دراسة السلوك والسلوك يشمل أنشطة متعددة ، هي :

١- النشاط الجسمي .

٢- النشاط الانفعالي.

٣- النشاط العقلي.

٤- النشاط الاجتماعي .

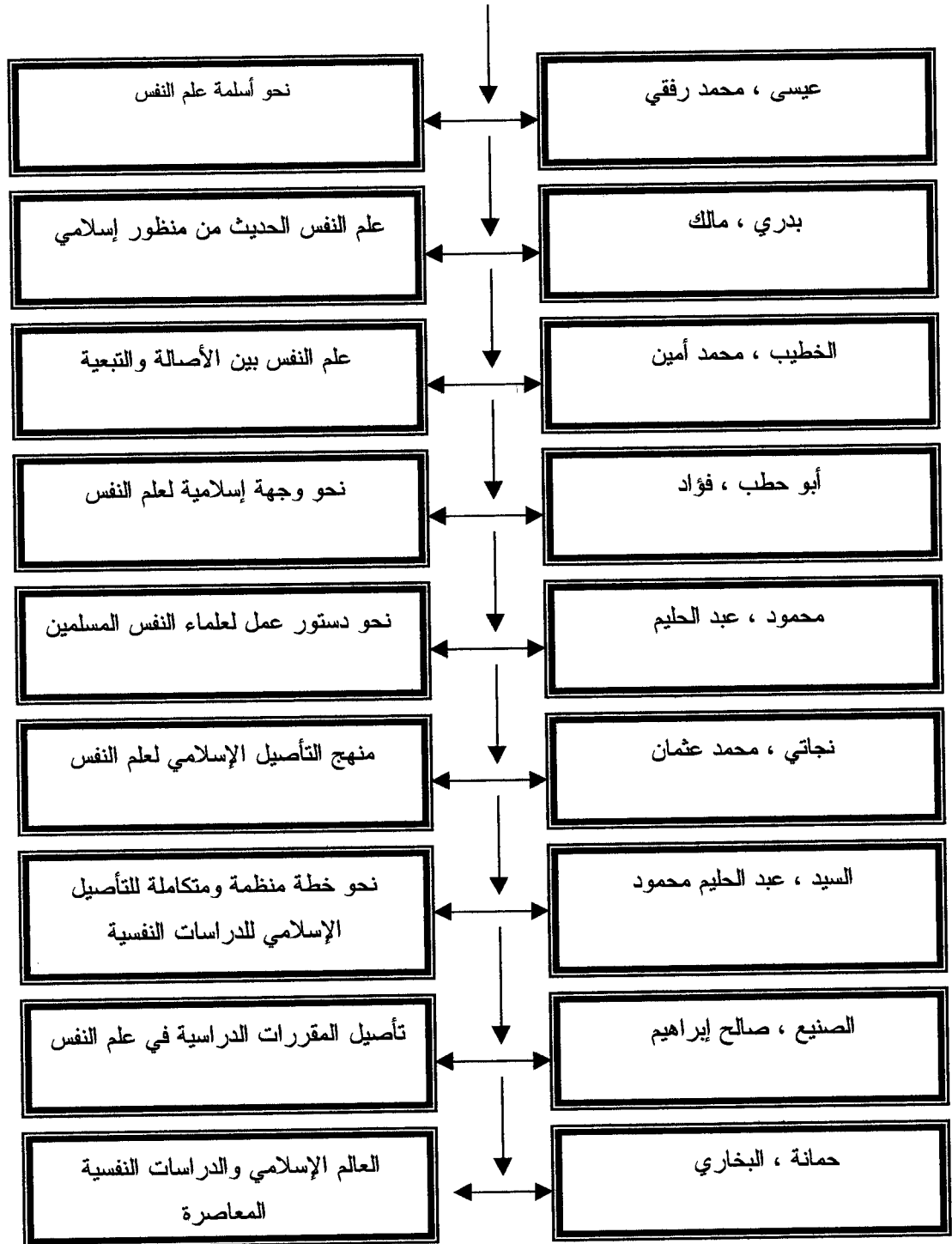
وتحت هذه الأنشطة الأربعة تدرج كافة ميادين علم النفس المتعددة ، ومعالمه الرئيسية،

وعليه فقد تم تحديد مصطلح إجرائي لعلم النفس في هذه الدراسة يُعرف علم النفس بأنه " علم

دراسة السلوك الإنساني الذي يهدف إلى تفسير وتوجيه هذا السلوك في ضوء طبيعة النفس

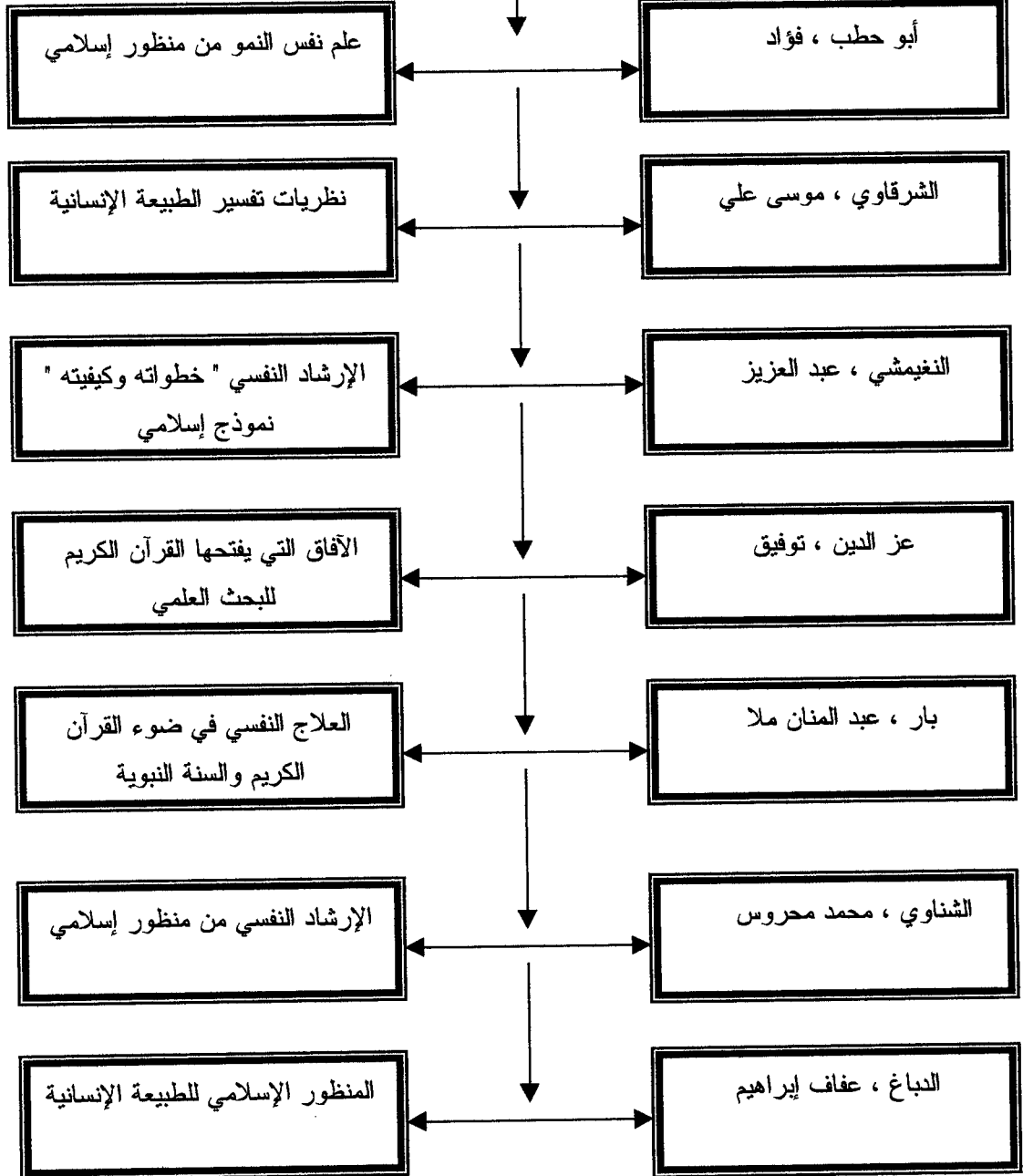
الإنسانية – النفس ، الجسم ، الروح – المشكلة للسلوك الإنساني .

دراسات تناولت منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس



شكل رقم (١)
يوضح الدراسات السابقة للإطار الأول

الدراسات التي قامت بالتأصيل
الإسلامي لبعض من مبادئ علم النفس



شكل رقم (٢)

يوضح الدراسات السابقة للإطار الثاني

الدراسات السابقة : -

لقد تم عرض الدراسات السابقة وفق إطارين ، هما :

الإطار الأول : دراسات تناولت منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس بصفة عامة في محاولة وضع دستور عمل لعلماء النفس المسلمين ، مع مناقشة الاتجاهات المختلفة التي دارت حول موضوع التأصيل .

الإطار الثاني : دراسات قامت بالتأصيل الإسلامي لمجالات محددة من ميادين علم النفس.

دراسات الإطار الأول : -

١- دراسة عيسى ، محمد رفقي (١٤٠٦هـ)

عنوان الدراسة : - نحو أسلمة علم النفس .

محددة الدراسة : - الدراسة هدفت إلى محاولة تحقيق بعدين أساسيين يحددان مسار عمل عملية أسلمة علم النفس ، هما :

١- تقييم الواقع لمعرفة الصالح والطالح معرفة شاملة في نطاق معايير ثابتة .

٢- إقامة نماذج سليمة متحدة في الأصول والوسائل ، والغايات لعملية التقييم .

محتوى الدراسة : - احتوت الدراسة على الموضوعات التالية :

١- توضيح الوضع الراهن لعلم النفس في المجتمعات الإسلامية ، ما بين رافض لكل

الفكر الغربي حول الدراسات النفسية ، وبين محاول لإثبات السبق للإسلام في

الدراسات النفسية ، وما بين عازل للدين عارض للمذاهب الغربية كما هي ، يتبعها

ويشيد بها ، مغفلاً للإسلام وتراثه ، مبهوراً بما حققه الغرب من إنجازات

مادية وتقنية.

٢- وضع ضوابط لتقديم النموذج الأمثل لأسلمة علم النفس ، والتي يجب على القائمين

بهذا الجهد الأخذ بها .

٣- تحديد المصادر التي يستقى منها بناء نموذج الأسلمة لعلم النفس ، والمتمثلة في :

أ - الوحي .

ب - الحكمة - الفلسفة - .

ج - نتائج الأبحاث.

٤- تحديد المسلمات الأساسية في الإسلام والتي بها تدرس النفس الإنسانية .

٥- مناهج البحث ، ويقصد بها الباحث المقاربات التي تستخدم في التعامل مع الظاهرة

المستهدفة ولا تعارض الرؤية الإسلامية والضوابط الشرعية . ويعني الباحث

بالمقاربات : إنباء الشيء من غيره حتى يكون قريباً منه ، أو إعطاء الحل ليقرب

من الصواب.

نتائج الدراسة : - اسفرت الدراسة عن النتائج التالية :

١- إن عملية التحول إلى الصراط المستقيم تحتاج إلى وعي وجهد ومجاهدة ، كما

تحتاج إلى بيان عظم الغاية وشرف التكليف في الالتزام بمنهج الإسلام .

٢- ضرورة العودة بعلم الشريعة من علوم يدرسها الراغبون نظرياً إلى علوم تدرس

لكي تنفذ ، فيتشربها الباحثون ، فتأتي أبحاثهم متحررة من كل تبعية مرضية .

٣- أن تقوم عملية تقييم ودراسة لمعالم التراث الفكري التربوي في ضوء الأصول

اليقينية التي جاء بها الإسلام .

٤- إن الأصول الثابتة الواردة في الوحي لا تمنع الاعتماد على المناهج المختلفة

تجريبية أو عقلانية ، إنما تقف هذه الأصول مهيمنة ومحددة لمنابع البحث .

٥- إن المبادئ والأفكار التي تنشأ في مجتمعات غير إسلامية لا تكون صالحة

بالضرورة لمجتمعاتنا الإسلامية ، لكن المبادئ والأفكار المبنية على الفكر

الإسلامي الصحيح تعتبر صالحة لكل المجتمعات في كل زمان ومكان ؛ لأنها

جاءت من خالق الخلق وكافة الخلق ، فصوابها يقيني .

٦- ينبغي أن لا نقيد أنفسنا داخل حدود النقد السلبي ، أو في نطاق الفكر النظري ،

إنما يجب تحديد جوانب مختلفة تشكل مجالات البحث والدراسة ، وأهداف كل

منها، ومن خلال هذا المنظور ستكون رؤيتنا في مجال علم النفس .

٢- حراسة بحري ، مالك (١٤٠٧هـ)

عنوان الحراسة : - علم النفس الحديث من منظور إسلامي .

محتوى الحراسة : - ناقشت الدراسة العديد من الموضوعات ، من أبرزها التالي :

١- توضيح الجنور التاريخية لعلم النفس مع التأكيد على أن القرن العشرين قرن علم

النفس .

٢- الإشارة إلى سيطرة الفكر الغربي على علم النفس الحديث .

٣- توضيح الأسباب التي تدعو إلى أسلمة علم النفس ، مع بيان التيارات التي تواجهها

عملية الأسلمة .

٤- وضع تصور عام للأسلمة في علم النفس .

هذه الدراسة : - هدفت الدراسة إلى التالي :

١- وضع تصور متكامل واضح للتأصيل الإسلامي لعلم النفس .

٢- مناقشة الاتجاهات التي دارت حول عملية الأسلمة ، وتحديد الأقرب فيهن

للصواب .

نتائج الدراسة : - أسفرت الدراسة عن النتائج التالية :

١- أن التصور العام لأسلمة علم النفس الذي اقترحته الدراسة يمكن تطبيقه على

فروع علم النفس الغربي وميادينه على نحو مفيد .

٢- بعد التطبيق الذي نكر سيجد الأخصائي النفسي المسلم أن بعض مواد علم

النفس بشكل عام هي أقرب إلى التصور الإسلامي من غيرها .

٣- أن الفروع التي تقوم على التجربة التي تدرس جوانب من السلوك الذي يمكن

قياسه هي التي يجب أن تركز عليها أقسام علم النفس في جامعات البلاد

الإسلامية .

٤- الفروع التي تقوم بشكل أكبر على النظريات العامة للإنسان ، مثل : سيكولوجية

الشخصية ، والتحليل النفسي، وعلم نفس النمو ، وعلم النفس الإنساني والفلسفي

وغيرها من المواد المشابهة ، يمكن تدريسها بجزء مع إظهار الجوانب المناقشة

للإسلام في تكوينها .

٥- إن قيام علم نفس إسلامي الطابع لا يتم إلا إذا قام العلماء المخلصون بأبحاث

تجريبية ، وميدانية مكثفة على طول العالم الإسلامي ، وعرضه بالطريقة التي
تسمح في المستقبل للمنظرين النفسانيين المسلمين بوضع نظريات من أصول
تجريبية وميدانية ، طبقت على أفراد مؤمنين ، فتخدم هذا الاتجاه
المبارك؛ وسوف تُولف بعد ذلك الكتب الجامعية التي تخلص العالم الإسلامي
من التبعية العمياء لمواد علم النفس الغربي ، وتدفعهم إلى زيادة التأصيل
الذي يثري هذا الاتجاه .

٣ - دراسة الخطيب . محمد الأمين (١٤٠٨هـ)

منوان الدراسة : - علم النفس بين الأصالة والتبعية .

مهدف الدراسة : - هدفت الدراسة إلى :

١- إبراز صلة علم النفس بالجانب الفكري من التراث الإنساني ، بشقيه : شق الأصالة ،
وشق التبعية .

٢- توضيح أهمية الرجوع إلى التراث ؛ للنهوض بالأمة الإسلامية والعربية ، وإبراز
ذاتيتها .

٣- إثراء الفكر الإسلامي وإيجاد ما يناسب التكوين النفسي لهذه الأمة ذات التراث المتميز
عن غيرها .

محتوى الدراسة : - احتوت الدراسة على الموضوعات التالية :

١- تعريف الأصالة ، وتعريف التبعية في اللغة وفي الاصطلاح .

٢- توضيح ما يرمي إليه الباحث بمفهوم الأصالة والتبعية :

حيث قصد بالأصالة : أصالة رأي الباحث وذاتيته النابعة من تراثه ، فهي الاستقلالية في

الفكر . والتبعية قصد بها : تبني فكر الغير دون إبراز لذاتية الباحث .

٣- صلة علم النفس بالأصالة والتبعية .

٤- محاولات التأسيس لعلم النفس ورأي الباحث فيها .

٥- توضيح منهج الأصالة الذي يدعو له الباحث .

نتائج الدراسة : - توصلت الدراسة إلى ثلاث نتائج ، هي :

١- أن التبعية لأي فكر أمر مرفوض ، إلا بعد الإقتناع بصحته .

٢- لا بد من دراسة كل نتاج فكري خاص بعلم النفس لنميز الذي نقبله من الذي نتركه .

٣- أن يقوم الباحثون في علم النفس بالدراسة المتأنية للتراث الفكري الإسلامي بأساليب

علمية .

٤- دراسة أبو حطب . مؤاد (١٤١٣هـ)

مخوان الدراسة : - نحو وجهة إسلامية لعلم النفس .

هدف الدراسة : - هدفت الدراسة إلى :

١- تحليل ومناقشة حجج النقاد الإسلاميين لعلم النفس .

٢- توضيح ردود الفعل التي صدرت عن بعض علماء النفس المسلمين .

٣- عرض بعض الاستجابات الإيجابية لعلماء النفس المسلمين .

٤- عرض معالم الوجهة الإسلامية لعلم النفس .

محتوى الدراسة : - عرضت الدراسة العديد من الموضوعات ، من أهمها التالي :

١- إيراد حجج النقاد الإسلاميين لعلم النفس بالمناقشة والتحليل .

٢- ردود الفعل الدفاعية لدى بعض علماء المسلمين والتي أبرزها الباحث أيضاً ، ووضح

وجهة نظر كل فريق حول هذه الردود .

٣- عرض إتجاهات متعددة في بناء علم نفس إسلامي ، مع بيان مفهوم الوجهة في العلم

ومفهوم الوجهة في علم النفس الحديث ، والتركيز على معالم الوجهة الإسلامية لعلم

النفس .

نتائج الدراسة : - بعد مناقشة موضوعات الدراسة توصل الباحث إلى عدد من النتائج من

أهمها:

١- لتجاوز المحنة القائمة بين مؤيدي قيام علم نفس إسلامي ، ومهاجمي قيام هذه الأسلمة

أو التوجيه و معارضيه ، لابد من جهد إيجابي إيداعي من علماء النفس المسلمين .

٢- لابد أن يتوافر على هذا العمل عصبية من أولو القوة التي يلم أفرادها

بالموضوعين مباديء وخصائص الإسلام وذخيرة علم النفس إماماً عميقاً

وواسعاً .

٣- لابد من بناء وجهة إسلامية لعلم النفس تحدد موجبات العمل في الميدان وتضع

خطاً للتوجيه الإسلامي لعلم النفس .

٥- دراسة محمود ، محمد العلي (١٤١٣هـ)

مخوان الدراسة : - نحو دستور عمل لعلماء النفس المسلمين .

مقدمة الدراسة : - هدفت هذه الدراسة إلى محاولة تقديم عدد من النقاط التي تمهد للإتياف على

مبادئ أساسية يمكن أن تسهم في إعداد دستور عمل لعلماء النفس المسلمين المعاصرين .

محتوى الدراسة : - احتوت الدراسة على التالي :

١- استعراض لعدد من مراكز البحوث النفسية الاجتماعية التي يقيمها أعداء الإسلام ؛

لدراسة أحوال المسلمين ووضع الخطط لتغيير اتجاههم .

٢- حض الإسلام على معرفة سنن الله في النفس والكون .

٣- علم النفس الحديث ، ماذا نأخذ منه ، وماذا نرفض كمسلمين ؟.

٤- الإطار الثقافي للعلم وتطبيقاته والذي يتمثل في :

أ - الفلسفة العامة المميزة للثقافة الإسلامية .

ب - التصور الإسلامي للإنسان .

ج - تحمل التبعة والمسئولية .

د - المساواة ووحدة الأصل .

هـ - النية .

٥ - التصور الإسلامي لأخلاق العلماء عامة ، وعلماء النفس بوجه خاص .

٦- إعادة قراءة التراث الإسلامي من منظور نفسي .

٧- إظهار سنن الله تعالى في النفس البشرية .

٨ - اقتراح موضوعات للبحث العلمي في أحوال النفس التي تمكن من بناء مجتمع إسلامي .

نتائج الدراسة : - أظهرت الدراسة النتائج التالية :

١- أن علم النفس في أنحاء العالم يشهد إنجازات رائعة تكشف عن آيات الله وسننه في

النفس .

٢- لابد من القيام بجهود خاصة لصياغة تصور إسلامي للإنسان في ضوء مبادئ

ومسلمات الإسلام .

٣- اختيار وتحديد موضوعات البحث العلمي التطبيقي في علم النفس التي تمكن من قيام

علم نفس يقوم على أسس إسلامية .

٦ - دراسة نجاتي ، محمد عثمان (١٤١٤هـ)

مخوان الحراسة : - منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس .

مخاض الحراسة : - هدفت الدراسة إلى إقامة علم نفس يقوم على أساس التصور الإسلامي

للإنسان ، وعلى أساس مبادئ الإسلام وحقائق الشريعة الإسلامية .

محتوى الحراسة : - تقوم الفكرة الأساسية للدراسة على وضع أو بناء منهج للتأصيل الإسلامي

لعلم النفس ، هذا المنهج يشمل خطوات متعددة هي :

١- الاتفاق على مسلمات ؛ تعتبر أصولاً إسلامية عقدية يهتدى بها في التحليل النقدي

لموضوعات علم النفس الحديث .

٢- التمكن من علم النفس الحديث ، موضوعات ، ومنهج ، ونظريات .

٣- التمكن من الأصول والمبادئ الإسلامية .

٤- معرفة الدراسات النفسية للعلماء المسلمين .

٥- نقد علم النفس الغربي ؛ تمهيداً لقيام علم نفس إسلامي .

٦- إجراء بحوث في علم النفس من وجهة نظر إسلامية .

نتائج الدراسة : - تتلخص نتائج الدراسة في التالي :

١- أن علماء النفس في المجتمع الغربي يهتمون أكثر الدين والإيمان والنواحي الروحية

ويركزون على الاتجاه المادي في النظر للنفس الإنسانية .

٢- إن علم النفس وجميع العلوم الإنسانية الأخرى ، التي تدرس في جامعات البلاد

الإسلامية هي علوم غربية في فلسفتها ووجهتها .

٣- إن علم النفس والعلوم الإنسانية الأخرى التي تدرس في جامعات البلاد الإسلامية لم

تخضع للتحليل النقدي في ضوء مبادئ الإسلام .

٤- لابد من التأسيس الإسلامي لعلم النفس ، والذي يقصد به : إقامة هذا العلم على أساس

التصور الإسلامي للإنسان ، وعلى أساس مبادئ وأسس الإسلام .

٧ - دراسة السيد . عبد الطيب محمود (١٤١٦ هـ)

عنوان الدراسة : - نحو خطة منظمة ومتكاملة للتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية .

هدف الدراسة : - هدفت الدراسة إلى تصور ملامح تساعد على التأصيل الإسلامي لعلم النفس .

محتوى الدراسة : - تناولت الدراسة موضوع التأصيل من ثلاثة جوانب أساسية ، هي :

١- دوافع التأصيل الإسلامي لعلم النفس والتي تشمل :

أ - حض الإسلام على معرفة سنن الله تعالى في النفس والكون .

ب - حث الإسلام علماء النفس على اكتشاف سنن الله في النفس ، وتسخيرها لصالح

الإنسان المسلم .

جـ - إدراك أبعاد الإسلام قيمة علم النفس في اكتشاف قوانين السلوك الإنساني

وتطويعها لصالحهم .

٢- أهم العقبات التي تقف أمام التأصيل الإسلامي لعلم النفس .

٣- أهم ملامح التأصيل الإسلامي المتكامل لعلم النفس .

٨- دراسة الصنيع ، طالع إبراهيم (١٤١٦هـ)

مخوان الحراسة : - تأصيل المقررات الدراسية في علم النفس .

هذه الدراسة : - سعت الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية :

١- استخلاص أهم المسلمات العامة المبنوثة في ثنايا نظريات علم النفس الغربي .

٢- استخلاص أهم المسلمات العامة في التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، كبدائل يعتمد عليها

عالم النفس المسلم ، في دراسته للظواهر النفسية .

٣- تقديم أسلوب مقترح لمعالجة مفردات أحد مقررات علم النفس علم النفس التربوي ؛

لحث الأساتذة للقيام بتأصيل المقررات التي يقومون بتدريسها حالياً ، على أنه حل

مرحلي إلى أن تتوفر البدائل للمحتويات الحالية.

٤- إثارة اهتمام المتخصصين في علم النفس ؛ لإعادة النظر في المادة العلمية التي يقدمونها

لطلابهم بحيث يتم فحصها بشكل جيد ، حتى لا تتعارض مع ما لدى الطلاب من مبادئ

إسلامية تعلموها في مختلف المراحل الدراسية التي سبقت دراستهم الجامعية .

محتوى الحراسة : - احتوت الدراسة على الموضوعات التالية :

- ١- أهم المسلمات العامة في علم النفس الغربي .
 - ٢- أهم المسلمات العامة في التأصيل الإسلامي .
 - ٣- المصادر التي يعتمد عليها من يريد القيام بعملية التأصيل وهي :
 - أ - القرآن الكريم وتفسيره المعتمدة .
 - ب - الحديث النبوي وشروحه .
 - ج - كتابات علماء المسلمين .
 - د - كتابات العلماء غير المسلمين .
 - ٤- أسلوب تطبيقي مقترح على أحد مقررات قسم علم النفس لتوضيح كيفية التأصيل الإسلامي لعلم النفس .
- نتائج الدراسة :** - كان من نتائج الدراسة التالي :
- ١- ضرورة تحديد مسلمات علم النفس الغربي عند القيام بالتأصيل .
 - ٢- لابد من مراجعة مفردات المقررات الدراسية ثم إعادة صياغتها ومعالجتها وفق تصور إسلامي صحيح .
 - ٣- قراءة المراجع الأجنبية والمترجمة عند استخدامها بطريقة واعية ناقدة .
- ٩ - دراسة حمادة ، البخاري (د . م) .
- مخولان الدراسة :** - العالم الإسلامي والدراسات النفسية المعاصرة .
- هدف الدراسة :** - هدفت الدراسة إلى توضيح :
- ١- مدى تأثير العالم العربي الإسلامي بالدراسات النفسية الغربية ، وعبوب هذا التأثير ، مع

إثبات ذلك بالأدلة الواقعية .

٢- الإشارة إلى ما يحتويه القرآن الكريم والسنة النبوية من دقائق وتفصيل ترشد الباحث

في النفس الإنسانية ، وكذا تراث المفكرين المسلمين الأوائل .

محتوى الدراسة : - احتوت الدراسة على الموضوعات التالية :

١- تأثر العالم العربي الإسلامي بالدراسات النفسية الغربية .

٢- الصحوة الإسلامية التي قامت في دول العالم الإسلامي ، والمتمثلة في مراجعة العديد

من مساقات العلوم الغربية ومن ضمنها علم النفس .

٣- إيراد نماذج من الاختلافات في النظر لطبيعة الإنسان وأنماطه السلوكية ، في العالم

العربي والإسلامي والعالم الغربي ، مثل : مفهوم الحياة والوجود والمصير ، العلاقة

بين النفس والجسد ، الوظائف النفسية ، العقد النفسية ، الأمراض النفسية ...

٤- توضيح العيوب المنهجية للدراسات النفسية الغربية .

٥- دعوة للجوء إلى القرآن الكريم كتاب المسلمين الأول ، والحديث الشريف ، عند دراسة

النفس الإنسانية؛ لأن فيهما من الدقائق والتفاصيل ما يرشد ويوجه الدراسات النفسية .

٦- وضع خطوات إرشادية لتحقيق مشروع أسلمة علم النفس الحديث .

نتائج الدراسة : - توصلت الدراسة إلى نتائج يجب اتباعها لتحقيق أهداف الدراسة ، هي :

١- لا بد من إحياء كل الجوانب الإيجابية من التراث العربي الإسلامي في ميادين العلوم

الإنسانية عامة ، وعلم النفس بصورة خاصة .

٢- يجب ترجمة ذلك التراث إلى اللغات العالمية ، وترجمة أهم الكتب والمجلات الأجنبية

المتخصصة في علم النفس إلى اللغة العربية .

٣- تشجيع البحوث النفسية ، خاصة التطبيقية وربطها بخصائص العالم العربي الإسلامي .

٤- ضرورة توحيد المصطلحات النفسية على مستوى العالم العربي الإسلامي ،

وذلك بوضع قواميس موحدة.

٥- إصدار دوريات نفسية عربية إسلامية متخصصة في فروع علم النفس .

٦- عقد ندوات وملتقيات ومؤتمرات دورية ودولية لعلم النفس في العالم العربي الإسلامي .

دراسات الإطار الثاني :-

١٠- دراسة أبو حطب ، مؤاد (١٤٠٥هـ)

مخوان الحراسة :- علم نفس النمو من منظور إسلامي .

مخاض الحراسة :- انحصار الهدف الأساسي للدراسة في تقديم منظور إسلامي لعلم نفس النمو

من خلال بناء أسس إسلامية لعلم النفس الحديث .

محتوى الحراسة :- احتوت الدراسة على عدد من الموضوعات ، كان من أهمها التالي :

١- نحو منظور إسلامي لعلم النفس الحديث ، في محاولة الباحث لوضع هذا المنظور حدد

أسس معرفية يجب أن تقوم عليها عملية بناء المنظور الإسلامي لعلم النفس الحديث ،

هذه الأسس المعرفية تتمثل في :

أ - الهدف الأسمى من دراسة النفس التعرف على آيات الله تعالى .

ب - العلم عبادة .

ج - الكشف عن سنن الله تعالى .

د - سنن الله تعالى وقوانين العلم .

وجعل الباحث هذا المنظور العام مدخلاً لمنظور إسلامي لعلم نفس النمو ، فكانت النقطة المهمة في هذه الدراسة، وهي :

٢- نحو منظور إسلامي لعلم نفس النمو ، في هذا المنظور تناول الباحث آيات الله عز وجل في نمو الإنسان بالدراسة والشرح ، متتبعاً بها مراحل النمو الإنساني ، مبيناً السننية في آيات الله الكريمة وقوانين العلم في نمو الإنسان .

١١ - دراسة الفرقاوي ، موسى علي (١٤٠٩هـ)

مخوان الحراسة :- نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية " دراسة تحليلية نقدية في ضوء مفهوم هذه الطبيعة في القرآن الكريم " .

مخاض الحراسة :- استهدفت الدراسة تحديد مفهوم الطبيعة الإنسانية ، التي يمكن للعمليّة التربوية أن تعتمد عليها في تشكيلها لجوانب شخصية الإنسان من القرآن الكريم .

محتوى الحراسة :- احتوت الدراسة على التالي :

١- تحديد جوانب مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم ، وهي : الجانب الجسمي ، الجانب العقلي ، الجانب النفسي ، الجانب الإنفعالي ، الجانب الروحي ، الجانب الاجتماعي .

٢- مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم .

٣- تحليل مكونات الطبيعة الإنسانية في الفكر الفلسفي في ضوء المفهوم القرآني الشامل لها .

منهج الدراسة : - استخدم الباحث منهجاً معيناً للتوصل إلى مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم ، وكانت خطواته كالتالي :

- ١- تناول مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية بصفة عامة ، ثم مفصلة بعد ذلك في جزئيات .
- ٢- الاعتماد على إعادة قراءة الآيات القرآنية حسب ترتيب نزولها ، مكية فمدنية ، مع كل مكون من مكونات مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم .
- ٣- أسباب نزول الآيات ؛ لإلقاء الضوء على المواقف التي استدعت نزولها لتكون هادياً ومفسراً .
- ٤- الاعتماد على ما أجمع عليه النقاد ، مع الإبتعاد عن التفسيرات التي تروج لمذهب أو فرقة معينة .
- ٥- إتباع الناسخ والمنسوخ من آيات القرآن الكريم .

نتائج الدراسة : - توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج ، من أهمها التالي :

- ١- أن مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفكر الفلسفي لا يمثل إطاراً عاماً ، يمكن من أن يكون مفسراً لجوانب الطبيعة الإنسانية في كل زمان ومكان .
- ٢- مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم أشمل وأعم من تلك المكونات الجزئية أو الثنائية التي قدمها الفلاسفة.
- ٣- إن مفهوم الطبيعة الإنسانية في القرآن الكريم أعم وأشمل من مفهوم الطبيعة الإنسانية في الفكر الفلسفي ، فيما يتعلق بالموازنة بين مطالب الفرد ومطالب المجتمع .
- ٤- توصلت الدراسة إلى أن الكتابات التي تناولت قضية تفسير الطبيعة الإنسانية ، وتحليلها

إلى مكوناتها لا ترقى إلى مستوى النظرية ، حيث إن النظرية تعتمد على القوانين التي تتحقق في الواقع التجريبي ، أما كل ما كتب فهو مجرد آراء تقبل الصواب والخطأ وتعرض للإنقادات .

وبناء عليه فالدراسة تناولت تلك النظريات من منظور نظرات أو آراء بدلاً من نظريات .

١٢ - حراسة النغمشي ، عبد العزيز محمد (١٤١٠هـ)

مخوان الحراسة :- الإرشاد النفسي " خطواته وكيفيته " نموذج إسلامي مع التطبيق على مرحلة الشباب.

هدف الحراسة :- تهدف الدراسة إلى عرض صورة إجمالية لعملية الإرشاد ، وتتضمن بعض الشروط والأساليب ، وبعض النظريات والحقائق الأساسية في عملية الإرشاد ، مما تفتقده عملية الإرشاد في البيئة الإسلامية الحالية .

محتوى الحراسة :- احتوت الدراسة على الموضوعات التالية :

- ١- أهداف عملية الإرشاد .
- ٢- معرفة المسترشد .
- ٣- صفات المرشد من منظور إسلامي .
- ٤- رؤية المنهج الإسلامي للنفس البشرية .
- ٥- كيفية تشكيل الشخصية الإنسانية من خلال المنهج الإسلامي .
- ٦- الحاجات وضوابط إشباعها في ضوء منهج الإسلام .
- ٧- عرض مقارنة مختصرة بين المدرسة النفسية الإسلامية وبين مدارس علم النفس في

النظرة إلى طبيعة الإنسان ، وإلى أسس بناء شخصيته ، ونظرتها للإرشاد .

١٣ - دراسة بار ، محمد المizan ملا معمور (١٤١٣هـ)

مخوان الحراسة : - العلاج النفسي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية .

محتوى الحراسة : - اشتملت الدراسة على عدد من الموضوعات من أهمها التالي :

١- المقدمة : والتي ذكر فيها الباحث عناصر خلق الإنسان .

٢- حدد المرتكزين الأساسيين لكل التشريعات ، وهما :

أ - القرآن الكريم .
ب - السنة النبوية .

٣- أمثلة لعلاج بعض الأمراض النفسية من هدي السنة النبوية .

٤- طبيعة التكوين الإنساني في ضوء الدين الإسلامي .

٥- مراحل التكوين الإنساني في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

٦- العلاقة الإرشادية العلاجية الإنسانية .

٧- تقديم خطة علاجية تساعد المرشد المعالج في إختيار نوع العلاج النفسي والتربوي

والمهني الملائم للمسترشد .

٨- المعايير والضوابط الأخلاقية للخدمات التربوية والنفسية من المنظور الإسلامي .

٩- النتائج والأهداف الإرشادية بوجه عام .

١٤ - دراسة الشناوي ، محمد محروس (١٤١٣هـ)

مخوان الحراسة : - الإرشاد النفسي من منظور إسلامي .

مخوة الحراسة : - هدفت الدراسة إلى محاولة إعداد تصور نظري مبسط لعمل المرشد المسلم

في ضوء المنهج الإسلامي .

محتوى الحراسة : - احتوت الدراسة على الموضوعات الرئيسة التالية :

- ١- أسباب إخفاق نظريات الإرشاد والعلاج النفسي الغربية .
- ٢- استعراض وتوضيح للمباحث الأساسية للأطر النظرية للإرشاد والعلاج النفسي وهي :
 - أ - طبيعة الإنسان كما وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة .
 - ب - نمو الشخصية وتطورها في ضوء المنهج الإسلامي .
 - ج - اضطرابات الشخصية في ضوء المنهج الإسلامي .
 - د - العلاج النفسي في ضوء المنهج الإسلامي .
- ٣- الأسس التي يقوم عليها الإرشاد والعلاج النفسي في الإسلام .
- ٤- صفات المرشد في ضوء المنهج الإسلامي .
- ٥- أخلاقيات الإرشاد .

٥- حراسة عز الدين ، توفيق محمد (١٤١٣هـ)

عنوان الحراسة : - الآفاق التي يفتحها القرآن الكريم للبحث النفسي .

محتوى الحراسة : - هدفت الدراسة إلى :

١- التفسير العلمي للآيات القرآنية التي تناولت الظاهرة الإنسانية في جانبها النفسي ، أو

تناولت النفس الإنسانية واحوالها .

٢- تحديد الآفاق التي تفتحها الدراسة العلمية لآيات النفس في القرآن الكريم .

محتوى الحراسة : - تناول الباحث الموضوعات التالية في دراسته :

١- القرآن الكريم ليس كتاب علم ، ولكن العلوم تكون في خدمة أغراضه .

٢- معنى كلمة نفس في القرآن الكريم .

٣- أمر القرآن الكريم بالتفكر في النفس وتركيتها وحفظها ، مع بيان الطريقة العلمية

لامتثال هذا الأمر القرآني .

٤- السنن الطبيعية والسنن الاجتماعية .

٥- العلاقة بين خلق النفس وتكليفها .

٦- العلاقة بين الفطرة والبيئة .

٧- العلاقة بين النفس والشيطان .

٨- أحوال النفس الإنسانية في القرآن الكريم .

٩- آفاق واسعة للبحث النفسي .

نتائج الدراسة : - كان من أهم نتائج الدراسة ما يلي : إنه لتحقيق فهم أوسع وأعمق لآيات

القرآن المتصلة بموضوعات الدراسات النفسية لابد من توظيف العلوم الطبيعية والإنسانية إلى

جانب العلوم الشرعية واللغوية .

١٦ - حراسة الدواجن ، محاضرات إبراهيم (١٤١٧ هـ)

مخوان الدراسة : - المنظور الإسلامي للطبيعة الإنسانية .

محددة الدراسة : - تهدف الدراسة إلى محاولة الإسهام في بلورة التصور الإسلامي للطبيعة

الإنسانية ، في الإطار الذي يمكن استخدامه لتفسير المشكلات الفردية والاجتماعية التي يأتي بها

العملاء للأخصائي الاجتماعي ، والاعتماد على ذلك التصور كأساس يوجه التدخل المهني في

الخدمة الاجتماعية .

محتوى الدراسة : - تناولت الدراسة موضوع الطبيعة الإنسانية من خلال العناصر التالية :

١- ماهية الإنسان من خلال الآيات القرآنية الكريمة والسنة النبوية المطهرة ، والتي دارت

حول النفس والروح والجسد والعلاقة بينهما ، وأيضاً معاني العقل والقلب والعلاقة

بينهما .

٢- الإرادة الإنسانية ودورها في تحقيق الطمأنينة لنفس الإنسان .

٣- الغاية من خلق الإنسان ، والمغايرة تماماً للمنظور الغربي ألا وهي عبادة الله عزوجل ؛

والتي تشمل الخلافة وعمارة الأرض .

٤- صفات الإنسان التكوينية والتمثلة في حب الشهوات ، الهلع والجزع ، البخل ، العجلى ،

الضعف ، الظلم والجهل ، الكفر والجحد بالنعمة ، الجدل ، المكابرة ، الإنسان خطاء .

الدراسات السابقة ومدى علاقتها بالدراسة الحالية : -

أولاً : من خلال استعراض الباحثة للدراسات السابقة يمكن إجمال أهم النقاط التي اتفقت

عليها غالبية الدراسات السابقة في مجال التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، على ما يلي :

١- أن تكون جميع الدراسات النفسية نابعة من مصدري الإسلام الرئيسيين وهما : القرآن

الكريم ، والسنة النبوية المشرفة .

٢- أن تحدد المسلمات الأساسية الأصول الإسلامية الثابتة في الشريعة الإسلامية عند دراسة

النفس الإنسانية أولاً ، ثم المتغيرات التي تراعي ظروف العصر ثانياً .

٣- على ضوء مصدري الإسلام الرئيسيين ، والثوابت ، والمتغيرات في الشريعة الإسلامية ،

يوضع النموذج المعياري الإسلامي للدراسات النفسية .

٤- كما أكدت بعض الدراسات على ضرورة التثبت من الاعتماد على كتب التفسير الشارحة للقرآن الكريم الموثوق بها ، مع الابتعاد عن التفسيرات التي تروج لمذاهب أو فرق معينة.

٥- التثبت من الأحاديث النبوية التي يستشهد بها ويعتمد عليها في دراسة النفس الإنسانية .

٦- أكدت بعض الدراسات على ضرورة قراءة التراث الإسلامي النفسي المتمثل في اجتهادات العلماء المسلمين الأوائل في الدراسات النفسية من منظور إسلامي نفسي معاصر .

٧- توضيح الأسباب التي تدعو إلى تأصيل أو توجيه علم النفس تأصيلاً إسلامياً ، مع بيان الاتجاهات التي تدور حول عملية التأصيل هذه .

٨- إبراز وتوضيح سيطرة الفكر الغربي على علم النفس الحديث .

٩- التحذير من مغبة الوقوع في بريق المصطلحات الغربية الملتوية .

١٠- تنقية علم النفس الإسلامي من هذه المصطلحات الدخيلة واللجوء إلى المصطلحات القرآنية والنبوية .

١١- توضيح نقاط الاختلاف في النظر للطبيعة الإنسانية بين النظرة الإسلامية والنظرة الغربية، مثل مفهوم الحياة والوجود والمصير

١٢- ضرورة التمكن من الدراسات النفسية الحديثة ، بكل موضوعاتها ونظرياتها ومناهج البحث فيها .

١٣- ضرورة قيام محاولات بحثية جادة لتأصيل كل ميدان من ميادين علم النفس مثل : علم

النفس العام ، علم نفس النمو ، علم النفس التربوي ، علم النفس الصناعي ، علم النفس العلاجي

١٤- إثارة اهتمام المتخصصين في علم النفس وأساتذته في الدول الإسلامية بفحص المادة العلمية التي يقدمونها لطلابهم فحصاً دقيقاً ، مع توضيح ما يتعارض منها مع المبادئ الإسلامية ، إلى أن تتكامل الدراسات الإسلامية النفسية في الوقت الحالي .

ثانياً : يتضح من عرض الدراسات السابقة أنها إما دراسات اهتمت بمنهجية التأصيل

الإسلامي لعلم النفس ، مع مناقشة الاتجاهات التي دارت حول موضوع التأصيل الإسلامي ، دون تناول ميادين علم النفس بالتأصيل ، وإما دراسات قامت بالتأصيل الإسلامي لبعض موضوعات علم النفس مثل : علم نفس النمو ، نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية ، الإنسان في الإسلام وأصله ، الجوانب المكونة لشخصية الإنسان المسلم ... أي أن كل دراسة تناولت جزءاً من موضوعات معينة داخل ميدان من ميادين علم النفس ، ولم تتناول الدراسات السابقة ميداناً من ميادين علم النفس بالتأصيل من جميع جوانبه ، عدا دراستي الشرفاوي (١٤٠٩هـ) وعز الدين (١٤١٣هـ) اللتين تناولت كل واحدة منهما ميداناً من ميادين علم النفس بالتفصيل ، أي أن هذه الدراسات قدمت خطوطاً عريضة وأساسيات للمؤصلين؛ تدعوهم فيها إلى ضرورة تناول موضوعات علم النفس بمنظور إسلامي بصورة أعمق وأوسع ، وعليه فقد استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في التالي :

١- التعرف على الأسباب التي تدعو للتأصيل الإسلامي لعلم النفس ، وأهداف ، وأهمية

عملية التأصيل ، من دراسات كل من السيد (١٤١٦هـ) ، وبديري (١٤٠٧هـ) ،

الخطيب (١٤٠٨هـ) .

٢- الوقوف على الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل والتعرف عليها من

دراسات كل من : السيد (١٤١٦هـ) ، وبديري (١٤٠٧هـ) ، وأبو حطب

(١٤١٣هـ) ، وعيسى (١٤٠٦هـ) .

٣- تحديد خطوات منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، فقد ساعدت دراسات كل

من : عيسى (١٤٠٦هـ) ، ومحمود (١٤١٣هـ) ، والشرقاوي (١٤٠٩هـ) ،

ونجاتي (١٤١٤هـ) ، والسيد (١٤١٦هـ) الدراسة الحالية في وضع خطوات

منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس .

٤- صياغة تصور إسلامي للنفس الإنسانية في ضوء أسس ومبادئ الإسلام الحنيف

من دراسات كل من : أبو حطب (١٤٠٥هـ) ، ونجاتي (١٤١٤هـ) ،

وحمادة (د . ت) ، والشرقاوي (١٤٠٨هـ) ، وعز الدين (١٤١٣هـ) ،

والدباغ (١٤١٧هـ) ، والصنيع (١٤١٦هـ) ، وبار (١٤١٣هـ) ،

والنغمشي (١٤١٠هـ) .

ثالثاً : أما هذه الدراسة الحالية فهي :

١- دراسة حاولت معرفة طبيعة النفس الإنسانية من جوانب متعددة ففي

ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة .

٢- دراسة سعت لأن تكون فيها نظرة متممة بالشمولية والتكاملية، في

تقديمها لرؤية مفصلة لهذه الطبيعة الإنسانية أطوارُ خَلْقٍ ، مَرَاهِل

تَخَلَّق ، دَوَافِع ، وَإِنْفِعَالَاتٍ مُسْتَبْصِرَةً بِمَا أُوصِيَتْ بِهِ نَتَائِجِ
الدراسات التي تم تضمينها سابقاً في الدراسة الحالية ، مستعينة
بالمنهجية المقترحة في تلك الدراسات ، متوجهة في عملها بتوفيق من
الله سبحانه و تعالى .

٣- أول دراسة دكتوراه تسجل في التأصيل الإسلامي لعلم النفس على
حد علم الباحثة في المملكة العربية السعودية ، وذلك من خلال ما
تلقتة من رواد جامعتها من قبل المؤسسات البحثية .

الفصل الثاني

اتجاهات وخطوات منهج عملية التأصيل

الإسلامي لعلم النفس

— مقدمة —

— الاتجاهات التي حارثت حول عملية

التأصيل الإسلامي لعلم النفس .

— خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس

في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة

النبوية المطهرة .

— مما لا يجب أن تتوخى في القائمين على

عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس .

إتجاهات وخطوات منهج عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس

مقدمة :

يمر العالم الإسلامي في أحواله الراهنة وزمنه الحالي بمصطلح يسمى الصحوة الإسلامية . هذا المصطلح يهدف إلى إعادة النظر في الإطار الغربي العلماني لمعظم العلوم الواردة بنظرياتها ، وتخصصاتها العلمية المختلفة .

ظهر هذا الاتجاه بعد أن بدأ العالم الإسلامي يفيق من نشوة الانتصارات والإنجازات المادية التي حققها الغرب ، وبعد أن بدأ يفيق أيضاً من التبعية المطلقة والانبهار بكل ما يرد من الغرب . (عيسى ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣١)

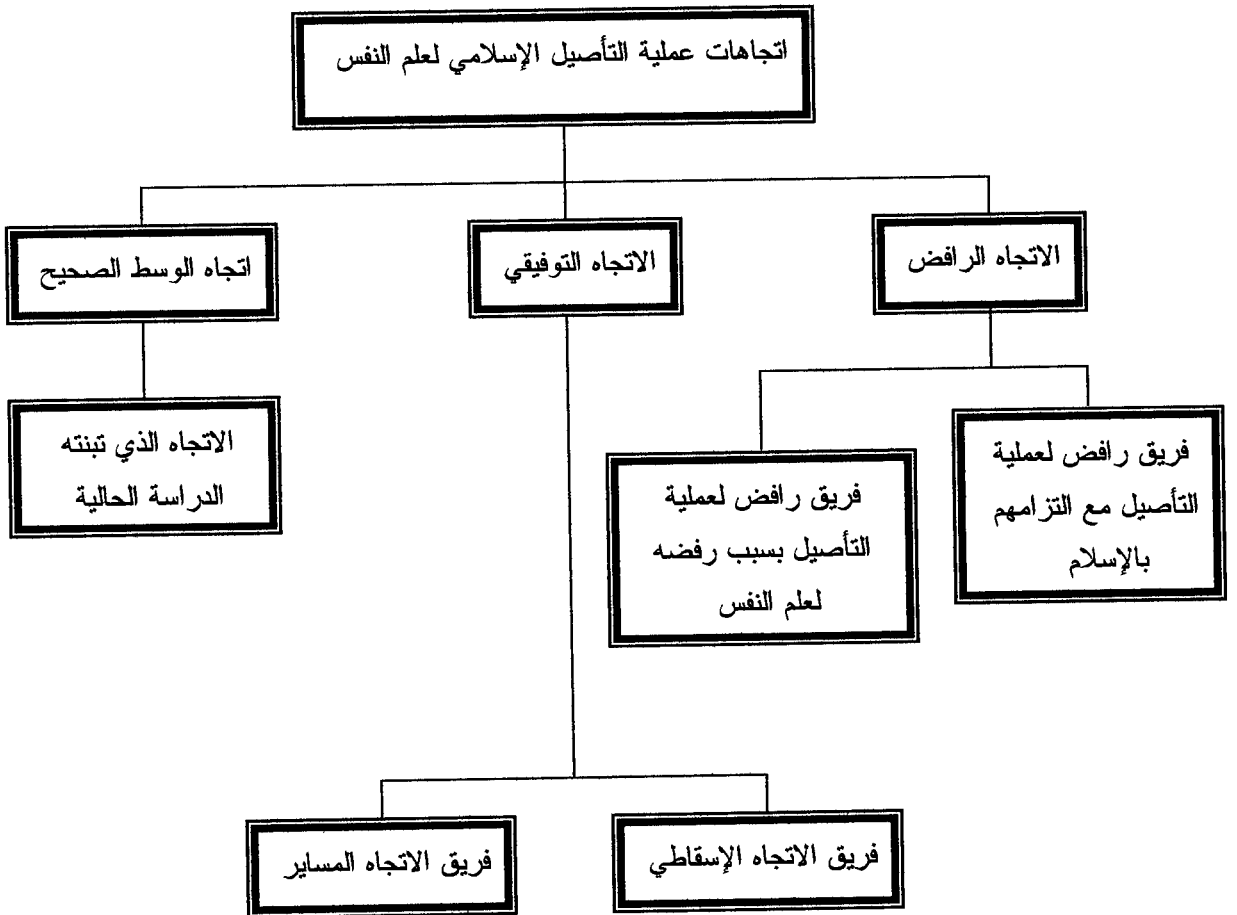
ولقد شاعت إرادة الله عز وجل المتمثلة في الآية الكريمة التي تقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُمُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ (سورة الحجر، آية ٩) . أن يهيئ لهذه الصحوة الإسلامية كتاب

إسلاميين متحمسين،ابتدأوا بالدعوة إلى غربلة جميع العلوم من الفكر الغربي المعادي للإسلام ، وصبغ ما يستفاد من تلك العلوم الغربية صبغة إسلامية . وكان من بين هذه العلوم علم النفس ، وهو العلم الذي قامت هذه الدراسة بتأصيله ، إلا أن هذه الصحوة الإسلامية ، وهذه الدعوة التأصيلية واجهت العديد من الاتجاهات ما بين مؤيد ومعارض ، وما بين محايد لا إلى هذا ولا إلى ذلك ، ونتيجة لوجود اصحاب الاتجاه المؤيد لعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ؛ قامت دراسات تأصيلية هدفت إلى وضع خطوات منهجية للتأصيل الإسلامي لعلم النفس استنادت منها

الباحثة في تقديم خطوات منهجية للتأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وهذا الفصل سيتناول أولاً الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، ومبررات هذه الاتجاهات ، ثم ثانياً محاولة وضع منهج لعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، وينتهي بعرض سمات لابد من توفرها في من يقوم بعملية التأصيل الإسلامي .



شكل رقم (٣)

يوضح الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس

أولاً : - الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم

الذفس :

لقد دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ثلاثة اتجاهات تمثلت في :

١ - الاتجاه الرافض لعملية التأصيل .

٢ - الاتجاه التوفيفي .

٣ - اتجاه الوسط الصحيح .

وفيما يلي ستعرض الباحثة هذه الاتجاهات الثلاثة مع توضيح للمبررات التي ارتكز

عليها أصحاب كل اتجاه .

الاتجاه الأول : هو الاتجاه الرافض لعملية التأصيل : وأصحاب هذا الاتجاه ينقسمون

إلى فريقين :

أ- فريق رافض لعملية التأصيل مع التزامهم بالإسلام .

آ- فريق رافض لعملية التأصيل ؛ بسبب رفضهم لعلم النفس الغربي .

أ- الفريق الرافض لعملية التأصيل مع التزامهم بالإسلام : وهؤلاء من الذين يفصلون بين علم النفس وبين الإسلام ، ويرفضون الانتقادات الموجهة لعلم النفس باعتباره علماً مستقلاً قائماً بذاته ، له أصول غربية بحتة ، ومناهج لا يتفق بعضها مع الفكر الإسلامي وأخلاقياته ، ويعتبرون علم النفس علماً ، والإسلام ديناً . ويحترمون ويقدرّون كل اتجاه من العلم والدين .

(السيد ، ١٤١٦هـ ، ص ١٤٦)

كما يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه يجب أن لا يتم الخلط بين كل من الدين والعلم ، مع أنهم حريصون على أداء فرائض الإسلام ، مجتنبون كبائر ما ينهاون عنه ، ولكنهم يتناسون أو يغفلون عن المنهج المتكامل للإسلام في الحياة والكون ، في الدنيا والآخرة ويطلق على هذه الفئة من المتخصصين النفسيين ، فئة المفتتتين بعلم النفس الغربي، المنبهرين بوسائله وأدواته التجريبية والقياسية المبتكرة . (بدري ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٠)

هذا الافتتان جعلهم يقبلون على كتب ونظريات وتطبيقات علم النفس الغربي بكل تياراته وإن كانت مواقفها متناقضة مع الإسلام ، محققين وصف الرسول عليه الصلاة والسلام لهم في مثاله جحر الضب الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام ويصف حالة التقليد هذه فيقول : " لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لا تبعوهم : قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟ " . (البخاري ، ١٤٠٧هـ ، كتاب الاعتصام ، ج ١٣ ، ص ٣١٢)

ولقد ذكر كل من أبو حطب (١٤١٣هـ ، ص ١٦٢) و السيد (١٤١٦هـ ، ص ١٤٦) عدة أسباب يسوقها أصحاب هذا الاتجاه لتبرير موقفهم هذا ، وتلخصه الباحثة في التالي :

" أ — بناء الهوية العلمية والمهنية لعلم النفس على أساس دراسة وتدريس ، وبحث وممارسة علم النفس بصورته الراهنة كما صنعها وطورها الغرب .

ب — إدراك علم النفس الحديث على أنه نتاج الغرب المتقدم حضارياً وثقافياً ، والتفوق الحضاري لهؤلاء لا بد له أن يكون شاملاً لمختلف جوانب الحياة ، ومنها العلم .

جـ - الاعتقاد بأن التفوق الحضاري الغربي في مجال العلوم الطبيعية والبيولوجية^(١)، وفي الاختراعات والتكنولوجية^(٢)، صاحبه بالضرورة تقدم في العلوم الإنسانية والاجتماعية ومنها علم النفس .

د - العلم سواء كان علماً طبيعياً أم إجتماعياً إنسانياً ذو طبيعة محايدة ثقافياً، وبالتالي يمكن الاستفادة من التقدم الحضاري للغرب باستيراد صفة العلم كاملة منه .

هـ - الاعتقاد بأن عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس تعني الدعوة للاعتماد الكامل على التراث الإسلامي القديم ، وإهمال موضوعات علم النفس الحديث. والتراث فكر قديم وغير معاصر ولا صلة له بموضوعات علم النفس الحديث ."

٢ - الفريقد الرافض لعملية التأصيل من منطلق رفضه لعلم النفس الغربي:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن علم النفس الغربي يقوم على مفاهيم خاطئة تجعلهم يرفضون هذا العلم، ويعتبرونه دخيلاً على الإسلام ، حيث يرون أن علم النفس الغربي هو علم:

أ - يغلب عليه الاتجاه المادي البحث في دراسته للسلوك الإنساني .

ب - يقوم على أساس الطبيعة الحيوانية للإنسان والمتمثلة في النظرة الدارونية .

جـ - يعتمد على نظريات الغرائز والتحليل النفسي أكثر منه دراسة لطبيعة النفس الإنسانية

السوية ، فهو علم ينظر للحالات الشاذة والمرضية ويفسر بها كل جوانب السلوك

١- علم الأحياء .

٢- التقنية ، الفنية .

الصادرة عن الإنسان .

د — يستخدم المنهج التجريبي الذي يجزيء السلوك، ويقوم بعمليات التعميم غير الصحيحة.

هـ — لا يعتبر علماً بالمعنى المتعارف عليه للعلم ولا تنطبق عليه شروط العلم الواجبة في الإسلام .

و — أهمل الجانب الإيماني والجانب الروحي وتأثيرهما في النفس الإنسانية إهمالاً كبيراً.

وعليه فأصحاب هذا الاتجاه يرون أن علم النفس بكل فروعه ولید شرعي للحضارة الغربية ، وأن العالم الإسلامي ليس بحاجة لتأصيل هذا العلم ، وإنما هو بحاجة لعلم نفسي إسلامي مستمد من الكتاب الشريف، والسنة المطهرة ، وتراث السلف الصالح ، وعلماء النفس المسلمين الأوائل. (أبو حطب ، ١٤١٣هـ ، ص ١٣٤) و (بدري، ١٤٠٧هـ ، ص ٧)

الاتجاه الثاني : هو الاتجاه التوفيقية : ينقسم أيضاً أصحاب هذا الاتجاه إلى قسمين في

محاولتهم للتوفيق بين الدراسات النفسية الغربية والنظرة الإسلامية للنفس الإنسانية :

١- فريق الاتجاه الإسقاطي .

٢- فريق الاتجاه المسير .

وهذان الاتجاهان يمكن توضيحهما في التالي :

١- **فريق الاتجاه الإسقاطي :** الذي يقول عنه أبو حطب (١٤١٣هـ) بأنه يتم

من خلال: " قراءة القرآن الكريم على نحو يتفق مع وجهة المتخصصين النفسيين

المعرفية، وبطريقة توفر لهم حلاً لتنافرهم المعرفي ، وكذا السنة النبوية المطهرة ،
وتراث العلماء المسلمين " . ص ١٧٣

وهم في هذا كأنهم يترجمون المفاهيم النفسية الأساسية في الإسلام ، ثم يستشهدون
ببعض ما يكتب في علم النفس ؛ لأنهم يحاولون إثبات سبق للإسلام في هذه الأمور ،
ويقولون إن القرآن قد جاء بهذه النظريات من قبل ، كما إن الرسول عليه الصلاة والسلام
قد قال بما قال به الباحثون الغربيون قبلهم. (عيسى ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٢)

ك- فريق الاتجاه المماير : والذي يستخدم المفاهيم النفسية الغربية الشائعة والمبديء
والنظريات والممارسات ، ثم يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة،
وفي بعض الأحيان يكون الإستشهاد مبتسراً ، وقد ينقصه صفاء الرؤية والفكر المميز ،
فجده لا يختلف عن علم النفس الغربي الدارج إذا ما حذفت هذه الآيات والأحاديث منه ،
وهذا ما أكدته كل من : (بدري ، ١٤٠٧هـ ، ص ٣٢) و (أبو حطب، ١٤١٣هـ ، ص ١٧٥)

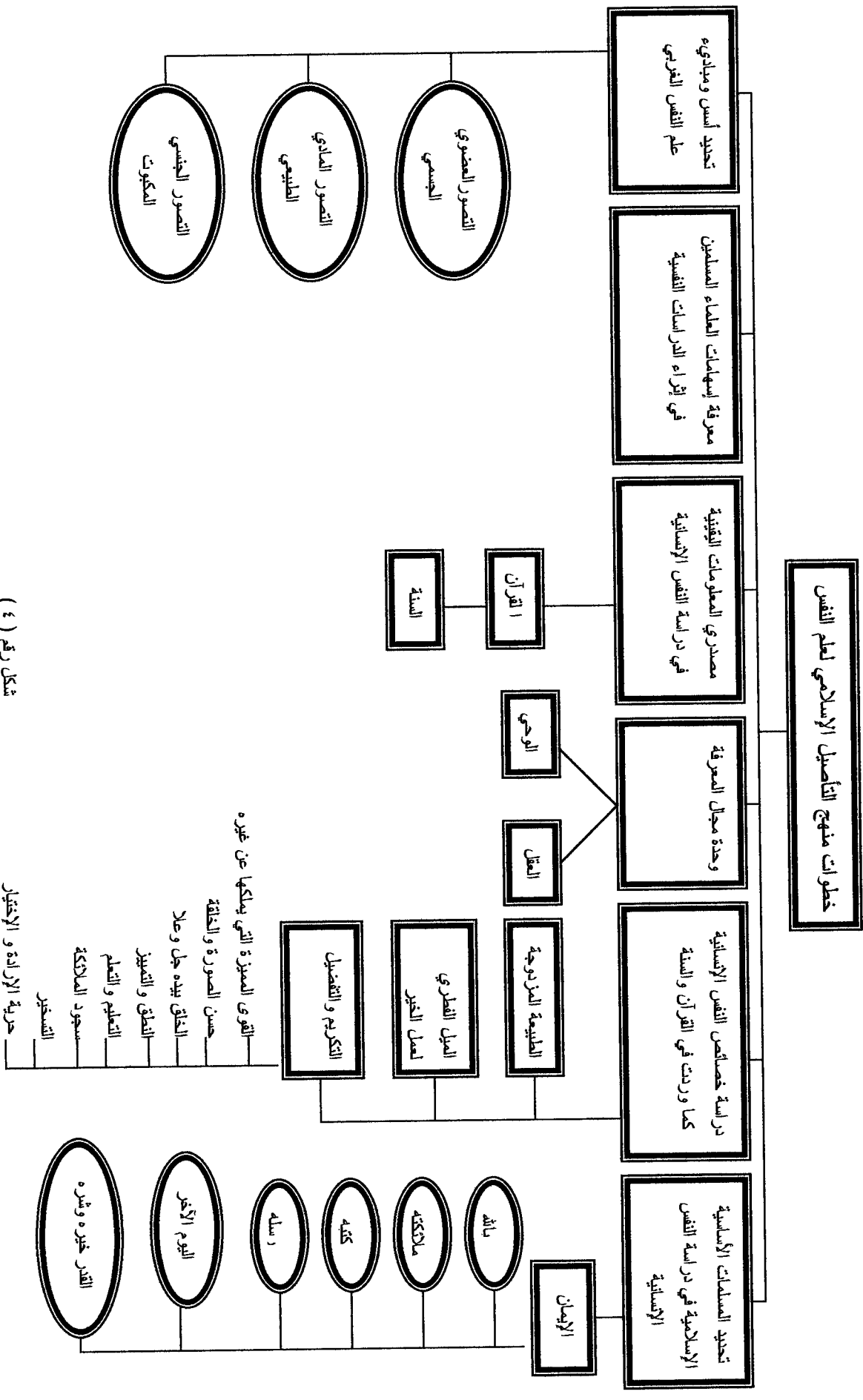
الاتجاه الثالث : هو اتجاه الوسط الصحيح : أصحاب هذا الاتجاه هم من الذين يعترفون
لعلم النفس الغربي بأهميته وفوائده ، لكنهم في الوقت نفسه لا ينسون الخلفية الفلسفية الغربية لهذا
العلم؛ فيكون دور المؤصل لعلم النفس من أصحاب هذا الاتجاه مميزاً للخبيث من الطيب في هذا
الركام الواسع لهذا العلم . ويشعر أصحاب هذا الاتجاه بأنهم مسلمون مؤمنون أولاً ثم
متخصصون نفسييون ثانياً ، وهذا التخصص يجب أن يُسخر لخدمة الإسلام بمفهومه الإنساني
الشامل .

والعاملون لتحقيق هذا الاتجاه الصحيح يحرصون على التحرر من هيمنة علم النفس الغربي عن طريق توضيح عيوب بعض نظريات هذا العلم وممارساته التجريبية ، ومعارضتها لتعاليم الإسلام الحنيف ، إلا أنهم أيضاً أكثر حرصاً على الاستفادة من كل ما هو مفيد في هذا العلم علم النفس مطبقين قول الرسول عليه الصلاة والسلام : " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن^(١) أنى وجدها"^(٢) إنقطها فهو أحق الناس بها " . (ابن ماجة ، كتاب الزهد ، ج ٢ ، ص ١٣٩٥)

إذاً فأصحاب هذا الاتجاه ينادون بالأخذ بالمبديء الصحيحة والأسس الشرعية للإسلام ، مع الاستفادة مما توصل إليه علماء علم النفس الغربي (الحديث) استفادة تساعد على تحقيق أوامر الله عز وجل في عمارة الأرض وتطبيق أسس الخلافة للإنسان . فيكون نهجهم الذي ينتهجونه في تحقيق هذا الاتجاه هو وضع الأسس والمبديء الإسلامية العامة وخطط العمل ، مع تطبيقها على كل فرع من فروع علم النفس ، عملاً بإعادة النظر في تعريفات علم النفس، ومناهجه ، و ميادينه ، ونظرياته ... حسبما أوضحه كلٌّ من : (بدري ، ١٤٠٧هـ ، ص ٤٢) و(عيسى ، ١٤٠٦هـ ، ص ٣٣)

والباحثة قد تبنت اتجاه الوسط الصحيح ؛ لأن منطلق هذا الاتجاه يتوافق مع الهدف الذي سعت إلى تحقيقه هذه الدراسة الحالية ، بتوفيق من الله عز وجل .

-
- ١- (ضالة المؤمن) : أي مطلوبة له بأشد ما يتصور في الطلب ، وليس المطلوب الإخبار بل المطلوب الإرشاد كالتعليم . أي اللائق بحال المؤمن أن يكون مطلوبه الكلمة الحكمة .
 - ٢- (أنى وجدها) أي ينبغي أن يكون نظر المرء إلى القول لا القائل .



شكل رقم (٤)

يوضح خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس

ثانياً : - خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء

توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة :

لتكون عملية تأصيل علم النفس عملية تطبيقية علمية ؛ يجب أن تتبع هذه العملية خطوات منهجية مستبصرة بتعاليم الإسلام الحنيف ، كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، واجتهاد المجتهدين من الأوائل ، وتراث العلماء المسلمين ؛ لتخرج هذه العملية بتطبيق إسلامي منهجي يتبع في تأصيل كل فرع من فروع علم النفس المتعددة على حدة ، ولتصبح منهجاً يتبعه مؤلفو ومدرسو علم النفس في العالم الإسلامي .

وفيما يلي نموذج مقترح لخطوات منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس تو

اقتراحه من قبل الباحثة بعد القراءة المستفيضة في الكتب والدراسات السابقة :

الخطوة الأولى : - تحديد مسلمات الإسلام الأساسية في دراسة النفس الإنسانية:

هذه المسلمات تعتبر أصولاً أو ثوابت للشرعية الإسلامية ؛ والتي تستند الباحثة عليها باعتبارها قواعد مرجعية ، عند تحليلها ونقدها لموضوعات علم النفس الغربي ، وعليها سيتم وضع أسس علم النفس الإسلامي التي تسعى الدراسة الحالية إلى تحديدها . هذه المسلمات هي :

١- الإيمان : الإيمان لغة يعني التصديق والاعتقاد . (ابن منظور ، د.ت ، ج ١ ، ص ١٤١)

والإيمان كما عرفه ابن تيمية (١٤١٢هـ ، ج ٧) " بأنه : إقرار باللسان ، وتصديق

بالقلب ، وعمل بالجوارح " . ص ٦٤

وأيضاً يعرفه القرضاوي (١٤١٤هـ) بأنه : " التصديق المطمئن الثابت المستيقن

الذي لا يترزع ولا يضطرب ، ولا تهجس فيه الهواجس ، ولا يتلجج فيه القلب والشعور " . ص ١٧

والإيمان أخص من الإسلام وأعلى منه درجة ، فالعبد لا يبلغ درجة الإيمان حتى يتمكن في قلبه التصديق والثقة واليقين بالله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام ، وللايمان ثمار ، تثمر في النفس الإنسانية سلوكاً إيجابياً ، من هذه الثمار أنه :

١- ينجي من الأمراض النفسية والعصبية ويقي منها ، فيحفظ توازن الإنسان حينما يقر بمشيئة الله تعالى التي ورتت في قوله عز وجل : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ

إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (سورة التكويد، آية ٢٩) . فالمؤمن لا يلجأ

إلى الانتحار ، ولا إلى الانحراف ، ولا إلى الهروب من الواقع ، إنما يكون من الصابرين الشاكرين ، الحامدين ... الذين يهدفون إلى جني ثمار هذا الصبر ، والشكر ، والحمد ، الذين تشير إليهم الآيات الكريمة التاليات ، التي يقول فيها عز وجل : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا

وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة آل عمران، آية ٢٠٠) . ويقول

جل من قال : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ

رَاجِعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، آية ٦٠) . وعن وجل القلوب يقول بن تيمية

(١٤١٢هـ ، ج ٧) : أن الوجل يتضمن الخشية والخوف من الله عز وجل ، كلن

يهم الإنسان بالمعصية أو الذنب ويذكر مقامه بين يدي الله جل وعلا ؛ فيترك

المعصية خوفاً منه سبحانه وتعالى ، فيصبح من المفلحين المذكورين في

قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٤٠﴾

(سورة البقرة، آية ٥) ، ويتحقق هذا الفلاح عن طريق إتباع هدى رب العزة والجلال،

وبالتالي يكون جزاء المفلحين من رب العباد ما ذكر في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا

مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ

﴿٤١﴾ (سورة النازعات، آية: ٤٠-٤١) . وفي قوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ (سورة الرحمن، آية ٤٦) .

٣- يفجر منابع الخير في النفس الإنسانية ، مع تغليب منابع الخير على

المنابع السيئة في النفس ، بذلك نجد المؤمن لا يغل ، ولا يحسد ، ولا يحقد ،

ولا يبغض...، وفي هذا مدح الله عز وجل رسوله عليه الصلاة والسلام في

قرآنه الكريم بحسن خلقه ، حين قال جل من قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

﴿٤١﴾ (سورة القلم ، آية ٤) .

من هذا الخلق العظيم المتمثل في قنوتنا عليه الصلاة والسلام

نموذجاً يقنمه رب العزة والجلال في وصية لقمان لابنه وهو يعظه ، فيقول

سبحانه وتعالى : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ
وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي
مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

(سورة لقمان ، آية ١٧ - ١٩) .

٣- يحقق الأمن للنفس الواحدة وبالتالي للمجتمع ، الأمر الذي يحفظ على الأمة
تماسكها وكرامتها . فالإيمان حينما يعمر القلوب يجعلها تشعر بالأمان
والأطمئنان ، وهذا الإحساس في ذاته دافع قوي للمسلم يجعله حريصاً على أن
يكون دائماً في موضع ينال فيه رضا الله المطلع على كل أحواله ، إلى أن يصير
ذلك الحرص جزءاً من تكوينه الذي يشكل منهج سلوكه ، وسمة أخلاقه .

(الجيوشي ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٨) و (علي ، ١٤١٧هـ ، ج ١ ، ص ٢٠)

وفي مجال التطبيق العلمي والعملية لهذا المنهج الإيماني لتأمل حديث
الرسول عليه الصلاة والسلام ، الذي يوجه فيه ابن عباس رضي الله عنهما وهو
يقول له: " يا غلام ، ألا أعلمك كلمات ، إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، تعرف على
الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ،
وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء
لم ينفعوك إلا بشيء كبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كبه الله

عليك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا " . (الترمذي ،

د.ت ، كتاب صفة القيامة ، ج ٤ ، ص ٥٧٦)

٤- يولد الأمل في النفس ، ذلك أن المؤمن أوسع الناس أملاً وأكثرهم تفاؤلاً

واستبشاراً ، ودفعاً لليأس ، وأبعدهم عن التشاؤم والضجر والتبرم ، فالإيمان

والأمل متلازمين ؛ لأن في الإيمان التصديق بقوة الله العليا التي تدبر هذا

الكون ، والتي لا يخفى عليها شيء ، ولا تعجز عن شيء ، فرحمة الله جل

وعلا غير متناهية ، وكرمه غير محدود ، فهو يجيب المضطر إذا دعاه ،

ويكشف سوء ، ويغفر الذنب ، ويقبل التوبة عن عباده ، ويجزي الحسنه

بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ،

ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، والمؤمن الذي يعتصم بهذا الإله البر

الرحيم يعيش على أمل لا حد له ، ورجاء لا تنفصم عراه ، وإلى ذلك تشير

الآيات الكريمة التالية التي يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ

الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ (سورة الصافات ، آية ١٧٢ -

١٧٣) . ويقول جل من قال : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا

تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

﴿ (سورة الزمر ، آية ٥٣) .

٥ - يجعل من الفرد منتجاً ، مدركاً لقيمة الوقت ، حينما يحدد له وقت العبادة ،

وزمن سعيه لتعمير الأرض بالعمل المقبول المشروع ، فيقول سبحانه وتعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ

وَالِيهِ النُّشُورُ ﴿١٠﴾ (سورة الملك ، آية ١٥). ويقول جل من قال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ

الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ (سورة الجمعة ، آية ١٠) .

كما يدعو النبي صلى الله عليه وسلم للعمل بكل أنواعه فيقول : " لأن يأخذ

أحدكم أحبله ، ثم يأتي الجبل ، فيأتي بجزمة من حطب على ظهره ، فيبيعها ، فيكف الله بها

وجهه خير له من أن يسأل الناس اعطوه أو منعه . " (البخاري ، كتاب الزكاة ، ج ٣ ، ص

. (٣٩٣)

٦- يُخَلِّصُ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْخُنُوعِ لِكُلِّ قُوَّةٍ فِي الْأَرْضِ مَهْمَا قُوَّتِ

وعظمت ، ماعدا قوة الله الخالق عز وجل وعظمته ، وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة الكافرون،

آية ١-٢) . ويقول جل وعلا: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ

أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا

وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ (سورة الشورى ، آية ١٥) . ويقول عز من قال : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ

الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ

قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ (سورة المائدة ، آية ٧٧) .

وفي ذلك يأتي التوجيه النبوي للشخصية المسلمة والتي يطلب فيها عليه

الصلاة والسلام من الإنسان أن لا يذل ولا يجبن ولا يتبع أي قوة مهما تعاضمت ،

بل عليه أن يحقق شخصيته المتميزة التي تقيس الأمور بمقدار ما تجلبه من رضا

الله ، وبمقدار ما تحققه من نفع للنفس والناس . (القرضاوي، ١٤١٤هـ ، ص

ص ١٢٥ - ١٦٥)

فيقول عليه افضل الصلاة والسلام " لا يكن أحدكم أمعه يقول أنا مع الناس ، إن

أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن

أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم " . (الترمذي ، كتاب البر والصلة ، ج ٤ ، ص ٣٢٠)

هذا التصديق المشار إليه في تعريف الإيمان يكون لله وملائكته ، وكتبه ،

ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وهو الذي أشارت إليه الآية

القرآنية التي يقول فيها جل من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ

بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

(سورة النساء ، آية ١٣٦) .

أ - الإيمان بالله (التوحيد) : فإن عقيدة التوحيد هي المقوم الأول للتصور الإسلامي لكل

نشاط إنساني جسدي ، أو عقلي ، أو انفعالي ، أو اجتماعي . والتوحيد هو أول الثوابت الإسلامية ومصدر باقي المسلمات الفكرية والإيمانية التي أمرنا بها الحق جل وعلا ، والتي تمثلت في لا إله إلا الله محمد رسول الله . هذه الكلمة تمثل عنوان العقيدة الإسلامية ، وفيها إعلان ثورة على جبايرة الأرض وطواغيت الجاهلية ، كما أن فيها نداءً عالمياً لتحرير الإنسان من عبودية كل ما خلق الله ، فهي إيذان من الله بقيام منهج جديد ، ومولد مجتمع جديد، لا حاكم ، ولا مشرع ، ولا منظم لحياة البشر فيه إلا الله عز وجل.

وعليه فالعبودية المحضة والخالصة لا تكون إلا لله جل وعلا وأنه هو الله ، الواحد، الأحد ، الخالق ، الرازق ... ، ومن خلال هذا التصور لصفات الله عز وجل، تنشأ في القلب والعقل ؛ الاستقامة في السلوك ، والبساطة والوضوح. ونجد أصحاب عقيدة التوحيد يفتنون إلى منهج الله الذي من به عليهم ، المنهج الذي تقفده سائر المناهج والمذاهب الأخرى ، وهذا ما يؤكد كل من (قطب ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٠٧) و (القرضاوي ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤) ، مستندين إلى الآية الكريمة التي يأمر فيها رب العزة والجلال الإنسان بعبادته ، لأن الدين الحنيف هو فطرة الله التي فطر الناس عليها .. وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

(سورة الروم ، آية ٣٠) .

وفي هذه العقيدة يقول القرضاوي (١٤١٤هـ) : بأنها التي تحل لغز الوجود ، وتفسر للإنسان سر الحياة والموت ، وتجيب عن أسئلته الخالدة : من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟ فتجعله مؤمناً مصداقاً مطمئناً ثابتاً لا يتزعزع ولا يضطرب فيه القلب والشعور والعقل ، فيكون إيمانه فطري موجود منذ الأزل مع روحه . ص ١٩

ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ

ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ

تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ (سورة الأعراف، آية ١٧٢) .

ويقول قطب (١٣٩٨هـ) أن " في الآية درس من دروس التوحيد تعرض فيه

الفطرة التي فطر الله البشر عليها ، وأخذ الله عز وجل الميثاق لها من ذات

أنفسهم ، وذات تكوينهم وهم في عالم الذر ، فالاعتراف بربوبية الله وحده ، فطرة في

الكيان البشري أودعها الخالق في هذه الكينونة ، والرسالات تنكير وتحذير لمن ينحرفون

عن فطرتهم الأولى ، والرسل محذرين ومنكرين بعواقب الانحراف عن الفطرة " .

ص ١٣٩١

وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم: " ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو

ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنج البهيمة بهيمة جمعاء^(١) ، هل تحسون فيها من جدعاء^(٢) " . (البخاري ، كتاب

التفسير، ج ٨، ص ٣٧٢). وسيظل الإيمان بالله أساساً من أساسيات التركيب في طبيعة النفس الإنسانية، فلا قوام لهذه الطبيعة مالم تستند إلى فطرة الخالق جل وعلا، ويؤكد عليه الصلاة والسلام على تلك الفطرة مرة أخرى، في حديث آخر له فيقول فيه: "يقول الله عز وجل: إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم". (مسلم، د.ت، باب صفات أهل الجنة وأهل النار، ج ٨، ص ١٥٩)

لذا نجد المؤمن لا يرجو إلا فضل الله، ولا يخشى إلا عذابه عز وجل، قوي الإرادة والعزم لأنه مستمد قوته من إيمانه بربه متوكل عليه، يجد في هذا التوكل حصناً حصيناً يلجأ إليه، فهو لا يعمل لشهوة عارضة، ولا لمنفعة شخصية، ولا عصبية جاهلية، ولا ينحني لأحد من الخلق؛ لأنه يقف على أرض صلبة معتصم بالعروة الوثقى، مؤمن بأن معه خالق قوي عزيز جبار. (القرضاوي، ١٤١٤هـ، ص ٢٢٨)

فيكون ممن أشارت إليهم الآية الكريمة التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى:

﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَشَوْهُمْ فزَادَهُمْ إِيمَانًا

وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (سورة آل عمران، آية ١٧٣).

وكلما شعر الإنسان المؤمن، أو فكر أنه بدأ ينحرف أو يسلك سلوكاً سيبعده عن

خالقه جل وعلا، نجده ينقلب إلى ربه وخالقه، كما ينقلب إلى نفسه تائباً، آيباً، صاغراً

١- جمعاء : كاملة الخلقه .

٢- جدعاء : ناقصة الخلقه .

متواضعاً ، متودداً ، متقرباً إلى الله شاكراً لنعمه ، فلا يبطش ولا يظلم ولا يتكبر ،
وبالتالي تتهذب كل سلوكياته وتتضافر وتسعى نحو هدف واحد هو: تحقيق العبودية
المطلقة لله عز وجل . (النحلاوي ، ١٤٠٣هـ ، ص ٥٩)

بجـ - الإيمان بالملائكة : إن الإيمان بوجود الملائكة مطلب إيماني ورحمة إلهية ، أسجدهم
الله لأدم توقيراً ، واصطفى منهم رسلاً وجنوداً للبشر والأنبياء ، يشدون من أزهرهم فلا
يتواكل ابن آدم ولا ينحرف في طريق الأوهام ، ولا يكتمل إيمان المسلم إلا بإيمانه
بوجودهم الذي أمره الله عز وجل بالإيمان بهم ، وعلى الكيفية التي خلقهم عليها ،
وللغاية والوظائف التي كلفهم بها ، ومن هذه الوظائف وظائف تتعلق بالإنسان نكرها كل
من (الدمشقي ، ١٤١٩هـ ، ج ٢ ، ص ص ٤٠١ - ٤١٩) و (طيارة ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٤٠)
مثل :

١ - حمل الوحي إلى الرسل من البشر، وفيه يقول تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ

الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (سورة الحج ، آية

. (٧٥)

٢ - حفظ الناس من أذى الجن والشياطين ، وفي هذا الحفظ يقول جل من قال :

﴿ لَهُمْ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِمْ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ

مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا

لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ ﴾ (سورة الرعد ، آية ١١) .

ويفسر الطبري (١٤٠٩هـ ، ج ٧) قول رب العزة والجلال يحفظونه من أمر الله أي من الجن ، وممن يبغي أذى الإنسان قبل مجيء قضاء الله ، فإذا جاء قضاؤه ، خلوا بينه وبين ربه . ص ٣٥٤

٣ - مراقبة أعمال العباد وتسجيلها ، فالقرآن يخبرنا أن الله وكل بالإنسان ملائكة

يراقبون أعماله ويسجلون عليه في قوله جل وعلا : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ

﴿ كِرَامًا كَتَبِينَ ﴾ ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ ﴿ (سورة الانفطار ، آية ١٠-١٢) .

أي أن أعمال الإنسان محصاة عليه ، والذي يحصيها هم الملائكة الكرام

الكاثبون ، الذين يحصون ما يعمل هذا الإنسان من خير وشر ، فيقول في ذلك

رب العزة والجلال : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تُوَسَّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ

الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ﴿ (سورة ق ، آية

. ١٦-١٨) .

٤ - قبض الأرواح عند الوفاة ، فيقول رب العزة والجلال : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ

الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿ (سورة السجدة ، آية

١١) . وينقسم الناس إلى فئتين في حالة قبض الملائكة للروح ، فالقسم الأول هم

الذين تشير إليهم الآية التي يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ

الْمَلَكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ (سورة النحل ، آية ٢٨) . وهؤلاء هم فئة

الظالمين لأنفسهم ؛ ظلموها بما طغوا وتجبروا في الأرض ونشروا فيها الفساد.

أما القسم الثاني فهم فئة المؤمنين المخلصين الذين قال فيهم الحق جل شأنه:

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ (سورة النحل ، آية ٣٢) .

٥ - نفخ الروح في الجنين ، وفي ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " إن

أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ،

ثم يرسل الملك فينفتح فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد ."

(مسلم ، كتاب القدر ، ج ٨ ، ص ٤٤)

٦- وعظ الناس وإلهامهم لفعل الخير ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

" إن للشيطان لمة بابن آدم ، وللملك لمة . فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما

لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق" . (الترمذي ، كتاب التفسير ، ج ٥ ، ص ٢٠٤) .

٧- تثبيت المؤمنين ونصرتهم ، في حالة الخوف والذعر ، وإلى ذلك تشير الآية

الكريمة التالية : ﴿ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْبِئِي عَمَّكُمْ فَتَبَتُّوا الَّذِينَ

ءَامِنُوا سَأَلَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا

مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ (سورة الأنفال، آية ١٢) .

٨ - الاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ؛ ليهديهم سبحانه وتعالى إلى طريق النجاة

فيقول رب العزة والجلال: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ

رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ

يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ (سورة غافر، آية ٧-٩) .

لذا يجب أن تسعى الدراسات النفسية الإسلامية إلى تأكيد الآثار الجانبية

للإيمان بالملائكة في النفس الإنسانية ، وتعزيزها ؛ وذلك يكون بالافتداء بهم في

حسن طاعتهم وعبادتهم لله ، والتشبه بهم في طهارتهم وصفائهم ، والوصول إلى

الطريق المؤدي للرفق الروحي الذي يهدي إلى الصراط المستقيم .

كما يجب أن تعمق الدراسات النفسية في ذات المسلم استشعار رقابة

الملائكة للإنسان، وإحصائها عليه كل أعماله ؛ ليكون ذلك رادعاً له عن اقتراف

السيئات . كما أن الطمأنينة التي تتركها مهمة الملائكة في الحفاظ على الإنسان ،

والدعاء له ، ومناصرته تجعل الإنسان المسلم يستشعر منزلته عند الله عز وجل

وكرامته وعزته . (النحلوي ، ١٤٠٣هـ ، ص ٨٧) و (الزنتاني ، ١٤١٤هـ ، ص ١٠٦)

جـ - الإيمان بالكتب المنزلة : على المسلم أن يؤمن بما سمى الله تعالى من هذه الكتب في

كتابه الكريم القرآن مثل : صحف ابراهيم ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل

عيسى ، ثم خاتمها والمصدق لها ، وأعظمها ، والناسخ لشرائعها وأحكامها القرآن

الكريم هذا الإيمان بالكتب يعني التصديق بها وبأنها من عند الله ، وأنها حق وهدى ونور

وبيان وشفاء ، وهي دليل على أن الله تكلم بها (دمشق ، ١٤١٩هـ - ج ٢ ، ص ٤٢٤) .

وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ

الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ

وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ (سورة النساء ، آية ١٣٦) .

وقوله تعالى عن صحف موسى عليه السلام ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿١٣٦﴾

وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿١٣٧﴾ (سورة النجم ، آية ٣٦-٣٧) . وقوله جل من قال في نوح :

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ

وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٣٨﴾ (سورة النساء ، آية ١٦٣) . وقال تعالى عن إنجيل عيسى عليه

السلام : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ ءَاثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ

الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا
كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (سورة الحديد ، آية ٢٧) .

ويقول عبد العزيز (١٤٠٦هـ ، ص ٩٣) : هذه الكتب جميعها فيها خبر السماء

ويوم القيامة ، وفيها الدعوة من الله للناس بالتوحيد وعبادته وحده لا شريك له ، كما أن
فيها من التشريع الحميد المتنوع على اختلاف ألوان الناس وقومياتهم وازمنتهم .

فعلى المسلم أن يتسم بالاعتدال والحياد عند قراءة ما في هذه الكتب السابقة سوى

القرآن الكريم فلا يتعجل بالتصديق ولا يبادر بالتكذيب ، مسترشداً بقول الرسول

عليه الصلاة والسلام في ذلك حيث يقول : " بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا

حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " . (البخاري ، كتاب احاديث الأنبياء ، ج ٦ ، ص

٥٧٢)

كما عليه أن يجعل — القرآن الكريم — المعيار والحكم للتصديق والتكذيب ، فما

كان موافقاً للقرآن يأخذه ويحيط به ، وما كان غير موافق له يجتنبه ولا يصدقه ؛ لأنه

هو الحق المبين الذي قال فيه جل من قال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ

وَإِنَّهُمْ لَكِتَابٌ عَرِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ

حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ (سورة فصلت ، آية ٤١ — ٤٢) . وكما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ

وَإِنَّا لَهُمْ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ (سورة الحجر، آية ٩) .

د - الإيمان بالرسول : من كمال إيمان المسلم ، الإيمان بالأنبياء والرسل جميعاً ، من آدم عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، والإيمان بأن هؤلاء الرسل هم بشر ، يجري عليهم ما يجري على غيرهم من حاجات وعوارض ونوازع بشرية ، غير أنهم مصطفون أطهار أختيار ؛ ذلك لأنهم زودوا بصفات خاصة تعينهم على حمل رسالتهم إلى الناس . (الزنتاني ، ١٤١٤هـ ، ص ١١٦)

قال تعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٧٥﴾ (سورة البقرة ، آية ٢٨٥) . وقال جل من قال : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ (سورة الحج ، آية ٧٥) .

وفي ذلك أيضاً يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " . (البخاري ، كتاب المناقب ، ج٧ ، ص ٦٤٥)

" وعلى فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة توضيح مهمة الرسل عامة

ومحمد عليه الصلاة والسلام خاصة، والتي تتمثل في البلاغ والبيان واستنقاذ
الفطرة الإنسانية مما ران عليها من الركام، مع تنبيه العقل الإنساني إلى تدبير دلائل
الهدى، وموحيات الإيمان في النفس والآفاق، وفق منهج التلقي الصحيح، ومنهج
النظر الصحيح". (قطب، ١٣٩٨هـ، ج٢، ص٨٠٦)

وتطبيقاً لما ورد في الآية الكريمة التي يقول الله عز وجل فيها: ﴿لَقَدْ كَانَ

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا

﴿ (سورة الأحزاب، آية ٢١) . فإن على المؤصل أن يقتدي بهدي الرسل جميعهم ؛

لأن الرسائل التي جاؤوا بها تطلب من البشر إخلاص العبودية لله عز وجل ،
والإعتراف بألوهيته ، والنبي محمد عليه الصلاة والسلام مؤيد بالوحي والإلهام من
عند الله ، فهو لا ينطق عن الهوى إنما يوحى إليه ، فرسالته عالمية صالحة لكل زمان
ومكان ، شاملة ، تناسب فطرة الإنسان وطبيعته من جميع جوانبها ، لا تقوم على
الظن ، ولا تعتمد على تجريب قد يحتمل الخطأ وقد يحتمل الصواب ، كما أن الله عز
وجل قد نسخ برسالته جميع الرسائل التي سبقته ، فللمسلمين في ذلك عبرة وعظة ،
وطريقة يسиров عليها في إتباع سننه في كل المجالات ، ومنها مجال دراسة النفس
الإنسانية وكيفية التعامل معها وتركيتها .

— الإيمان باليوم الآخر : هذا اليوم مطلب أساسي وضرورة وجودية ، فهذه الدنيا مهما

طالت ومهما تعاضمت فيها قدرات الإنسان وقوته وجبروته وعظمته فإنها إلى زوال .

وفي هذا اليوم تحقيق لهدف من أهداف حياة الإنسان ألا وهو: الامتحان والابتلاء ،

كما أن فيه تحقيق سنة من سننه عز وجل في أفعال العباد ألا وهي : الثواب والعقاب :

قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴾ (سورة الزلزلة ، آية ٧-٨)

﴿ (سورة الزلزلة ، آية ٧-٨) . وقال عز وجل : قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ

ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، آية

٣٥) . وقال جل وعلا : قال تعالى : ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴾ (سورة الملك ، آية ٢١-٢٢) . قال تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وَلَا

﴿ (سورة الملك ، آية ٢١-٢٢) . قال تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وَلَا

﴿ (سورة الملك ، آية ٢١-٢٢) . قال تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وَلَا

﴿ (سورة الملك ، آية ٢١-٢٢) . قال تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ وَلَا

وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام " يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات ، فعرضتان

جدال ومعاذير ، وعرضة تطاير الصحف ، فمن أوتي كتابه بيمينه ، وحوسب حساباً سيراً ، دخل الجنة ،

ومن أوتي كتابه بشماله ، دخل النار " . (الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، ج ٥ ، ص ٥٣٣)

و- الإيمان بالقدر خيره وشره : إن الإيمان بالقدر خيره وشره ركن من أركان الإيمان

الصحيح ، لذا يجب أن يؤكد دارس النفس الإنسانية على هذا الركن ويوضح أن الإيمان به

لا يدعوا إلى التواكل والعجز والسلبية والهروب من الواقع ، بل هو محرك داخلي للإنسان

المسلم يتحدى به المصاعب ويتخطى العراقيل . (الزنتاني ، ١٤١٤هـ ، ص ١٢٢)

وفي ذلك يقول سبحانه قال تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا

رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ (سورة فصلت ، آية ٤٦) .

فالقرآن يدعو إلى الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله ؛ ذلك أن إرادة الإنسان

وعمله هما مصدرا مثوبيته أو عقابه ؛ فالإيمان بالقضاء والقدر يتمخض عن تكوين

الشخصية العاملة الإيجابية في غير قلق ولا انطواء أو اكتئاب . (عبد العزيز ، ١٤٠٦هـ ،

ص ١١٦)

وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ

لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ (سورة الشورى ، آية ١٢) . ويقول جل

من قال : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ (سورة التكوير ، آية ٢٩) .

وعن ابن عباس قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : " يا غلام

إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فسأل الله ، وإذا استعنت

فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا

على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف " . (الترمذي ،

كتاب القيامة ، ج ٤ ، ص ٥٧٦) .

وايضاً يقول عليه الصلاة والسلام : " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله

وأني محمد رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموث ، وبالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر " . (الترمذي ، كتاب

القدر ، ج ٤ ، ص ٣٩٣)

الخطوة الثانية : - دراسة خصائص النفس الإنسانية كما وردت في القرآن

الكريم والسنة النبوية المشرفة : ينفرد المنهج الإسلامي بدراسة خصائص النفس

الإنسانية دراسة وافية مستفيضة ؛ لأنه منهج مسترشد بهدي خالق هذه النفس جل وعلا ، فهو

الأعلم بخصائصها . ولقد وردت آيات قرآنية كريمة توضح خصائص النفس الإنسانية، وكذا

أحاديث نبوية شريفة .

وعلى من يقوم بعملية التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية أن يعمل على دراسة ما ورد

في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة من خصائص لهذه النفس، حيث تتوفر في تلك الآيات

والأحاديث النظرة الشمولية ، والتكاملية ، والواقعية ... في وصفها لهذه الخصائص .

ولما كانت خصائص النفس الإنسانية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية

الشريفة كثيرة جداً ، فإن الباحثة سنتناول منها أهمها والتي يجب أن تؤخذ ؛ باعتبارها مبادئ

وأسس يستعين بها من يقوم بعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس :

١ - الطبيعة المزدوجة : الإنسان مخلوق ذو طبيعة ثنائية مزوجة ، فهو يجمع بين الجسدية

الشهوانية قبضة الطين ، وبين النورانية الروحية نفخة الروح ، وهو الوحيد الذي تفرد بهذه

الخاصية دون سائر المخلوقات .

هذه الازدواجية تعتبر سمة من سمات الإنسان ، وطابعاً لشخصيته المتميزة . وهبه الله عز وجل إياها ، لهدف معين ، ولأداء رسالة معينة ، ولحمل أمانة الخلافة في الأرض . (محمد ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٤)

وإلى تلك الطبيعة المزدوجة تشير الآيات القرآنية الكريمة التي يقول فيها الحق جل وعلا: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥١﴾﴾ (سورة آل عمران ، آية ٥٩) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (سورة السجدة ، آية ٧-٩) .

ويقول الطبري (١٤٠٩هـ ، ج ٣) : إن ابن عباس قال : " سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض كلها أحمرها وأسودها ، طيبها وخبيثها ؛ فلذلك كان اختلاف ألوان الناس وطبائعهم ، ويقول أيضاً إن الإنسان خلق من تراب ؛ ليكون أشد التصاقاً بالأرض ؛ فيصلح للخلافة فيها ، ونفخت فيه الروح ليسمو بهذا الجسد فيكون الخليفة الجامع للصفات النورانية التي تمكنه من تحقيق الخلافة على الوجه المطلوب منه " . ص ٢٠٩ - ٢١٢

هذا الإنسان ذو الطبيعة المزدوجة الذي أودع الله فيه جسماً ، وروحاً ، وعقلاً ، ووجداناً ، كل ذلك يدل على كمال قدرة الخالق المبدع ، تبارك الله أحسن الخالقين . فأما في الجانب الجسمي فجاءت الدوافع والحاجات من مأكّل ومشرب وملبس وتناكح ، للمحافظة على

نوعه وبدنه . وفي ذلك يقول رب العزة والجلال : ﴿ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُوا فِي

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ (سورة البقرة ، آية ٦٠) . ويقول جل من قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ

لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦١﴾ (سورة الروم ، آية ٢١) .

وأما في الجانب الروحي فجاءت العبادات جميعها والتي تسمى بالسلوك الإنساني ،

وتخلصه من النزعة إلى الطين . فيقول رب العزة والجلال : ﴿ أَتَلُمَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ

الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ (سورة العنكبوت ، آية ٤٥) . كما يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً

يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا

عَلِيدِينَ ﴿٧٣﴾ (سورة الأنبياء ، آية ٧٣) .

وفي الجانب العقلي يكمن مناط التكليف الشرعي ، وفيه الدعوة الصريحة لأن يستخدم

الإنسان كل ما ينفعه في عمارة الأرض وتسخير كل ما خلق له والاستفادة منه ، لذا خاطبت

الآيات القرآنية الكريمة العقل وطالبت بإعمال الفكر . (الزنتاني ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٤٢) فيقول

سبحانه وتعالى : ﴿ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ (سورة البقرة ، آية

٢٤٢) . ويقول جل من قال : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

(سورة الأنبياء، آية ١٠) . وقوله سبحانه : ﴿ فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿١٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا

تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾ (سورة الذاريات ، آية ٢٠ - ٢١) . ويقول جل وعلا : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١١١﴾ (سورة البقرة ، آية ١١١) .

أما في الجانب الوجداني فأنت علاقة الإنسان بغيره، فيقول جل من قال: ﴿ وَتَعَاوَنُوا

عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿٢٠٠﴾

(سورة المائدة ، آية ٢) . ويقول عليه الصلاة والسلام في ذلك: " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب

لنفسه " . (البخاري ، كتاب الإيمان ، ج ١ ، ص ٧٣)

٢ - الميل الفطري لعمل الخير : خلقت النفس الإنسانية ميالة للخير مجبولة على حبه ،

وفيها استعداد فطري لتمييز الخير من الشر ، والحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، ويأتي

تردد الإنسان بين الخير والشر نتيجة لتعرض نفسه لقوى الشر والعدوان، و لبعض أساليب أو

عوامل التربية الإجتماعية غير الصحيحة ؛ والتي تطمس فيه استعداده الفطري للخير ؛ فتقوده

هذه العوامل إلى فعل الشر . ولذا أرسل الله عز وجل الرسل ؛ لتقوية نوازع الخير في النفس

البشرية وتدعيمها . وهذه الخاصية تدحض رأي بعض علماء النفس الغربيين الذين يقولون بأن

في الإنسان ميلاً فطرياً إلى العدوانية والشر ، ويستشهدون ببعض الحالات الذين يقولون عنهم

أنهم ولدوا مجرمين . مغفلين الدور السيئ للعوامل التربوية والاجتماعية التي تعرضوا لها أثناء

نموهم . (نجاتي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٣٣) و (عيسى ، ١٤٠٦هـ ، ص ٤٣)

وقد أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى فطرة الخير في النفس الإنسانية في حديثه

الذي يقول فيه: "استقت قلبك ، البر ما اطمانت إليه النفس ، واطمان إليه القلب ، والإثم ما حاك في النفس وتردد في

الصدر ، وإن أفتاك الناس وأفتوك " . (مسلم ، كتاب البر ، ج ٨ ، ص ٧)

٣ - التكريه والتفضيل : الإنسان مخلوق مكرم ومفضل عن سائر المخلوقات على وجه

الأرض ، وهذا ما أشار إليه رب العزة والجلال في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا

تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ (سورة الإسراء ، آية ٧٠) .

وينكر الرازي (د.ت ، ج ٢١ وج ٢٦) بعضاً من مواضع نعمتي التكريم والتفضيل التي

تعد من نعم الله الجليلة على الإنسان ، وهي تبدو في التالي :

أ - القوى المميزة التي يمتلكها الإنسان عن غيره : تملك النفس الإنسانية ست قوى لا

يملكها مجتمعه مخلوق على وجه الأرض من نباتات أو حيوانات أو غيره ؛ لأن

النفس الإنسانية تعد من أشرف النفوس الموجودة على الأرض ، هذه القوى هي :

١- الغذاء .

٢- النمو .

٣- التوالد .

٤- الحس .

٥- الحركة .

٦- العقل والإدراك .

ومن هذه القوى الست نستطيع أن نكمل مظاهر التكريم والتفضيل للإنسان .

ب - حسن الصورة والخلقة : المتمثل في امتداد القامة ، مع استكمال القوة العقلية

والحسية والحركية . وفي ذلك يقول جل من قال : ﴿ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ

فَعَدَلَكَ ۝ ﴾ (سورة الانفطار ، آية ٧) . ويقول تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي

أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ﴾ (سورة التين ، آية ٤) . ويقول سبحانه : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ

أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ۝ ﴾ (سورة البقرة ، آية ١٣٨)

ج - الخلق بيده جل وعلا: أكرم الله عز وجل الإنسان بأجل أنواع الكرم في الخلق ،

فلقد أشارت الآية القرآنية الكريمة إلى أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان

بيده، ومن كان مخلوقاً بيد الله كانت العناية به أتم وأكمل ، وكان هو أيضاً المكرم

منه عز وجل عن بقية مخلوقاته الذين خلقوا عن طريق كن فيكون وإثبات ذلك

فلنقرأ الآية التي يخاطب فيها رب العزة والجلال الشيطان ، عندما استكبر وامتنع

عن أن يسجد للإنسان عندما أمره عز وجل بالسجود ، فخاطبه بقوله : ﴿ قَالَ

يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإَيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ

۝ ﴾ (سورة ص ، آية ٧٥) .

وفي هذا التكريم الخلق بيد الله نفي إلى ما أشارت إليه التطورية الدارونية

التي قالت : أن الإنسان كان أصله قرداً وتطور حتى صار إنساناً وما إلى ذلك ،

ويدحض حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام هذه التطورية الدارونية ، الذي

يقول فيه : " يجمع الله الناس يوم القيامة فيهمون لذلك ، فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى

يربحنا من مكاننا هذا ، قال : فيأتون آدم صلى الله عليه وسلم فيقولون : أنت آدم أبو الخلق خلقك الله

بيده وفتح فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا عند ربك حتى تبرئنا من مكاننا

هذا . . . " . (مسلم ، كتاب الإيمان ، ج ١ ، ص ١٢٤)

ط — النطق والتمييز : حيث زوده بالوسائل والأدوات التي تمكنه من الإدراك السليم ،

والفهم ، والتمييز ، والتفكير ، ثم النطق عن طريق الكلام أو الإشارة أو الكتابة ، إن

أحسن استخدامها قادته إلى تركية نفسه وتطهيرها والسمو بها ، وإن كان

العكس قادته إلى تدسية النفس والوصول بها إلى أسفل سافلين فيقول جل من قال :

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة البلد ، آية ٨-١٠) . ويقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿١٠٠﴾ وَجَعَلَ

لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (سورة السجدة ، آية ٩)

والآيات التي تدل على ذلك كثيرة ومتعددة في القرآن الكريم .

هـ — التعليم والتعلم : كان الله عز وجل هو المعلم الأول لآدم عليه السلام ، أبي البشر

وضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾ ﴾ (سورة البقرة ، آية

٣١) . وقوله جل من قال : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٣١﴾ ﴾ (سورة العلق ، آية ٥) .

هذا العلم الذي كرم به الإنسان كان تهيئة له للإستخلاف في الأرض ، وهو

مما يتميز به الإنسان عن بقية المخلوقات حيث قال في ذلك جل من قال :

﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة

الرحمن ، آية ٤-١) .

" وقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وبين استعداده الذاتي لكسب المعرفة وتحصيل

العلم ، فعرف عن طريقه الحق والباطل ، الخير والشر ، النور والظلام ، الهدى

والضلال ، النافع والضار ، الحسن والقبيح وغيره وهذا الاستعداد للتعلم يتأثر بتباين

طبيعة النفس الإنسانية وعناصرها المتعددة واختلاف أنواعها، فقد يتسع هذا الإ استعداد

حتى يملأ آفاق الدنيا علماً ومعرفة، وقد يضيق فلا يتسع لشيء من العلم والمعرفة ،

حسبما يبذله هذا الإنسان من جهد وجهاد في طلبه". (حسن، ٤٠٤هـ، ص ١٠٤)

وفي فضل العلم الذي كرم به الإنسان من ربه عز وجل يقول الرسول عليه

الصلاة والسلام : " من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة

تضع أجنتها رضى لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف

الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة

الأنبياء". (أبي داود، د. ت ، ج ٣ ، ص ٣١٧) .

﴿ — سجود الملائكة : وضح هذا التكريم في أمر الله عز وجل للملائكة بالسجود

للإنسان المخلوق من الطين ، والذي ارتفع أصله بتلك النفخة التي تمت من روح

الله عليه حين نفخت فيه الروح ، فسجد الملائكة له امتثالاً لأمره سبحانه وتعالى

وشعوراً بحكمته جل وعلا في هذا الأمر ، فيقول الخالق المبدع : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ

لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّىْ خَلِیْقٌۢ بَشَرًا مِّنْ طِیْنٍ ﴿۷۱﴾ فَاِذَا سَوَّیْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِیْهِ مِنْ رُّوْحِیْ

فَقَعُوْا لَهُۥ سٰجِدِیْنَ ﴿۷۲﴾ (سورة ص ، آية ۷۱-۷۲) .

ز - التسخير : من نعم الله الظاهرة والباطنة على الإنسان نعمة التسخير، فكل ما

في الكون مسخر له من : نواب وأنعام ، وهواء ، وبحار ، وسحاب ، وجبال ...

وفي هذه النعمة يقول تعالى : ﴿ اَلَمْ تَرَوْا۟ اَنَّ اللّٰهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِی السَّمٰوٰتِ وَمَا

فِی الْاَرْضِ وَاَسْبَغَ عَلَیْكُمْ نِعْمَهُۥ ظَهْرًا وَّنَاطِنًاۙ وَمِنَ النَّاسِ مَنۢ يُجَادِلُ فِی اللّٰهِ بِغَیْرِ

عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتٰبٍ مُّبِیْنٍ ﴿۲۰﴾ (سورة لقمان ، آية ۲۰) .

ح - حرية الارادة والاختيار : من مظاهر تكريم الله عز وجل للإنسان أن جعله قيماً

على نفسه ، متحملاً لتبعه اتجاهاته وعمله ، وبها استخلف في دار العمل ، على قدر

ما حُمل من تبعات هذه الخلافة تركت له الحرية في اختيار الطريق التي يحققها

بها، وعلى ضوء اختياره يكون الحساب والجزاء ؛ ذلك أن الإسلام يعتبر أن الأصل

في فطرة الإنسان هي الإستعداد لعمل الخير ؛ لأنه خلق في أحسن تقويم - وهو

يُرد لأسفل سافلين حينما يرتد لغير منهج الله عز وجل ؛ فيبتعد عن الفطرة التي

أمده سبحانه وتعالى بها ، والتي تشير إليها الآية الكريمة التي يقول فيها رب العزة

والجلال : ﴿ اِنَّا هَدَيْنٰهُ السَّبِيْلَ اِمَّا شٰكِرًا وَاِمَّا كٰفُرًا ﴿۳﴾ (سورة الإنسان، آية ۳)

وأيضاً كما في قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَّمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿۷﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُوْرَهَا

وَتَقُولُهَا ﴿١٠﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿١١﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٢﴾ (سورة الشمس،

آية ٧-١٠) .

الخطوة الثالثة : - وحدة مجال المعرفة : يجب أن يستقي القائمون على عملية التأصيل

معرفتهم من مجالين متصلين لا انفصال بينهما هما : العقل والوحي ، فالعقل له وسائل محدودة

يستخدمها للوصول للمعرفة والتي يستعين فيها بالحواس في الملاحظة ، والإدراك ، والتخييل ،

والتفكير ، والاستدلال ، هذه المعرفة التي تصل إلينا من خلال تلك العمليات العقلية ليست

معصومة من الخطأ ، كما أنها غير كاملة ولا يقينية أو مطلقة ، ذلك لأن قدرة العقل الإنساني

على تحصيل تلك المعرفة محدودة ، كما أن العقل قد يتعرض لخداع الحواس والخطأ في التفكير .

وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة التي يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

قَلِيلًا ﴾ (سورة الإسراء ، آية ٨٥) .

لذا بعث الله عز وجل الرسل والأنبياء عليهم السلام ؛ ليلغوا الناس رسالته ويرشدونهم

إلى ما تقع فيه حواسهم من أخطاء ، وينبهونهم إلى أن تكامل المعرفة لا يحدث إلا باتفاق العقل

أدواته ووسائله الحسية المعروفة بالوحي الموحى به إلى الأنبياء والمرسلين الذي يبلغوا به

الناس . وعليه فإن المشتغلين في التأصيل الإسلامي لعلم النفس عليهم أن يستقوا معارفهم من

مجالين :

أ - مجال العقل بأدواته ووسائله .

ب - مجال الوحي .

لتكون الحقيقة التي يصلون إليها في دراستهم للنفس الإنسانية خالية من الخطأ في الملاحظة، والتفسير ، والاستنتاج ، مقللة ما يسمى اليوم بدرجة احتمالية خطأ النتائج في تعميم خاصية من خصائص السلوك الإنساني على مجموعة كبيرة من الناس. (نجاتي، ١٤١٤هـ ، ص ٣٣٠) و (أبو سليمان، ١٤١٦ هـ ، ص ١١٠)

الخطوة الرابعة : - القرآن الكريم والسنة النبوية مصدران أساسيان

للمعلومات اليقينية في دراسة النفس الإنسانية : كما أسلفت الباحثة وأشارت بأن القرآن الكريم دستورنا السماوي ، والسنة النبوية المشرفة الشارحة والمكملة للقرآن الكريم ، هما المصدران الأساسيان من مصادر التشريع الإسلامي والتي يجب على المهتمين بالتأصيل الإسلامي في علم النفس أن لا يحيدوا عما جاء فيهما ؛ لأنهما الكنزان العظيمان الثريان بالعناصر القويمة لدراسة النفس الإنسانية .

وستحدث الباحثة عن بعض ما ورد في كل منهما على حدة عن أحوال النفس :

أ - القرآن الكريم : يعرض القرآن الكريم العقائد الإلهية عرضاً وافياً سهلاً واضحاً ،

ويحشد الأدلة الكونية التي تجعل النفس الإنسانية تقف عند كل مشهد من هذا العرض موقف

الخشوع ، والتأمل ، والاطمئنان ، حيث يقول تعالى : ﴿ سُنُّرِهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة فصلت ،

آية ٥٣) .

وإذا أتبع الحق الذي ورد في الآية الكريمة كما يجب فإننا نجد أن هذا الحق ؛ ينظم

أمر الحياة الإنسانية وفق أسس إنسانية كريمة ، ووفق منهج قويم يقول عنه سبحانه وتعالى:

﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (سورة فصلت ،

آية ٤٢) .

وإذا أخذ الإنسان نفسه بالغوص في مكنوناته ؛ فإنه سيجد أن هذا القرآن العظيم يخطب

فيه العقل ، بل ويفرض على الإنسان الإقناع العقلي عن طريق التدبر ، والتفكر ، والتأمل ... هذا

الإقناع العقلي مصاحب باستثارة العواطف والانفعالات ، ومشبع لغرائز وحاجات النفس البشرية

والإنسانية . (طه وآخرون ، ١٤١٣هـ ، ص ٩٧)

والآيات الكريمة التاليات توضح كيفية مخاطبة القرآن الكريم للعقل مع استثارة

العواطف وتوجيه الميول الموجودة في النفس : قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا

سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٩١) . وقال عز وجل : ﴿ أَوْلَمْ

يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ

كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ ﴾ (سورة الروم ، آية ٨) . وقال سبحانه وتعالى :

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ

ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ

فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴾ (سورة الزمر ، آية ٢٣) . وقال جل وعلا : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ

عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ (سورة محمد، آية ٢٤) .

عليه نجد أن في القرآن الكريم دعوة صريحة للمؤصلين ؛ لجعل القرآن العظيم مصدر تشريع ومنهج حياة في دراساتهم النفسية ، والغوص في طلب أسراره وإعمال العقل فيه بحصافة ولباقة وحسن خبرة .

بجـ — السنة النبوية المطهرة : تعتبر السنة النبوية الينبوع والهداية والأسوة الحسنة والبيان

العملي للقرآن الكريم والمكملة الشارحة له ، فانه عز وجل أنزل القرآن الكريم على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ؛ ليبلغ الناس ويهديهم . (ابو الفضل ، ١٤١٦هـ ، ص ٢٠٢) . وفي ذلك قال

تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ

وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾

﴿ (سورة الشورى ، آية ٥٢) . وقال عز وجل : ﴿ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

﴿ (سورة المائدة ، آية ٦٧) .

لقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام أعظم مرب ومعلم لنا فيه الأسوة الحسنة في

أساليبه التربوية والتعليمية التي استخدمها في تربية وتهذيب النفوس ، ومعالجتها مع مراعاة

مستويات العقول واختلاف الطبائع ، ومراحل النمو ، ومستوى النضج ، مع الحرص على توحيد

القلوب ، وتوجيه الطاقات ، وحسن استغلال للكواامن من الخير ، واستعمال كل ذلك في مرضاة

الله عز وجل . (نحلاوي ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٧)

وفي ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " عودوا قلوبكم الترقب وأكثروا التفكير والإعبار "

(كنز العمال ، ج ١ ، ص ١٥٥)

" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ، قال :

إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " . (مسلم ، كتاب الإيمان ، ج ١ ، ص ٦٥) . كما يقول

عليه الصلاة والسلام : " يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال

إلى الله ما دوم عليه وإن قل " . (مسلم ، كتاب المساجد ، ج ٢ ، ص ١٨٩) .

" اتق الله حيثما كنت ، إتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن " . (الترمذي ، كتاب البر ، ج ٤ ، ص

(٢٧٩)

وقال عليه الصلاة والسلام : " أمرني ربي بتسع : خشية الله في السر والعلانية ، وكلمة العدل في الغضب

والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ، وأن أصل من قطعني ، وأعطي من حرمني ، وأعفوعن ظلمي ، وأن يكون صمتي فكراً

ونظمي ذكراً ، ونظري عبرة " . (النسائي ، ١٤١٤ هـ ، كتاب الإيمان ، ج ٧ ، ص ٢٣)

الخطوة الخامسة: - معرفة إسهامات العلماء المسلمين في إثراء الدراسات

الذمسية : لعلمائنا المسلمين تراث حضاري غني وعريق يعكس ازدهار أمتنا في تلك الفترة

الزمنية ، ويؤكد على منعها وعزتها ، وهذا لم يتحقق إلا بعباء عقولهم وإبداع عقلائيهم ،

المتبعه للوسطية منهجاً ، واتخاذهم من ثوابت الشريعة الإسلامية ، وسنة الرسول صلى الله عليه

وسلم مناراً ومرشداً .

ومع أن هؤلاء العلماء تأثروا بالفكر اليوناني ، إلا أنهم أضافوا إلى دراساتهم عامة والدراسات النفسية بصفة خاصة آراءهم الخاصة بهم في موضوعات كثيرة ، فأثرت محاولاتهم الجادة في الدراسات النفسية والعلوم المختلفة ؛ في التوفيق بين الفكر الفلسفي اليوناني ، ومبديء الدين الحنيف .

ولذا فعلى كل مؤصل في علم النفس ومنظر أن يستفيد من هذا التراث ويطلع عليه ، لا ليتعرف على هذه الإسهامات فقط ، إنما ليستفيد منها في محاولة وضع نموذج في كيفية تناول موضوعات علم النفس من وجهة نظر إسلامية ؛ تمكنه من الحدو حذوهم في التأصيل الإسلامي للدراسات الحديثة في علم النفس . (نجاتي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣٣٦) و (نجاتي والسيد ، ١٤١٧هـ)

الخطوة السادسة : - تحديد أسس ومبديء علم النفس الغربي : لا بد لمن يهتم بالتأصيل الإسلامي لعلم النفس أن يحدد أسس ومبديء علم النفس الغربي الحديث ؛ لأن هذا التحديد يمكنه من التحليل النقدي المتعمق لموضوعات علم النفس الغربي وفق منظور إسلامي ؛ ذلك أن علم النفس الغربي ينطلق من عدة مبديء أساسية يقبل عليها علماء النفس الغربيون ، ويعتبرونها حقائق بديهية في دراستهم للنفس الإنسانية ، من تلك الأسس والمبديء التالي :

١- التصور العضوي الجسمي : والذي يتمثل في ما يسمى بالفعل المنعكس الشرطي ،

ذلك أن الأفعال الارتباطية في هذا التصور تركز على وظيفتين في المخ ، هما :

أ - الوظائف الحسية : التي تتمثل في المنبهات الجزئية العضوية التي تصل للمخ الذي

يعتبر جهاز استقبال .

ب - الوظيفة الحركية : التي تصدر الأفعال المنعكسة الشرطية، والتي تعني ارتباط مثير

طبيعي بأخر صناعي ، ينتج عنه أن يكتسب المثير الصناعي صفة المثير الطبيعي ، فيحدث نفس الإستجابة بمفرده مثل : صوت جرس + طعام ← سيلان اللعاب تكرر العملية عدة مرات

صوت جرس ← سيلان اللعاب

إن هذا التصور العضوي البحث لأفعال الإنسانية سلب الإنسان ميزات المتعددة من تفكير ، واستبصار ، وإرادة، و حرية اختيار ، وإدراك ، وعواطف ... ، كما أن هذا التصور قاصر عن تفسير الجوانب العميقة والمعقدة في السلوك الإنساني ، فكيف يفسر عاطفة الحب على سبيل المثال عن طريق الاستجابات الشرطية ، هذه العاطفة التي تتكون بفعل عوامل متعددة مترابطة لاتسمح بتجزئتها ولا تتضح معالمها ولا نستطيع دراستها عن طريق هذا التصور المجزأ ، ونقيس على ذلك الدوافع ، الانفعالات ، العمليات العقلية ... (بدي ، ١٤٠٧هـ ، ص ١٤)

عليه فإننا نجد أن هذا التصور العضوي الجسمي متأثر بفلسفة كارل ماكس المادية التي أدخلت في دراسة النفس الإنسانية ، حيث نلاحظ أن علماء النفس في المجتمعات الغربية يهملون أثر الدين والإيمان والنواحي الروحية، ويركزون اهتمامهم على مدى انتفاع الفرد بعلاقاته الاجتماعية ، ومدى قدرته على إشباع حاجاته المادية الدنيوية فقط. (نجاتي ، ١٤١٤هـ ، ص ٣١٩)

(الهاشمي ، د . ت ، ص ١٢)

٢ - **التصور المادي الطبيعي** : هذا التصور مادي محسوس ، جعل علم النفس يعرف بأنه علم السلوك والذي يتمثل في مبدأ المثير والاستجابة ، أي أن اهتمام هذا التصور منصب على السلوك الحركي الظاهري للإنسان . و يتم إخضاع هذا السلوك للتجريب البحث والتطبيق

المعملي ، كما يخضعون المادة الجامدة للإجراء التجريبي ، وليس هذا فحسب بل إنهم قاموا بتفتيت السلوك الإنساني إلى أجزاء تتم ملاحظة ودراسة كل جزء على حدة ، مغفلين شمولية ووحدة السلوك داخل النفس الإنسانية . وفي ضوء هذا التفتيت في الدراسة يقومون بعملية تعميم الدراسة الجزئية على بقية الأنشطة الصادرة عن الإنسان ، مغفلين أثر الظروف البيئية من وقت لآخر . (الشرقاوي ، ١٤٠٥هـ ، ص ٣٩)

إن التفكير في النفس الإنسانية على هذا النحو تفكير مبتور ؛ لأن النفس الإنسانية عالم واسع غير محدود ، فيه شمولية ، وتكاملية ، وكلية ، وأدوات المنهج التجريبي في دراسة السلوك الإنساني مهما بلغت درجة دقتها فإنها لا تؤدي إلا وظيفة مساعدة الحواس في الكشف عما يدور من سلوك ظاهري ، فلا يستطيع العالم المجرب أن يجرب إلا ما يقع في حدود الحواس فقط ، ويظل جانب كبير من السلوك الإنساني غير قابل للتجريب مثل الروح التي لا تقع في محيط الجسد ، وهي من أسرار الخالق عز وجل كما أن لها تأثير كبير جداً وصلته عميقة بالسلوك الصادر عن الإنسان . والتي يقول فيها جل وعلا : ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة الإسراء ، آية ٨٥) ويقول تعالى : ﴿ يَنْزِلُ الرُّوحُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِ عَلِيٍّ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (سورة النحل ، آية ٢) .

إذا فالنفس الإنسانية عالم واسع غير محدود ، والسلوك الإنساني الذي يبدو من هذه النفس هو الذي ينبع من الجسد فقط ، وهذا أدنى نشاط يصدر عن الإنسان . (قطب ، ١٤١٥هـ ، ص ٢٥٩)

٣ - التصور الجنسي المكبوت : وحول هذا التصور يتفق كل من الشرقاوي

(١٤٠٥هـ، ص٤٧) و قطب (١٤١٥هـ ، ص ١٨٩) إلا أن هذا التصور جعل محور الدراسات النفسية يقوم على الكبت الجنسي ، والذي يتمثل في : الطاقة الجنسية ، اللا شعور ، التحويل ، العقد النفسية . ومنهجه في ذلك : التحليل النفسي ، الذي يهتم بدراسة الدوافع الجنسية المكبوتة وتحليل الأحلام فقط هذا التصور يرى أن الإنسان كائن أرضي بحت لا يرتفع بمشاعره وعواطفه عن عالم الأرض ، إلا في حالات الشنوذ ، أي أنه يزوج الجنس في كل مجالات النشاط الإنساني متأثراً في ذلك بالتطورية الدارونية . ويقول أصحاب هذا الاتجاه : إن السلوك الذي يصدر عن الإنسان هو نتيجة الدوافع غير المشبعة والمكبوتة ، في اللا شعور والتي لا يستطيع الإنسان تحقيقها أو إشباعها نتيجة لضغوط المجتمع عليه ، فتظهر في صورة سلوك آخر معاكس مثل : الحب الذي ينشأ عن الكره ، الرغبة التي تنشأ عن النفور ، والإحساس بالراحة الذي ينشأ عن الألم أو القلق.

وعليه فإن التسامي بالسلوك لدى أصحاب هذا الإتجاه مرفوض ، والمقبول هو الكبت القهري للنوازع الفطرية والتي تجد متنفساً لها في رأيهم في الأحلام ، أي أنهم ينفون الضمير الخلقى ويستبدلون به الضمير النفعي، الذي ينفى كل قيمة خلقية عليا من خير ورحمة وعدل ...

سماته يجب أن تتوفر في القائمين على عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس

١ - **العقيدة الصافية** : وتعني الإيمان بالله عز وجل ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ؛ ذلك أن العقيدة الصافية التي تقوم على التوحيد هي المصدر الحقيقي لمعرفةنا بخالقنا عز وجل ، وبأنفسنا والكون من حولنا . وإلى ذلك تشير الآية الكريمة التالية التي يقول الله عز وجل فيها : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة ، آية ٢٨٢) .

٢ - **الراسخ في العلم** : تحقيقاً لما ورد في الآية الكريمة : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمِنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ٧) وأيضاً قوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة النساء ، آية ١٦٢) .

" والعلم الراسخ يعتبر الطريق إلى المعرفة الصحيحة ، لأنه علم مصحوب بإيمان لا يدخله شك ولا لبس ، وهذا الإيمان يفتح قلب المؤمن لنور العلم ، فنجده يتعمق فيه بإتقان ووعي ، كما نجد هذا الإنسان الراسخ في علمه يقف أمام الدلائل الإيمانية الكونية موقف المتشوق للمعرفة

والهدى .

ولقد سئل رسول الله عليه الصلاة والسلام عن الراسخين في العلم فقال : " هو من برت

يمينه، وصدق لسانه ، واستقام قلبه ، وعف بطنه وفرجه ، فذلك الراسخ في العلم " . (قطب ، ١٣٩٨هـ — ، ج ٢ ،

ص ٨٠٤) (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج ٣ ، ص ١٨٤)

٣ — **حجج النظر والتأمل** : ذلك لأن الدعوة المستمرة بالنظر والتأمل وتقصي الحقائق ، دعوة

دُعينا بها من الله عز وجل ، وتظهره الآيات الكريمة التالية التي يقول فيها جل من قال : ﴿ قُلْ

سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، آية ١١) . ويقول

سبحانه : ﴿ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا

يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة يونس ، آية ١٠١) .

في الآيات الكريمة السابقة منهج قرآني معرفي تربوي جديد على العرب الذين كانوا

ينتسمون بالجهل والامية ، في هذا المنهج نقلة من الجهل إلى مستوى من الوعي والفكر والنظر

والمعرفة والسير ؛ للاستطلاع والتدبر والاعتبار ، وفيه حض على كيفية تكوين التصور

الإسلامي للإبراك البشري الذي إن نما مهتدياً بنور الله بجوار المعارف العلمية التي تشير إليها

آيات الاستطلاع ؛ زادته هذه المعارف تبصراً بوجود الله وعظمته ، وإن كان العكس نما بعيداً

عن هدي نور الله ؛ قاده هذا البعد إلى الشقاء والجحيم . (قطب ، ١٣٩٨هـ — ، ج ٤ ، ص ١٨٢٢)

وفي ذلك يقول الرسول عليه الصلاة والسلام لأصحابه : " إنه سيأتكم أقوام من بعدي يطلبون العلم .

فرحبوا بهم ، وحيوهم وعلموهم". (ابن ماجة ، ج ١ ، ص ٩٠) .

ولو تأملنا الآيات الكريمات وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام التي تحض على حب النظر والتأمل وتخطب العقل والقلب وجميع الحواس التي يمتلكها الإنسان ، لوجدنا أن هذه السمة **النظر والتأمل في الإسلام ترمي إلى تحقيق هدفين في وقت واحد هما :**

أ — تحقيق العبودية الكاملة لله عز وجل كسب أخروي آجل .

ب — تحقيق المنافع الدنيوية ، وتيسير سبل العيش والرزق ، وعماراة الأرض مكسب

دنيوي عاجل .

٤ — البعد عن الهوى : وتعني هذه السمة أن يلتزم المؤصل المسلم بالموضوعية في دراسته للنفس الإنسانية ، ولا يسير خلف الأهواء ؛ لأنها تبعده عن الضوابط السليمة التي يرمي إليها الإسلام في حسن النظر والتدبر والتأمل . (عبد الله ، ١٤١٦هـ ، ص ٨٢٧)

ولقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى نوعين من الهوى يحسن بالمسلم أن لا

يتبعهما ، وهما:

أ — هوى النفس (الذات) : والذي يؤدي إلى الضلال والبعد عن الجادة ، هذا النوع من

الهوى نفرت منه الآيات القرآنية الكريمات يقول فيها جل من قائل : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ

مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ

تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿١٨﴾ (سورة الكهف ، آية ٢٨) . وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ

يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ

بِعَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ (سورة

القصص، آية ٥٠). هذا وقد اعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام هوى النفس ضرباً من

العجز في قوله : " الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت . والعاجز من أتبع نفسه هواها ، ثم

تمنى على الله " (ابن ماجه ، كتاب الزهد ، ج ٢ ، ص ١٤١٤) .

وجـ - هوى الافتتان بالآخرين : أي اتباع رأي الآخرين دون تمحيص ونقد و يقين ، وهذا

النوع من الهوى أيضاً وضحه القرآن الكريم في آيات كريمات متعدّدات ؛ يجب أن

يستتير بها المؤصل والباحث المسلم ، ولا يتبع رأي الكثرة من الناس ، أو عليتهم ،

أو مشاهيرهم ، أو طبقة منهم ، إلا بعد تفكير عميق ومقارنة وحجة دامغة متمشية

مع تعاليم الإسلام الحنيف ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَضِلُّوكَ

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ (سورة الأنعام ، آية

١١٦). وقال عز وجل : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا

السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿١٨﴾ (سورة

الأحزاب ، آية ٦٧-٦٨) .

٥ - الأمانة : أي تحري الدقة في نقل النصوص دون زيادة أو نقصان ولا تحريف ، لإن في

تحريف الأحكام افتراء ، وهذا ما لم يأذن به الله عز وجل ، عملاً بما تشير إليه الآيات الكريمت

التي يقول فيها جل من قال : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ

﴿ (سورة البقرة ، آية ٤٢) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ

ءَالِدَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

وَصَّكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ

اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ (سورة الأنعام ، آية ١٤٤) .

وإلى هذه السمة يشير الرسول عليه الصلاة والسلام بأنها فطرة فطر الناس عليها ،

وعندما نزلت الشريعة أكدت عليها ، فاجتمع بذلك الطبع والشرع في حفظها ، قال صلى الله عليه

وسلم : "إن الأمانة نزلت من السماء في جذر قلوب الرجال ، ونزل القرآن فقرأوا القرآن وعلّموا من السنة " . (البخاري ،

كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، ج ١٣ ، ص ٢٦٣)

٦ - الالتزام بمبادئ الأخلاق : أي جعل الهدف الذي يقوم به فيه رضا الله تعالى ، ثم نفع

الناس ، وتحقيق لسعادتهم الدنيوية والأخروية ، فلا يستخدم من الوسائل والأدوات إلا في حدود ما

تسمح به أسس ومسلمات الشريعة الإسلامية . والرسول عليه الصلاة والسلام يوضح ذلك في

حديثه الشريف الذي يقول فيه : " تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث

عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قرينة " . (الدارمي ، ١٤١٤هـ ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٦٥)

وفي اثر العلم المقرون بمباديء الأخلاق يقول المنذري (١٣٨٨هـ ، كتاب العلم ، ج ١) :
أنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل لأهل الجنة ، وهو الأنيس في الوحشة ، والصاحب في
الغربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين
عند الإخلاء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة قائمة تقتص آثارهم ، ويقتدى
بفعالهم، ويُنْتَهَى إلى رأيهم ، وترغب الملائكة في خلّتهم ، وبأجنتهم تمسحهم ، ويستغفر لهم
كل رطب ويابس ، وحيتان البحر ، وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، لأن العلم حياة القلوب من
الجهل ، ومصايح الأبصار من الظلم ، يبلغ بالعبد منازل الأخيار والدرجات العلي في
الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام وبه
يعرف الحلال من الحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء .

ص ٩٤

إذاً فحديث الرسول عليه أفضل الصلوات يشير إلى أن الإسلام لا يعترف بالعلم المجرد
من الأخلاق ، ولا يستخدم العلم في الشر ، لأنه يوضح طريق الحلال والحرام ، ويرشد إلى
محاسن الأخلاق ، والاستقامة .

٧- الصبر والمواظبة والتأني : يحتاج أي باحث إلى صبر وتحمل مشقة ، وكذا المؤصل

فهو باحث ، عليه أن لا يمل من البحث ، والتدقيق ، والتفكير للوصول للمعلومات ، ولا
يمل من إعادة قراءة فكرة لم تختمر في ذهنه ، أو معلومة لم يتمكن من تحليلها وإعادة
تركيبها واستنتاج ما يمكن استنتاجه منها ، ذلك لأن مهمة المؤصل تحويل الفكرة أو العمل أو
الرؤية أو الوجهة إلى تطبيق إسلامي ، فيه تجسيد للمثل الأعلى الا وهو الله عز وجل ، عن طريق

الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه. (عبد الله ، ١٤١٦هـ ، ص ٨٢٨) و(صالح ، ١٤١٤هـ ، ص ٥٠)

وفي ذلك يقول الحق جل وعلا: ﴿ لَتَبْلُؤَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ

وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ

تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٣١﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٨٦) . والصبر سنة

العقائد والدعوات جميعها ؛ لأن فيه مقاومة واعتزام وطريق للمزاولة العملية للتكاليف والمعرفة

الواقعية . (قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ١ ، ص ٥٤٠)

وهذه الصفة طلبها الرسول عليه الصلاة والسلام من المسلمين في حديثه الذي يقول

فيه: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" . (البخاري ، كتاب الرقاق ، ج ١١ ، ص ٣٠٠)

تلخيص : في هذا الفصل عرضت الباحثة الاتجاهات التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي

لعلم النفس والتي تمثلت فيما بين رافض ومحاييد وموافق على العملية . هذه الاتجاهات التي تم

عرضها وضحت المبررات التي ساقها أصحابها والتي جعلت كل فريق منهم يتخذ واحداً من

المواقف الثلاثة التي تم ذكرها .

ثم وبعد عرض الاتجاهات اشارت الباحثة إلى إختيارها لواحد من الاتجاهات الثلاث

وتبنته في دراستها هو : إتجاه الوسط الصحيح . عليه وبعد تحديد إتجاه الدراسة الحالية في

موضوع التأصيل الإسلامي لعلم النفس صار لا بد من تحديد خطوات تسير عليها الدراسة الحالية

في عملية تأصيلها لعلم النفس في بعض من معالمه الرئيسية وفق توجيهات القرآن الكريم والسنة

النبوية المطهرة ، وقد تم عرض تلك الخطوات في شكل توضيحي أولاً ص ٥٩ شكل رقم (٤) ،

ثم شرح مفصل لكل خطوة من تلك الخطوات .

ثم وفي نهاية الفصل تم استخلاص سمات يجب أن تتوفر في القائمين على عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، هذه السمات استمدت من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية للنفس الإنسانية .

وبوصول هذا الفصل إلى خاتمته فسيبدأ الفصل القادم لهذه الدراسة الحالية (الفصل الثالث) بالخطوة الإجرائية لعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، في موضوعها الأول المتمثل في : دراسة طبيعة النفس الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

الفصل الثالث

طبيعة وخصائص النفس الإنسانية في

ضوء توجيهات القرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة

- مقدمة -

- النفس -

- الجسم -

- الروح -

طبيعة وخصائص النفس الإنسانية في ضوء توجيهات

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

مقدمة :-

إن فهم طبيعة النفس الإنسانية كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة لخير معين ودليل على دراسة النفس الإنسانية على الوجه الأكمل ؛ ذلك أن النظرة الإسلامية للنفس الإنسانية نظرة فيها شمولية وتكاملية ، فهي نظرة اهتمت بدراسة النفس وتهذيبها ، وتصفية الروح ، مع عدم إغفال مطالب الجسم وحاجاته ، فهي نظرة متوازنة جمعت بين الجوانب الثلاث التي يصدر عنها السلوك الإنساني النفس، الجسم ، الروح . والسبب في قيام هذه النظرة الإسلامية المتسمة بالسمات السابقة كونها مسترشدة بهدى الخالق لهذه النفس الإنسانية ، وتوجيهات نبيه عليه الصلاة والسلام الذي علمه ربه وقال فيه في الآية الكريمة :

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (سورة النجم ، آية ٥) . حيث يذكر الرازي (د.ت ، ج ٢٨) وجوه متعددة لشرح (علمه شديد القوى) ويقول أن أقواها وأشهرها عند المفسرين : هي أن الضمير في علمه عائداً إلى الوحي ، والوحي هو الكتاب المنزل من الله . ص ٢٨٤

وفي ضوء هذه النظرة للنفس الإنسانية القرآنية النبوية سيقدم هذا الفصل دراسة

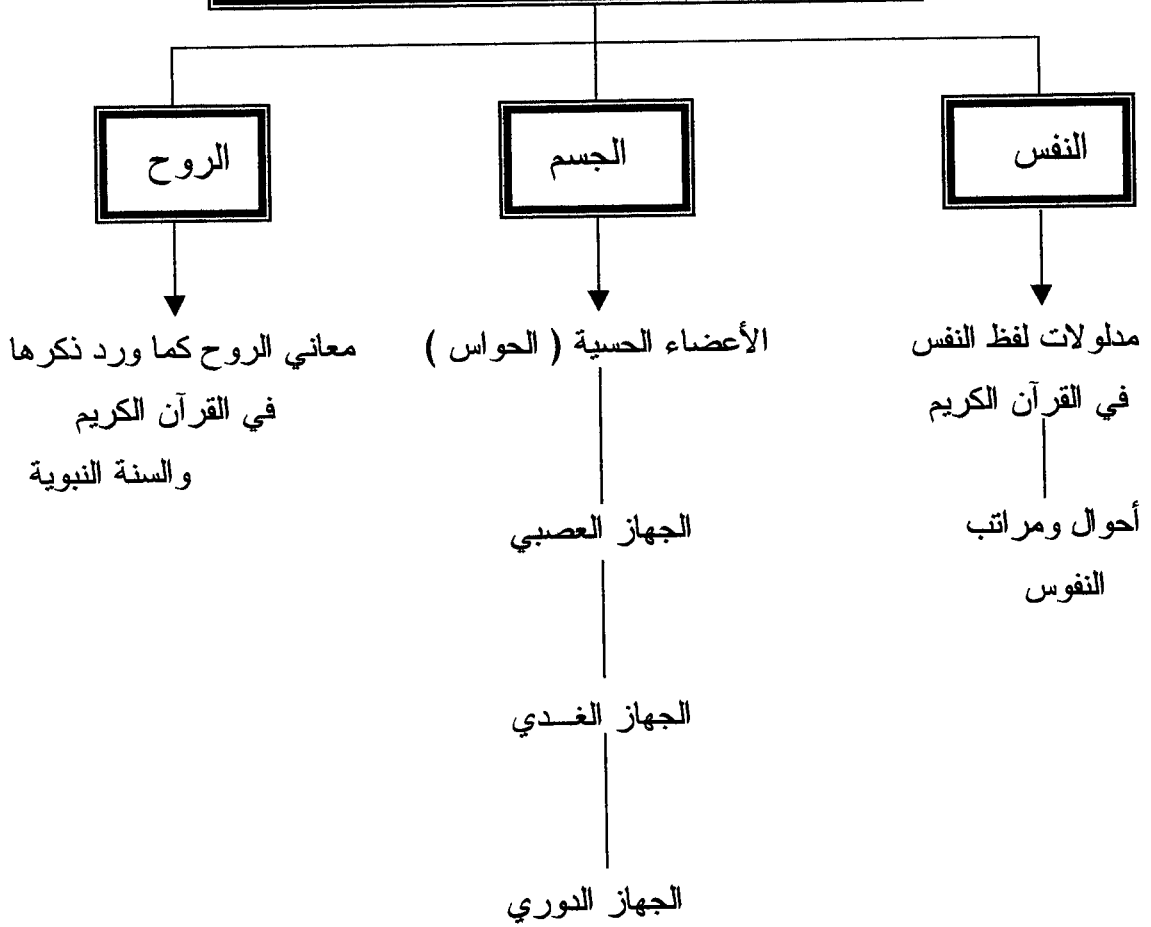
للجوانب الثلاث المسؤولة عن السلوك الإنساني ، ألا وهي :

٣- الروح .

٢- الجسم .

١- النفس .

طبيعة وخصائص النفس الإنسانية
في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية



شكل رقم (٥)

يوضح الجوانب الثلاثة المسؤولة
عن حدوث السلوك الإنساني

أولاً : النفس :

كان البحث ولا زال عن ماهية النفس ، وطبيعتها ، وأحوالها . واختلف العلماء على مر العصور حول حقيقتها ، لذا تعددت آراؤهم وتتنوع مذاهبهم ، ومدارسهم في دراسة النفس .

غير أن الإسلام ألقى الضوء على طبيعة النفس الإنسانية ، فكان خير مرشد وموجه حول هذه الطبيعة . والآيات القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة بهما الكثير عن هذه الطبيعة الإنسانية ستورد الباحثة بعضاً منها على سبيل التلليل ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿٥٤﴾ (سورة

النساء ، آية ١) . وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا

الْتِدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ (سورة يونس، آية

٥٤) . وقوله جل من قال : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ

لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٥٦﴾ ﴿

(سورة فاطر ، آية ٣٢) .

واعتبر الإسلام النفس هي المسؤولة عن جميع تصرفات الإنسان من خير وشر ، إيمان

وكفر ، هدى وضلال ، استقامة وقجور ...، ولعظم هذه المسؤولية فقد أقسم عز وجل بهذه النفس

حين قال جل من قال : ﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٥٧﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٥٨﴾ ﴿

(سورة القيامة: آية ١-٢) . هذا القسم فيه تكريم ، وتفضيل ، حيث يقول الله عز وجل في كتابه

العزیز: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (سورة الإسراء ، آية ٧٠) . لقد اقسم بها جل

وعلا لأنها افضل وأعظم ما خلق وأبدع ، وإلى ذلك تشير الآيات التي يقول فيها رب العزة

والجلال : (سورة الشمس ، ٧ - ١٠) ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿ ﴾ ، ويقول قطب : (١٣٩٨ هـ ، ج ٦) في

تفسير هذه الآية : إن هذه الآيات الأربع بالإضافة إلى (آية ٣، سورة الإنسان) . التي يقول فيها

سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿ ﴾ ، و(آية ١٠، سورة البلد)

التي يقول فيها عز وجل : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿ ﴾ تمثل قاعدة النظرية النفسية في

الإسلام، لأنها توضح نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها ، كما أن فيها قيم تربوية توجيهية

تتمثل في التالي:

١ - الارتفاع بقيمة الكائن الإنساني ، في جعله أهلاً لتحمل تبعه اتجاهاته .

٢ - منحه الحرية في إطار المشيئة الإلهية التي شاعت له هذه الحرية فيما يختار ،

وفيما يوجه استعداداته الفطرية القابلة للنمو .

٣ - وضعه في مكان كريم ، ومنزلة عالية تليق بالخلقة التي نفخ الله فيها من روحه،

وسواها بيده، وفضلها على كثير من العالمين ، في إطار الحرية ، وتحمل التبعات .

٤ - إشعار هذا الإنسان بالحاجة الدائمة للرجوع إلى الموازين الإلهية الثابتة ، ليظل

على يقين أن هواه لم يخدعه فيظل قريباً من الله يهتدي بهديه ؛ فيزكي نفسه.

ص ص ٣٩١٦ - ٣٩١٩

كما ذكر الطبري (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ج ١٢) : في تفسير (فألهمها فجورها

وتقواها) " رواية الرجل الذي من مزينة أو جهينة ، حين أتى إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، وقال له يا رسول الله ،

أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون ، أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق ، أو فيما يستقبلون ، ما آتاهم

به نبيهم عليه السلام ، وأكدت عليهم الحجة ؟ فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : في شيء قد قضى عليهم ، قال فقيم

نعمل ؟ قال الرسول عليه الصلاة والسلام : من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيه لها ، وتصديق ذلك في كتاب الله

(ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها) " . ص ٦٠٣

ويقول (السالموطي ، ١٤٠٤هـ) و(عبد العزيز ، ١٤٠٦هـ) : إن النفس أقرب إلى الطبع

والقوة الحيوية التي تشمل كل ما يصدر عن الإنسان من سلوكيات قوليه أو فعلية ، من مثل

العقل ، والتميز ، والإحساس ، والغرائز ، وما إلى ذلك من تكوينات غير عضوية غير مادية

ص ٧٣ ، ص ٤٥

محلولات لفظ النفس في القرآن الكريم : وردت كلمة نفس في القرآن الكريم بمعان

عدة ، نكرها (منصور وزملاؤه ، ١٤٢٠هـ) منها :

١ - الدلالة على الذات الإلهية : كما في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا

بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ (سورة آل عمران، آية

٣٠). وقوله جل من قال: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَلْعَبُ سَيِّئًا مَرِيْمًا ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ

اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا

لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي

نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٣١﴾ (سورة المائدة ، آية ١١٦) .

٢ — الدلالة على نفس الإنسان : أي الذات الإنسانية كلها نفس وجسم ، ووظائفها من

تفكير ، وتذكر ، وإدراك ، ... وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا

سَوَّاهَا ﴿٣٢﴾ (سورة الشمس ، آية ٧) . ومنها نفس آدم عليه السلام .

٣ — إشارة إلى الروح : وذلك في قوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٣٣﴾

أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٣٤﴾ (سورة الفجر ، آية ٢٧-٢٨) .

٤ — الدلالة على أصل البشرية الواحد : كقوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ

الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿٣٥﴾ (سورة النساء ، آية ١)

٥ — الدلالة على أشخاص معينين كالأنبياء والرسل : وذلك في قوله تعالى : ﴿فَلَعَلَّكَ

بَخِعْ نَفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦١﴾ (سورة

الكهف ، آية ٦١) . وقوله جل من قال : ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ (سورة يوسف ،

آية ٢٦) . ص ص ٥٩ - ٦١

مما سبق يتضح أن كلمة نفس وردت للدلالة على : ذات الله ، وذات الإنسان روح

وجسد وبمعنى الروح ، وفي هذا إشارة إلى أنها متكونة من روح وجسد وعقل .

أحوال ومراتب النفوس : مما أشار إليه الحق جل وعلا عن أحوال النفوس في (سورة

الشمس، آية ٩-١٠) ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ . من حُسن تركيبة

إلى سوء تدسية ، نستطيع إن نقول أيضا أن القرآن الكريم قد نكر في آياته الكريمة أحوال هذه

النفس ابتداءً بالتركية وانتهاءً بالخيبية والتدسية ، من هذه الأحوال ، ما يلي :

١- النفس المطمئنة : وهي النفس التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد به أهل

الإيمان في الدنيا ، نفس متيقنة بما عنده من الجزاء والرضا بما قدره جل وعلا

لها، وهي أعلى مرتبة من مراتب النفوس وأحوالها ، لارتباطها بالله عز وجل

وقدره . (خياط، ١٤١٦هـ ، ص ١١١)

هذه النفس كما يقول عنها (زريق ، د . ت ، ص ص ١٨-٣٥) تدعو صاحبها للتوافق

مع كل موقف ، توافقاً يسعى للكمال والرضا من الله عز وجل ، رضا النفس بعد

أن اطمأنت وأنابت إليه سبحانه وتعالى ، هذه النفس لا يستفزها خوف ولا حزن ،

فهي نفس آمنة مطمئنة ، يقول عنها رب العزة والجلال : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ

قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ (سورة الرعد ، آية ٢٨).

وتشعر هذه النفس بالاستقرار والأمان النفسي والصحة النفسية ، فحق لها

أن يخاطبها رب العالمين بقوله : ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٧﴾ أَرْجَعِي إِلَيَّ

رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١١﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٢٨﴾ (سورة

الفجر، آية ٢٧ - ٣٠).

كما أن هذه النفس تأتيها البشارة من رب العالمين في مواضع ثلاثة : عند

الاحتضار، وعند الحشر، وعند دخول الجنة ، فهنيئاً لها بما اطمأنت له وبه .

٢- النفس اللوامة : إنها النفس التي اقسم الله تعالى بها في قوله : ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ

الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ﴿٢﴾ (سورة القيامة ، آية ١-٢) . وهي

نفس المؤمن ، الذي ما نراه إلا لائم نفسه دائماً ، لأنها نفس متيقظة ، تقية خائفة ،

متوجسة ، تتلفت حولها ، وتحذر خداع ذاتها ، وهي نفس كريمة على الله . (قطب،

١٣٩٨هـ ، ج ٦ ، ص ٣٧٦٨)

هذا اللوم في هذه النفس يتم بوعي وتفكير ومراجعة للذات ، وهي الرقيب

الداخلي، أو ما يسمى قوة الضمير ، وهذا فضل من الله سبحانه وتعالى ، لأن هذه

النفس ترتقي إلى فطرتها النقية ، وتزول عنها غشاوة المعصية ، فتعود للتوبة

والتحذير من الوقوع في المعاصي ، بل وتطلب الاستزادة من فعل الطاعات .

٣ - النفس الأمارة بالسوء : سميت بذلك ، لأنها تخطط دائماً لارتكاب المعاصي ،

وتصر على ذلك ، متعددة حدود الله فتظلم ذاتها ، ومن سمات هذه النفس أيضاً أنها توسوس لصاحبها بالسوء فتجعله يمارس الآثام ؛ من أجل التمتع باللذة العاجلة ، فتسيطر عليها قوة الدوافع الغريزية الحيوانية ، لذا كانت هذه النفس مأوى كل سوء ، قال عنها جل وعلا : ﴿ وَمَا أُبْرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة يوسف، آية ٥٣).

مما سبق نجد أن هذه الأنواع الثلاثة من أحوال النفس ومراتبها النفس

المطمئنة ، النفس اللوامة ، النفس الأمارة بالسوء تتعاقب على النفس الإنسانية في

أحوال مختلفة ؛ ذلك أن النفس الإنسانية تتلوث ويمسها الانحراف أحياناً ، بسبب

العوامل المتعددة التي تحيط بها من خير وشر ، لكن الفطرة السليمة التي خلق

عليها الإنسان تجعل البعض يُغلب النفخة من الروح على القبضة من الطين في

سلوكه وتصرفاته فنراه يقترب من النفس اللوامة ، والبعض الآخر يصل إلى مرتبة

النفس المطمئنة ، أما القسم الثالث من النفوس فتكون قبضة الطين هي الغالبة على

سلوكهم فيهبطون إلى مرتبة النفس الأمارة بالسوء .

ونتيجة لهذا التعاقب بين الأحوال الثلاث للنفس التي سبق ذكرها يتضح

الاختلاف ، والتنوع ، والتعدد لسمات النفس الإنسانية من الإيجاب للسلب ، ومن

الخير للشر ، ومن الصحيح للسقيم .

ثانياً : الجسم :

يعتبر الجسم الوعاء أو الإطار الذي يحوي داخله عدداً من الأعضاء والأجهزة ، التي تؤدي وظائف كثيرة ومتعددة ، هذه الوظائف تتوقف على صحة هذه الأجهزة أو سقمها .

ولأهمية هذا المكون من مكونات الطبيعة الإنسانية صار لا بد من التعرف على أهم أجزاء هذا الجسم وأجهزته ، والذي أشارت إليه آيات قرآنية كثيرة ، وأحاديث نبوية مشرفة ، يتضح فيها دور الجسم ومكوناته في كيفية تحقيق العبودية المطلقة لله عز وجل ، وحمل مسئولية التكليف المنوطة به من خالقه جل وعلا ، الذي خلقه فأحسن خلقه ، وأحسن تركيبه ، وتقويمه ، وتعديله فأتى هذا الإنسان ؛ سوي الخلق ، معتدل التصميم ، جميل التكوين ، محكمه . (قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ٦ ، ص ٣٩٣٣)

وليس أدل على ذلك من قوله تعالى في الآيات التاليات التي وردت في (سورة التين، آية ٤):

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝١ ﴾ ، وفي (سورة الانفطار ، آية ٦ - ٨) . ﴿ يَأْتِيهَا

الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٢ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ ۝٣ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا

شَاءَ رَكَّبَكَ ۝٤ ﴾ ، ولقد نكر الرازي : (د . ت ، ج ١٦) في تفسير الذي خلقك أي بكرم

الوجود لأنه خير من العدم فهو تكريم من الله عز وجل ، و فسواك أي جعله سوياً سالم

الأعضاء يسمع ويبصر ، و فعدلك أي عدل خلقه في العينين ، والأننين ، واليدين ، والرجلين ،

فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع ، فهو قائم معتدل ، حسن الصورة ، لا

كالبهيمة ، وبسبب ذلك الاعتدال ؛ جعله مستعداً لقبول العقل ، والقدرة ، والفكر ، وجعله بذلك ؛

وإصلاً بالكمال إلى ما لم يصل إليه شيء من أجسام هذا العالم . ص ٨٠

ولتوضيح حُسن الخلق ، وحُسن التركيب ، والتقويم ، والتعديل لابد من توضيح مكونات جسم الإنسان الذي عدله عز وجل ، ذات التأثير الأكبر على طبيعة النفس الإنسانية والسلوك الصادر عنها ، باعتبار أن هذا التكوين الجسماني أداة تحدد التفاعل الذي يتم بين أجهزة الجسم ووظائف هذه الأجهزة وبين البيئة .

وتهتم الدراسات النفسية بأربعة تكوينات من جسم الإنسان كما ذكرها عكاشة (١٣٩٤هـ ،

ص ٢٠) ، هي :

١- الأعضاء الحسية الحواس : وهي المستقبلات للمؤثرات الحسية الخارجية

والداخلية ، مثل : السمع ، البصر ، اللمس ، الشم ، التنوق .

٢- الجهاز العصبي : الذي تصل إليه الاحساسات الآتية عن طريق الحواس المستقبلية ،

حيث يقوم هذا الجهاز برود الأفعال المتأثرة بما وصل إليه عن طريق الحواس ،

سواء كانت ردود أفعال إرادية أم غير إرادية .

٣- الجهاز الغدي : وبالذات الغدد الصماء ، التي تتلقى تأثيراتها من الجهاز العصبي ،

وبالتالي تؤثر فيه أيضا ، لذا فإن أي اضطراب في هرمونات الغدد يحدث آثاراً

جسمية نفسية في أجهزة الجسم ووظائفه .

٤- الجهاز الدوري : مركزه القلب ، حيث يعتبر القلب الجزء الممول لأنسجة الجسم

المختلفة بالمواد الضرورية التي تحفظ لها الحياة ، والتي تساعدها على تأدية

الوظائف المختصة بها .

إن التوازن في تلك المكونات — الحسية والعصبية والغدية والدورية — يؤدي إلى تكامل عصبي كيميائي ، وعليه فإنه علينا أن لا نغفل دور أي واحد منهما على الآخر ، وبالتالي على السلوك الإنساني ، وستقوم الباحثة بشرح مفصل لتلك المكونات الأربع في التالي :

المكون الأول : — الأجزاء الحسية — الحواس : لقد زود الله عز وجل الإنسان بأجهزة يدرك بها العالم الخارجي ، وما يدور حوله من أحداث، ولو تدبر الإنسان هذه الأجهزة أو الأدوات ؛ لتوصل إلى إدراك قدرة الخالق المبدع سبحانه وتعالى .

فمثلاً لو تدبر الإنسان في حاسة السمع ، وعرف كيف تعمل الأذن ؟ وكيف تلتقط الأصوات وتكيفها ؟ أو لو تدبر البصر ، وكيف يبصر ، والشم وكذا الذوق ، وهكذا ؛ لتوصل إلى أن مجرد معرفة طبيعة عمل هذه الحواس ، يعد كشفاً معجزاً في عالم البشر ، فكيف بخلقها وتركيبها على هذا النحو المتناسق مع طبيعة الكون الذي يعيش فيه الإنسان ، ذلك التناسق الذي لو اختلف بنسبة واحدة فقط في طبيعة الإنسان ، أو طبيعة الكون ، لفقد الاتصال . فما استطاعت أذن أن تلتقط أصواتاً ولا عين أن ترى ضوءاً ، وكذا بقية الحواس . (قطب ، ١٣٩٨هـ — ، ج ٤ ، ص ٢٤٧٦)

ويقول : نجاتي (١٤٠٩هـ) عن الحواس التي ورد ذكرها في القرآن الكريم بأنها السمع والبصر حيث اكتفى القرآن الكريم بذكرها كأداتين من أدوات الإحساس ، ولأهميتهما في عملية الإدراك ، وهذه خاصة من خصائص أسلوب القرآن الكريم الذي يتميز بالإعجاز البليغ ، والاكتفاء بالتلميح والإشارة إلى الحقائق الأساسية العامة ، تاركاً للإنسان النظر ، والتأمل ، والتدبر ، وإعمال العقل . ص ١١٧

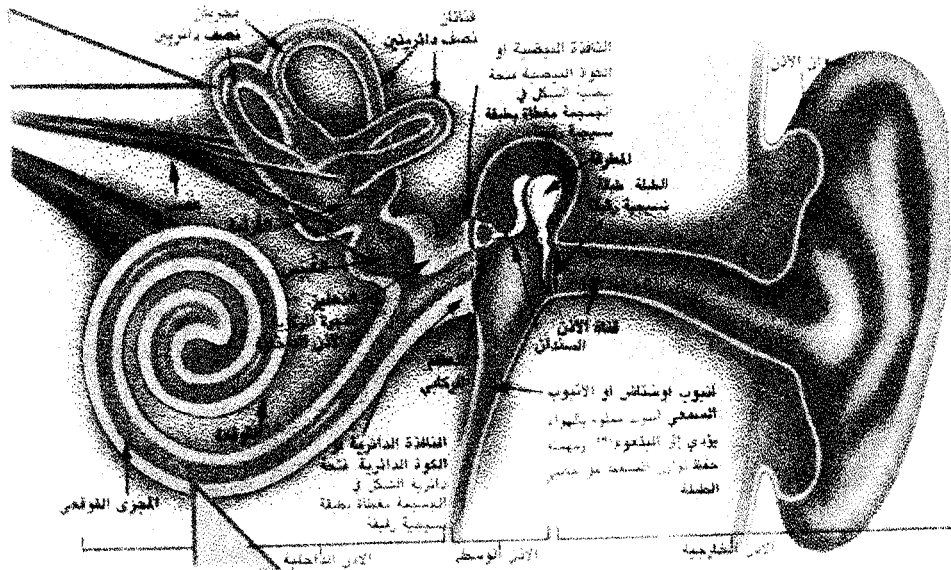
لكن الباحثة ترى أنه وردت أيضا الإشارة إلى حواس أخرى في القرآن الكريم مثل حاسة اللمس ، وحاسة الشم ، وحاسة التذوق ، سيأتي الاستشهاد بتلك الآيات وشرحها في مواضعها ؛ لأننا سنتعرض بالشرح ، مع إيراد للأدلة القرآنية الكريمة ، والأحاديث النبوية الشريفة لكل حاسة من الحواس ودورها في التأثير على السلوك الإنساني ، وتأثرها أيضا بهذا السلوك .

١ - حاسة السمع : وأداتها الأذن ، وتقسّم الأذن عند دراستها إلى ثلاثة أجزاء ، هي :

أ - الأذن الخارجية : التي تشمل صيوان الأذن ، ومجرى السمع الخارجي ، ومهمتها

التقاط الموجات الصوتية وتمريرها للأذن الوسطى .

ب - الأذن الوسطى: والتي تعمل كمكبر آلي بسيط يزيد من قدرة الصوت الداخل للأذن .



شكل رقم (٦)
يوضح أجزاء الأذن
المصدر: (القوز، ١٤١٨هـ ، ص ٨٢)

ج - الأذن الداخلية : وتضم أعضاء السمع وأعضاء التوازن معاً . (فارد، ١٤٠٨هـ ، ص ٨)

وظائف حاسة السمع : للأذن أهميتها في السلوك الإنساني ؛ لأنها تقوم بوظيفتين مهمتين

هما:

١ - الاتصال بالعالم الخارجي ؛ ذلك لأن الأذن تلتقط المؤثرات الصوتية من العالم

الخارجي ، وتنقله إلى الدماغ الذي يتم فيه ترجمة ما سمع .

٢ - الحفاظ على توازن جسم الإنسان الحركي ، مشياً ووقوفاً ؛ لأن السائل الموجود في

الأذن الداخلية يتحرك مع تحرك الرأس ، فيدرك الإنسان توازن رأسه وجسمه .

(الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ص ٧٨ - ٨٠)

ولقد تم الابتداء بحاسة السمع ؛ لأن كثير من الآيات القرآنية الكريمة ابتدأت بذكر

السمع قبل البصر ، والتي منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ

يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ

يُدَبِّرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ (سورة يونس ، آية ٣١) . وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ

سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ قَلِيلًا مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

(سورة السجدة ، آية ٩) .

وينكر الرازي (د . ت ، ج ٢٥) : في تفسير : (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة)

التالي : " أن الترتيب في السمع والأبصار والأفئدة على مقتضى الحكمة ؛ ذلك لأن الإنسان

يسمع أولاً من الأبوين أو الناس أموراً يفهمها ، ثم يحصل له بسبب ذلك بصيرة ، فيبصر

الأمر ويجربها ، ثم يحصل له بسبب ذلك إدراك تام وذهن كامل ، فيستخرج الأشياء مرتبة ، ومثاله شخص يسمع من أستاذه شيئاً ، ثم يصير له أهلية التصنيف فيكتب من قلبه كتاباً ، فكذلك الإنسان يسمع ، ثم يطالع صحائف الموجدات ، ثم يعلم الأمور الخفية " .

كما يقول الرازي أيضاً إن الله عز وجل في الآية الكريمة قد ذكر في - السمع - المصدر لا الاسم بينما في البصر والفؤاد الاسم ، ولهذا جمع الأبصار والأفئدة ، ولم يجمع السمع ؛ لأن المصدر لا يجمع ، وذلك لحكمة وهو أن السمع قوة واحدة ولها فعل واحد ، فإن الإنسان لا يضبط في زمان واحد كلامين ، والأذن يأتيها الصوت من أي جانب كان ، ولا قدرة لها على تخصيص القوة بإدراك البعض دون البعض ، وأما الإبصار فمحلها العين ولها فيه شبه اختيار فإنها تتحرك إلى جانب مرئي دون آخر ، وكذلك الفؤاد محل الإدراك وله اختيار أيضاً ، فالتفت إلى ما يريد دون غيره . ص ١٧٤ ، ١٧٥

ويعلل نجاتي (١٤٠٩هـ ، ص ٤٧) والجاعوني (١٤١٣هـ ، ص ١١٧) : أسباب تقديم

السمع على بقية الحواس في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، بالتالي :

أ - أننا بالسمع نستطيع أن نتعلم ، ونفكر ، وندرك حتى لو تعطلت حاسة من

الحواس ، فالذي يفقد بصره لا يزال يحتفظ بقدرة كبيرة على التعلم عن طريق

السمع ، بعكس من يولد أصم فإنه يصعب عليه جداً تعلم النطق والكلام واللغة ،

وتؤكد الآية الكريمة هذه النقطة المشار إليها التي يقول فيها عز من قال : ﴿ إِنَّمَا

يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة

الأنعام ، آية ٣٦) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا^{١٤}

وَتَرْنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٣٨﴾ (سورة الأعراف ، آية ١٩٨) .

بجـ - هناك علاقة وثيقة بين السمع والعقل ، وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة التالية

التي يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي

أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠٠﴾ (سورة الملك ، آية ١٠) . ويقول جل من قال : ﴿ وَأَنَا لَمَّا

سَمِعْنَا الْهُدَىٰ^{١٤} ءَأَمْنَا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٠١﴾ ﴿

(سورة الجن ، آية ١٣) . ويقول جل من قال : ﴿ أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ

مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ^{١٥} وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

يَسْمَعُونَ ﴿١٠٢﴾ (سورة الأعراف ، آية ١٠٠) .

جـ - إن حاسة السمع تعمل عقب الولادة مباشرة ، بينما يحتاج الطفل إلى فترة من

الزمن لكي يستطيع الرؤية بوضوح .

د - إن حاسة السمع إذا كانت سليمة فهي تؤدي دورها في جميع الأوقات لا تتعطل

مثل حاسة البصر بالإغلاق ، أو بالنوم ، أو في الظلام .

هـ - الأذن تستقبل الصوت من جميع الجهات ، بينما العين لا ترى إلا إذا اتجه

الإنسان ببصره نحو الشيء المراد رؤيته .

هذا وقد وردت توجيهات قرآنية توجه إلى حسن استخدام حاسة السمع لدى الإنسان ، فقد فرض الله جل وعلا على الإنسان تنزيه سمعه عن كل ما حرم الله ، ونهى عنه ، وأن لا يصغي إلى ما يجلب غضب رب العزة والجلال مثل : سماع قول السوء ، والفحشاء ، والاستهزاء بآيات الله سبحانه ، ولغو المجالس ... فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (سورة القصص ، آية ٥٥) . وقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِمْ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (سورة النساء ، آية ١٤٠) .

كما جاءت أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام توضح أهمية حاسة السمع وتوجه إلى كيفية تجنبها مواطن الضعف فيذكر (النسائي ، كتاب الاستعاذة ، ج ٨ ، ص ٦٤٧) " حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام عندما سأله شكل بن حميد قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا نبي الله علمني تعوداً أتعوذ به ، فأخذ بيدي ، ثم قال : قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ، وشر بصري ، وشر لساني وشر قلبي ، وشر منيبي ، قال : حتى حفظها " .

كما يذكر (الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، ج ٤ ، ص ٥٣٤) حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم يقول فيه : " يؤتى بالعبد يوم القيامة ، فيقول الله له : ألم أجعل لك سمعاً ، وبصراً ، ومالاً ، وولداً ، وسخرت لك

الأنعام والحراث ، وتركك ترأس^(١) وترع^(٢) ، فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا ؟ قال : فيقول : لا ، فيقول له اليوم أنساك كما نسيتي ."

لذا وجب على المسلم أن يدعو ربه فيقول : اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ليكون ممن هداهم الله ، وأيضاً ليصبح من أولي الألباب الذين أشارت إليهم الآية الكريمة التي تقول : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة الزمر ، آية ١٨) .

ك- حاسة البصر : وعضوها العين ، والعين شبكة كروية ، تقع في مقدمة الجمجمة ، محمية داخل محجر العين ، قادرة على التحرك داخل المحجر بصورة حرة بمساعدة جهاز معقد من العضلات في منطقة الحاجبين . ويبرز عظم الجمجمة لحماية العين من الإصابات الخارجية . وكرة العين هي جسم طري وأجوف ، يتم الحفاظ على شكله الدائري بواسطة الجسم الخارجي ، الذي هو عبارة عن مادة شفافة جيلاتينية ، تملأ فراغ كرة العين . وفي القسم الأمامي من العين توجد :

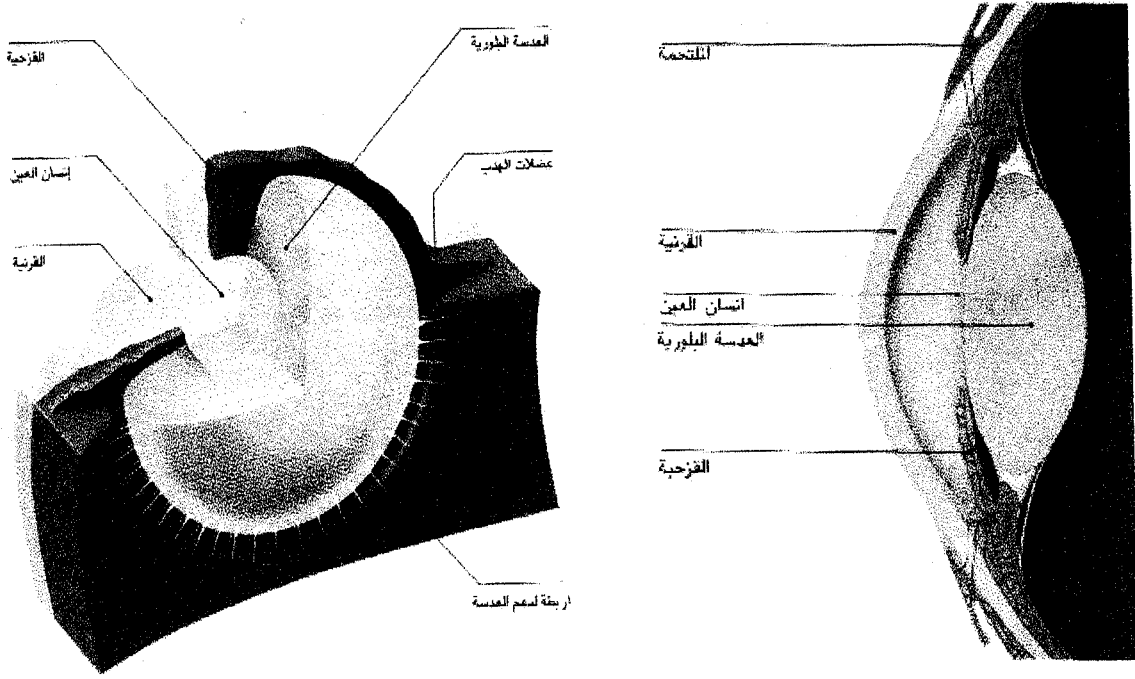
أ - القرنية الشفافة : التي تغطي إنسان العين ، ومع أن القرنية تبدو رقيقة وحساسة ، لكنها

قوية جداً ، ومكونة من ألياف هي أيضاً دقيقة وشفافة .

١- ترأس : يرأس القوم ويصبح رئيسهم .

٢- ترع : أي تأخذ ربع الغنيمة : ويقال ربع القوم أربعمهم يريد : ألم أجعلك رئيساً مطاعاً .

جـ - القرحية : وهي التي تتحكم في كمية الضوء التي تدخل العين ، ويوجد في مركز القرحية منطقة سوداء تعرف باليوبؤ إنسان العين . تنقلص القرحية في الضوء القوي ، ويصغر حجم اليوبؤ كثيراً ، وفقاً للمعلومات التي يتلقاها حول كمية الضوء التي تصل إلى الشبكية ، كما تحتوي القرحية على جهازين عضليين ؛ الجهاز الأول يفتح بؤبؤ العين ، والثاني يتسبب في انغلاقه .



شكل رقم (٧) شكل رقم (٨)
يوضحان أقسام العين
المصدر : (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ١٠ ، ١٣)

جـ - العدسة : وهي عضو فريد من نوعه ؛ فهي ذات حجم صغير جداً ، بحجم حبة البازلاء الصغيرة ، لكنها مجوفة قليلاً إلى الداخل ، صافية جداً ، ولها لون أصفر خفيف ، ومبنيّة

من طبقات من الخلايا الشفافة ، وللعنسة قدرة على تجميع الضوء ، كما أنها مرنة جداً ، ويمكنها أن تغير شكلها وتتركز حسب المسافة ، وبفضل هذه الميزة بإمكان العين أن تنظر إلى جسم بعيد والانتقال فوراً إلى جسم أقرب ، بحيث يبدو الجسم أمامنا واضحين .

ط - العضلات الهدبية: وتحيط بالعدسة على شكل حلقة ، مربوطة بالصلابة التي تغطي العين ، وعندما ننظر إلى جسم قريب فإن عضلات الهدب تتقلص ، فيضعف الضغط على الأحزمة التي تثبت العدسة ، فتصبح شبه كروية ، وعندما تكون عضلات الهدب ضعيفة ومرتخية ، تصبح العدسة أكثر تسطحاً ، وللأهداب مهمة المحافظة على العينين ، وعلى رطوبتهما ، كما أنها تقوم بعملية تظليل العينين من الضوء القوي .

هـ - الشبكية : هي طبقة داخلية معقدة ، تبطن القسم الخلفي من العين ، فتنشأ على الشبكية صورة معكوسة من أسفل لأعلى ، ومن الأمام إلى الخلف . تلتقط الشبكية الصورة ، وتحولها إلى سلسلة من الإشارات الكهربائية ، التي تمر إلى المخ عبر الأعصاب ، أو ما تسمى أعصاب الرؤية ، وتصل إلى قشرة المخ حيث يقوم المخ بفرز الإشارات الكثيرة ، وتكوين الصورة . (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ص ٦ - ٣١)

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أنواع النظر والرؤية ، وهي :

١- نظر بصري ، كالذي ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا

وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى

الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ
 دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ (سورة الأعراف ، آية ١٤٣) .

٢- نظر قلبي ، يتمثل في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ
 قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنِ
 تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ (سورة الحج ، آية ٤٦) .

٣- نظر عقلي ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الَّتِي نَقَضْنَا
 فَيْئَةً تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ
 يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ آيَةٌ فِي ذَلِكَ لِعِبْرَةٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ (سورة آل
 عمران ، آية ١٣) .

ولكمال وحسن الإدراك يجب أن تجتمع الأنواع الثلاثة السابقة للنظر ، أما إذا عطل

الإنسان النظر القلبي ، والنظر العقلي ، فيكون ممن أشارت إليهم الآية الكريمة التي نقول :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ

لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ

الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ (سورة الأعراف ، آية ١٧٩) . ونتيجة لتعطيل الإنسان أجهزة الاستقبال

الفطرية لديه، التي أودعها فيه جل وعلا لحكمة أرادها ، تنزلهم الآية منزلة الأتعام وتهبط بهم عن منزلة البشر.

كما أن حاسة البصر تقود إلى طمأنينة القلب ، التي ورد ذكرها في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، التي يقول فيها الحق عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتُؤَمِّنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ (سورة البقرة ، آية ٢٦٠) .

وكذلك في قصة موسى عليه السلام ، عندما بعثه الله إلى فرعون ، فقال فيه جل من قال : ﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَنَا تَزَكَّىٰ ﴿٢٠﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿٢١﴾ فَأَرِنَهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٢﴾ (سورة النازعات ، آية ١٨ - ٢٠) .

ولتحصل هذه الطمأنينة في القلب التي تأتي عن طريق حاسة البصر ، والتي تؤدي إلى تحقيق طاعة الله ومرضاته ، على المسلم أن :

أ - يغيض بصره عن كل ما حرم الله عملاً بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ

أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿

(سورة النور، آية ٣٠) .

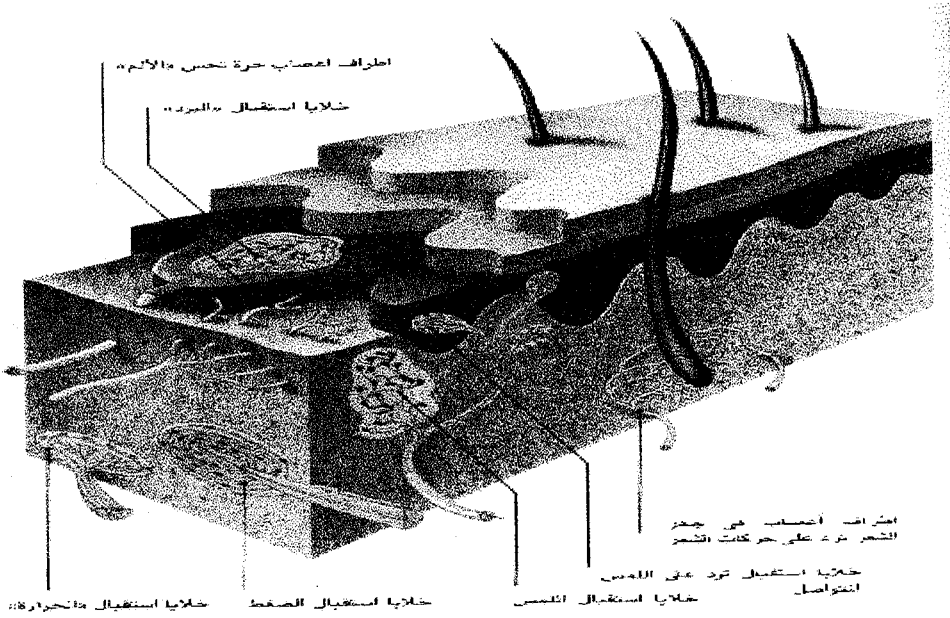
ب - يستعمل هذه الحاسة ليحقق الغرض من خلافته في الأرض عن طريق النظر

والتأمل في آيات ربه عز وجل ؛ للعبرة والعظة، وتعمير الأرض ، والتفقه والعبادة.

٣- **حاسة اللمس** : وعضوها الجلد ، وهي مرهونة بمدى حساسية هذا الجلد ، والجلد يتكون

من طبقتين منضدتين ، طبقة خارجية ، وطبقة داخلية تسميان :

أ - البشرة : وهي الطبقة الخارجية ، وتتكون من خلايا ميتة ، يتفاوت سمكها



شكل رقم (٩)
يوضح طبقات الجلد
المصدر: (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ١١)

وكثافتها باختلاف مناطق الجسم ، فبشرة الوجه دهنية جداً ، بينما في أخص

القدم وخاصة في نقاط ارتكاز ثقل جسم الإنسان تكون سميكة .

ب- الأدمة : وتقع تحت البشرة ، وهي مكونة من خلايا غنية بالأوعية الدموية ،

تقع داخلها الغدد العرقية ، والدهنية ، والبصيلات الشعرية ، والملتقطات

الحسية . والإدراك عن طريق الحاسة اللمسية عملية بالغة التعقيد ؛ لأن

الإحساسات تأتي من مناطق متعددة ومختلفة ، فتفسيرها أمر فيه صعوبة

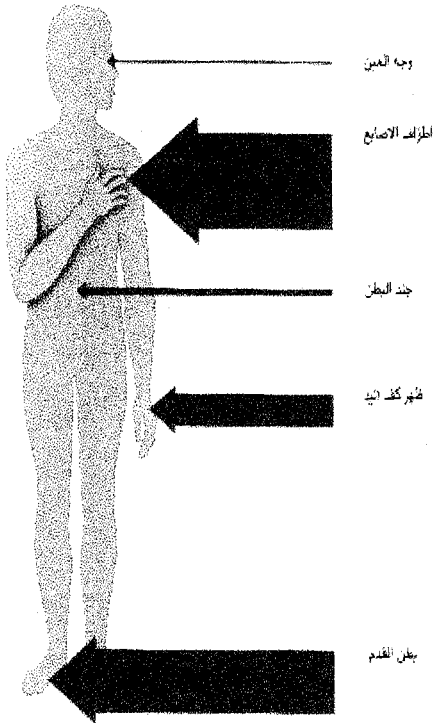
كبيرة ؛ لذا جرى التمييز بين ثلاثة أنواع من الإحساسات اللمسية ، هي :

١- الإحساس بالضغط .

٢- الإحساس بالحرارة

والبرودة .

٣- الإحساس بالألم .



إن الإحساس بالضغط يتوقف على كثافة

ونوعية الضغط الذي يقع على الجلد ، أما الإحساس

بالحرارة والبرودة فمرهونان بدرجة حرارة الجسم،

وبالكيفية التي تتم بها إثارة الجلد. فمثلاً إذا لمسنا

شيئاً كانت درجة حرارته فوق درجة حرارة جسمنا،

نحس بالحرارة بدرجة عادية ، لكن إذا سبق وأن لمسنا شيئاً

بارداً قبل أن نلمس الشيء الحار نفسه ، فإن الإحساس بالحرارة

يكون أشد درجة من الإحساس الأول . (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ ، ج ٤ ، ص ٣٨)

أما الإحساس بالألم فهو أكثر الحواس أهمية بين الحواس التي تدافع عنا ، فقد يكون

الإحساس بالألم نابع من خلايا استقبال الضغط ، أو خلايا استقبال الحرارة ، كما أن هناك خلايا

استقبال ألم خاصة في الجلد ، وفي أعضاء كثيرة داخلية ، وأماكن مختلفة من الجسم .

شكل رقم (١٠)
يوضح أماكن حساسية الجسم
المصدر : (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ١٩)

كما أن الحساسية تجاه الألم متفاوتة في أماكن مختلفة من الجسم ، وفق عدد خلايا الاستقبال الموجودة في أماكن متعددة . فمثلاً خلايا استقبال الألم تكون مكتنزة على سطح العين ، لذا فإن أي تلوث في العين يتسبب لنا بألم شديد، أما في أطراف الأصابع المزودة بقدر كبير من خلايا استقبال اللمس ، فتوجد خلايا استقبال ألم قليلة ؛ لكي لا تضايق أو تؤثر على حاسة اللمس.

(فارد، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، ص ١٨)

وفي هذه الحاسة يقول عز وجل في كتابه العزيز ، في (سورة النساء ، آية ٥٦) ﴿ إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا

لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ، فالآية الكريمة تشير إلى حاسية جلد

الإنسان للألم ، حيث يحترق الجلد ويصل الألم إلى نفس الإنسان . وكذلك الآية القرآنية التي

يقول فيها جل من قال : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ

كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ (سورة الأنعام ، آية ٧) . حيث يفسر كل من قطب (

١٣٩٨هـ، ج ٢، ص ١٠٣٩) والطبري (١٤١٢هـ ، ج ٥، ص ١٥٠) : هذه الآية ، فيقولان : أنها آية

تفسر موقفاً من مواقف المشركين في رفضهم للدعوة الإسلامية ، وإعراضهم عن آيات الله ، لا

بضعف البرهان والدليل، أو غموضه ؛ بل هو الإصرار المبدئي على الرفض والإنكار ، وعدم

اعتبار البرهان ، حتى لو أنزل سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، محمد بن عبد

الله ، هذا القرآن في ورقة منظورة ملموسة ، محسوسة ، ثم لمس المشركون هذه الورقة بأيديهم،

لا سماعاً عن غيرهم ، ولا رؤية بالعين فقط ، فهم لن يسلموا بهذه الورقة التي يرونها
ويلمسونها ، وقالوا إن هذا إلهام مبین .

٤ - **حاسة الشم :** وهي حاسة كيميائية ، وعضوها الأنف ، الذي يقع في مقدمة الجمجمة .

فخلف الأنف مباشرة يوجد فراغ كبير يسمى **التجويف الأنفي** فعندما نتنفس يتم استنشاق الهواء
إلى داخل التجويف الأنفي ، ليمر من خلاله ويدخل إلى الرئتين ، لكن يبقى جزء من هذا الهواء
مختلطاً بسقف التجويف المتصل بالأعضاء الحسية الشمية ، المتصلة بالمخ بواسطة ألياف
عصبية مباشرة ، حيث تميز هنا الروائح . (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٦)

٥ - **حاسة التذوق :** وعضوها اللسان . وترتبط حاسة التذوق بحاسة الشم ارتباطاً

كبيراً ، فكل شيء نتذوقه تقريباً نشمه أيضاً ، كما أن حاستي التذوق والشم من الحواس المسئولة
عن غالبية إحساسنا بالدوافع الفطرية منها والمكتسبة ، من جوع ، وعطش ، وحب ، وإحساس
بالانتماء ... كما في حالة شمنا لرائحة معينة ، هذه الرائحة قد تذكرنا بشخص معين ، أو تذكرنا
بوجود سابق لنا في مكان ما ؛ فتثير في نفوسنا تلك الرائحة دافعاً معيناً ، أو عاطفة معينة قديمة ،
أو انفعالاً معيناً .

وتنتشر على سطح اللسان براعم **التذوق** حيث تتوزع الحساسية الذوقية على سطحه

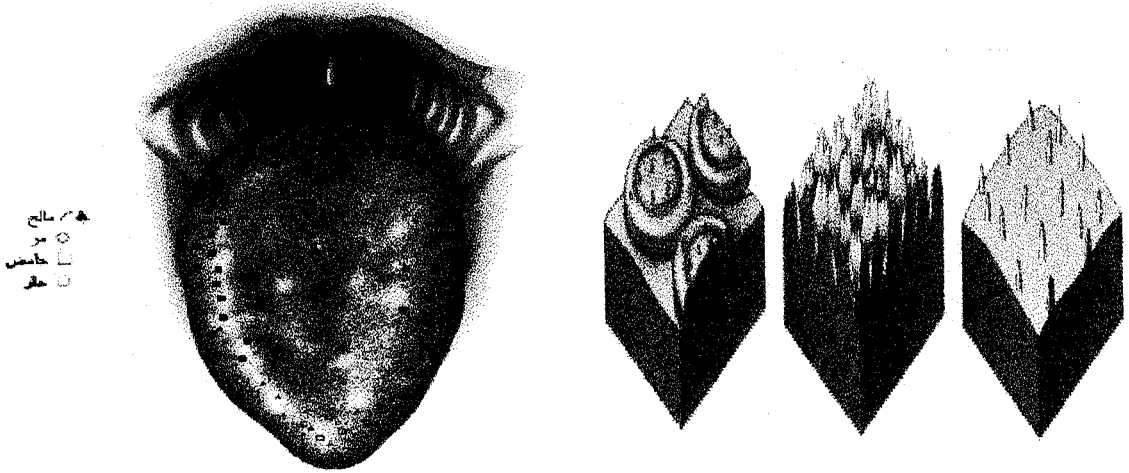
على نحو غير متكافئ ، وذلك من حيث الكم والكيف ، فرأس اللسان وجانبيه والجزء الخلفي
منه ، أكثر تأثراً من الوسط . فنرى أن رأس اللسان يتأثر بالمذاقات الحلوة والمالحة ، بينما القسم
الخلفي منه يتأثر بالمذاقات المرة ، أما الجوانب فتتأثر بالمذاقات الحامضية ، ويعود ذلك إلى أن
هناك أربعة مذاقات أساسية تعرف بالإحساسات الذوقية الصافية ، وهي :

٢- الحامض .

١- الحلو .

٤- المر .

٣- المالح .



شكل رقم (١١)
يوضح أماكن انتشار براعم التذوق على اللسان
المصدر : (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣٢ و ٣٣)

وكافة المذاقات الأخرى تتدرج تحت المذاقات الأربعة المذكورة سابقاً . (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص

٣٢- ٣٤) و (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ ، ج ٤ ، ص ٤٠)

وعن هذا العضو يقول علي (١٤١٧هـ) : أن اللسان رسول القلب وترجمانه ودليله ،

صغير جرمه ، عظيم خطره ، وأعصى الأعضاء على الإنسان . ص ٢٤٠

ولقد ذُكر اللسان ووظائفه الحسنة والسيئة في القرآن الكريم في الآيات التي يقول فيها

جل من قال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾

(سورة البلد ، آية ٨- ١٠) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ

شَعَلْتَنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ

يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

خَيْرًا ﴿٣٠﴾ (سورة الفتح ، آية ١١) . ويقول جل من قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ

أَسْتَقْلَمُوا تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ

تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ (سورة فصلت ، آية ٣٠) .

فاللسان آية من آيات الله ، لكن استخداماته مختلفة باختلاف أصناف البشر ، فقد يكون

النطق فيه واحداً من أمرين ، هما :

أ - نطق موصل إلى الاستقامة في قول الحق وبالتالي فعله . فيكون هذا النطق باباً من

الأبواب الموصلة إلى الجنة ، وهذا ما أشارت إليه آية سورة فصلت السابقة الذكر ،

وإلى ذلك يشير حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه : " إن العبد ليتكلم

بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالأ يرفعه الله بها درجات " . (البخاري ، كتاب الرقاق ، ج ١١ ، ص

(٣١٤)

آ - نطق موصل إلى سخط الله وعقوبته ، فيكون باباً من الأبواب الموصلة إلى النار ،

وفي ذلك يقول عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات : " إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين

فيها ، يزل بها في النار بعد ما بين المشرقين " . (البخاري ، كتاب الرقاق ، ج ١١ ، ص ٣١٤)

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام أن اللسان مصداق الإيمان في حديثه الذي يقول

فيه : " لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه " . (أبي داود،

كتاب الأدب ، ج ٤ ، ص ٢٥٠)

وقد تعدد ذكر اللسان في القرآن الكريم في مواضع متعددة ، توضح دوره كأداة

للدعوة ، والموعظة ، ومكارم الأخلاق ، كما توضح دوره في الشقاق ، والنفاق ،

وغيره فيقول رب العزة والجلال : ﴿ فَأِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ

وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴾ (سورة مريم ، آية ٩٧) . ويقول جل من قلال : ﴿ وَوَهَبْنَا

لَهُمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيمًا ﴾ (سورة مريم ، آية ٥٠) .

ويقول عز وجل : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴾ (سورة النور ، آية ٥) . وكذلك يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونَنَ أَلْسِنَتَهُمُ

بِالْكِتَابِ لِيَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ

وَمَا هُوَ مِن عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران،

آية ٧٨) . ويقول جل وعلا : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا

وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ

مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا

﴿ (سورة الفتح ، آية ١١) .

المكون الثاني : - الجهاز العصبي :

هذا الجهاز هو الذي يضمن إبقاء الجسم حياً ونشطاً ؛ ذلك لأنه ينسق وينظم ويضبط حركات ووظائف مختلف الأعضاء ، من ابسطها إلى أكثرها تعقيداً ، ويعتبر الجهاز العصبي كأنه شبكة معقدة من العناصر والقنوات التي تتخلل تفرعاتها جميع مناطق الجسم . تحكم هذه الشبكة نقطة مركزية ضابطة ومنسقة لنشاطها هي الدماغ . (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ ، ج ٤ ، ص ٢)

والجهاز العصبي يعد العامل الرئيسي والمؤثر في نشاط الإنسان ، وسلوكه مع ذاته ، ومع بيئته . ولأهمية هذا الجهاز ستقوم الباحثة بذكر أجزائه الرئيسية .

أقسام الجهاز العصبي : ينقسم الجهاز العصبي إلى قسمين كبيرين ، هما :

- الجهاز العصبي المركزي الإرادي .

- الجهاز العصبي المحيطي الطرفي .

١- الجهاز العصبي المركزي - الإرادي - : ينقسم الجهاز العصبي المركزي من

حيث أدائه الوظيفي إلى قسمين :

أ - قسم يشرف على وظائف التغذية والإفرازات .

هـ - قسم يشرف على النشاط الجسمي والحركي الذي يصل بين الكائن الحي وبيئته .

(المليجي ، ١٣٩٤هـ ، ص ٦٩)

كما يقسم تشريحياً إلى :

أ - المخ الدماغ . هـ - النخاع الشوكي .

وسيتم توضيح أقسام هذا الجهاز تشريحياً ووظيفياً في التالي :

أ - المخ (الدماغ) : هو عبارة عن عدد هائل من الخلايا العصبية ، يقدر عددها بعشوة

ملايين خلية ، ويزن مخ الإنسان البالغ حوالي ١،٤٠٠ كغ ، ويحتوي على ٨٥% من الماء ،

ويشغل المخ نصف الحيز الداخلي

للجمجمة ، والكتلة المخية على شكل

كرة ، يظهر انشطارها في الوسط إلى

فلقتين ، محفوظة داخل العلبة الجمجمية ،

أو ما يسمى بالقحف - أما الجدار الداخلي

للجمجمة فهو مدعم بثلاثة أغشية ، تسمى

بالأغشية السحائية ، وهذه السحايا الثلاث

مختلفة بعضها عن بعض، وهن :

١ - الأم الجافية الصلبة : وهي طبقة ليفية ،

متميزة بشدة المقاومة ، وتبطن فراغ الجمجمة

المحيط بالمخ وتحميه.



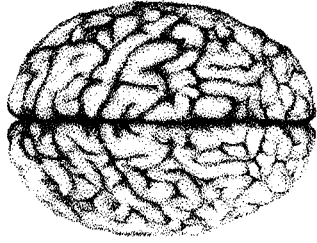
شكل رقم (١٢)

يوضح الأغشية الواقية للمخ

المصدر : (فارذ ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣ - ٤)

٢ - الأم الحنون الرخوة : وهي السحابة التي تحيط مباشرة بالمخ ، وبها عدد كبير من الأوعية

الدموية التي تغذي المخ.



٣ - الغشاء العنكبوتي : ويقع بين السحائب الأم الجافية ، والأم

الحنون على غرار شبكة العنكبوت ، ووظيفته تخفيف تأثير

الصددمات الخارجية على المخ ، كما ينتج هذا الغشاء

العنكبوتي مادة سائلة تسمى بالسائل المخي ، وهو يعمل

على وقاية الكتلة المخية من تأثير الضربات .

(الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ - ج ٤ ، ص ٣-٤) (المليجي ،

١٣٩٤ هـ - ١٩٧٢ م ، ص ٧٠)

أما المخ فيتتركب من :

١- النصفان الكرويان : ويسميان بنصفي الكرة التوأمية ؛

لأنهما يتطابقان في خصائصهما الأساسية ، كما أنهما

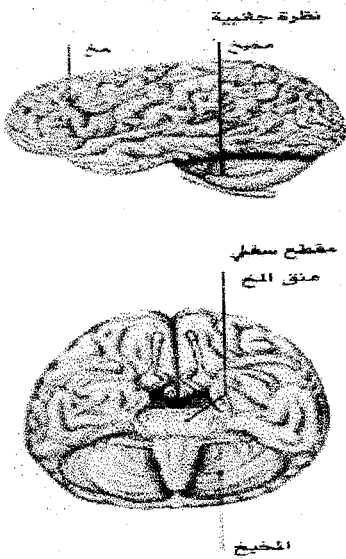
يكونان الجزء الأكبر من المخ ، وهما قسمان : أيمن

وأيسر ، وسطحهما العلوي كثير التجاعيد والتثنيات . وتقوم

علاقة بين كثرة التجاعيد وعمقها ، وبين قوة الإدراك ؛

فكلما ازدادت التجاعيد ازدادت حدة الإدراك .

وفي النصفين الكرويين توجد مراكز الحواس من سمع



شكل رقم (١٣)

يوضح تركيب المخ

المصدر: (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ ،

ج ٤ ، ص ٤)

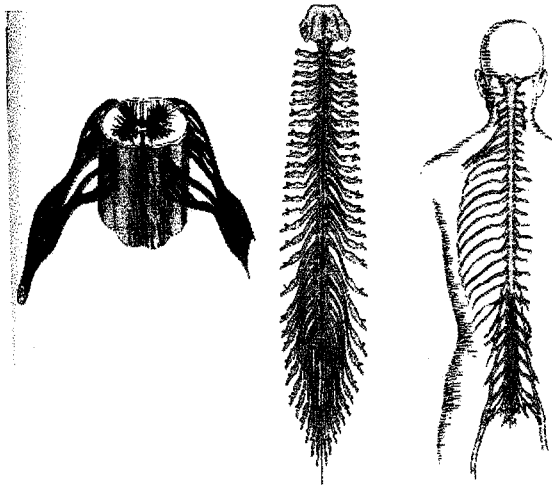
ويعصر ، وشم ... ، كما أن القسم الأيمن من النصفين الكرويين يتحكم في النصف الأيسر من جسم الإنسان ، والعكس ، وهذا ما يتضح عندما يصاب أحد جانبي المخ بإصابة ما ؛ فإنه يحدث شلل في الجانب المعاكس من الجسم . (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ — ج٤ ، ص٤)
(المليجي ، ١٣٩٤هـ ، ص٧١)

٢ — المخيخ : يوجد المخيخ في قاعدة نصف الكرة ، في مؤخرة الدماغ ، ويسمى بذلك لشكله المماثل لشكل المخ ، بحجم مصغر ، كما أنه ينقسم هو أيضا إلى نصفي كرة منفصلين يوضح تركيب المخ بأخدود ، حيث توجد مادة رمادية على السطح ، ومادة بيضاء في الداخل . ووظيفة المخ تتمثل في تنظيم الحركات الإرادية وضبطها مع توازن الجسم في مختلف الحركات والأوضاع ، مثل : الجري ، المشي ... ويختل توازن حركات الجسم إذا ما أصيب المخيخ بأي ضرر . (حامد ، ١٤١٧هـ ، ص٢٠٣)

٣ — قنطرة فارول : عبارة عن جسم عصبي يتصل من الأعلى بقاعدة النصفين الكرويين ، ومن خلف بالمخيخ ، ومن أسفل بالنخاع المستطيل ، ووظيفة القنطرة توصيل التيارات العصبية المتبادلة بين النخاع المستطيل والنصفين الكرويين .

٤ — النخاع المستطيل : هو كتلة عضلية توجد أسفل المخ ، يبلغ طولها حوالي ٢,٥ سم ، يتحكم النخاع المستطيل في حركات التنفس ، والقلب ، والبلع ، كما ينظم إفراز العرق وحجم الأوعية الدموية . (المليجي ، ١٣٩٤هـ ، ص٧٣)

٥ — النخاع الشوكي : وهو على شكل أسطوانة مفلطحة قطرها تقريبا (٨) ملم ، هو في الأساس حبل من نفس النسيج العصبي المكون للدماغ ، ويبلغ طوله لدى البالغين حوالي (٤٠) سم



ويلج داخل العمود الفقري ، وتحيط به ثلاث
سحايا يتدفق فيها السائل المخي الشوكي،
ويتصل بمناطق الجسم المختلفة بواسطة (٣١)
زوجاً من الألياف العصبية ،
تتفرع من جوانبه وتسمى بالأعصاب الشوكية .
ولهذا الحبل الشوكي وظيفتان رئيسيتان ،

هما :

شكل رقم (١٤)
يوضح شكل النخاع الشوكي
المصدر : (الموسوعة الحديثة ،
١٤١٠ هـ ، ج ٤ ، ص ٦)

١ - حمل التأثير العصبي من سطح الجسم والأطراف

إلى المخ عبر الألياف الموصلة، للتنبه الحسي أو ما يسمى بالأعصاب الموردة .

٢ - حمل التأثير العصبي من المخ إلى الجذع والأطراف والعضلات والغدد في أجزاء

الجسم المختلفة عبر الألياف الموصلة للتنبه الحركي الأعصاب المصدرة .

ويصدر عن النخاع الشوكي ثلاث أنواع من الحركات ، هي :

١ - حركات إرادية : يدرکها الإنسان أثناء وقوعها وتتم بإرادته ، كحركات الأطراف،

والجذع المختارة.

٢ - حركات لا إرادية : وتحدث بعيداً عن الإرادة الكلية للإنسان ، كحركات القلب ،

والرئتين ، والأمعاء ، والأوعية الدموية .

٣- حركات انعكاسية : مجالها مجال الحركات الإرادية ، ولكنها تتم بدون تدخل

الإرادة فيها، فهي آلية لا تعتمد على انتباه الفرد ، بل على تركيب المراكز

العصبية ، مثل : ضيق حدقة العين واتساعها إذا أثرت بالضوء، والعطس إذا

دخل الأنف شيء غريب ، انقباض النزاع فجأة إذا وخزت بديوس . (عكاشة ،

١٣٩٤هـ ، ص٢٧) و (المليجي ، ١٣٩٤هـ ، ص ٧٥)

٢- **الجهاز العصبي المحيطي - الطرفي** - : ويقصد به مجموع الأعصاب التي

يحتوي عليها جسم الإنسان ، ويفضل هذا الجهاز العصبي المحيطي تكون كل أطراف الجسم

خاضعة لمراقبة الدماغ ، بكيفية مباشرة أو غير مباشرة ؛ إذ بواسطة هذه الأعصاب تنقل

المعلومات من عضلات أعضاء الجسم إلى الجهاز المركزي ، وبالعكس.

وهناك ثلاثة أنواع من الأعصاب ، هي :

أ - الأعصاب المحركة ذات الاتجاه الواحد : وهي تنقل المعلومات من الجهاز

العصبي المركزي نحو المناطق المحيطية .

ب- الأعصاب الحسية أو الحواسية : وهي دائماً أحادية الاتجاه ، ولكنها تحمل

المعلومات من المناطق المحيطية إلى الجهاز العصبي المركزي .

ج- الأعصاب المختلطة : وتكون المعلومات التي تنقلها ثنائية الاتجاه من

الجهاز العصبي المركزي إلى المحيط أو العكس . كما يتكون

الجهاز العصبي من طرفين مختلفين ، هما :

١- الجهاز العصبي السمبتاوي .

٢- الجهاز العصبي فوق السمبتاوي اللا سمبتاوي .

وكلا الجهازين السمبتاوي واللا سمبتاوي ، مكونان من رزم من الألياف ، إلا أن هناك فرقاً بينهما في الوظائف التي يقوم بها كل منهما ؛ فالجهاز السمبتاوي يسيطر على حالات الإنذار بالخطر ، بحيث يضاعف تنشيطه من تردد دقات القلب ، سرعة التنفس ، اتساع بؤبؤ العين ، تغيير الدورة الدموية ...

أما الجهاز اللا سمبتاوي فوظيفته معاكسة ، حيث تتباطأ دقات القلب ، وكذلك إيقاع التنفس ، وتقلص بؤبؤ العين ، وجريان الدم نحو الأمعاء ، حالة استرخاء تام . (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ ، ج ٤ ، ص ص ٢ - ١٢)

وظائف الجهاز العصبي : يرتبط السلوك الصادر من الإنسان بنشاط المخ ارتباطاً وثيقاً ، ويعتبر المخ المكون الرئيسي في الجهاز العصبي ، ويمثل المخ لوحة القيادة المركزية للشخصية الإنسانية ، حيث فيه تصدر القرارات التنفيذية إلى الأطراف والأعضاء الداخلية المختصة ، وهذه القرارات التنفيذية تنزل على :

١- توحد وتكامل أجهزة الجهاز العصبي .

٢- حسن تفاعل أعضاء الجهاز العصبي مع البيئة .

ولتحقيق دلالة العاملين السابقين يقوم الجهاز العصبي بالوظائف الحيوية التي لها تأثير

كبير على الجسم والنفس بالتالي :

١- بما أن المخ مقسم إلى عدة أقسام ، يقوم كل قسم منه بوظائف مختصة به فمثلاً :

أ - في الفص الجبهي المقدمي تتم الوظائف العقلية العليا من تفكير، رسم خطط ،

تذكر ، تخيل ، تدبر ، حكم ... ، وجميع الحركات الإرادية.

ب - في الفصين المؤخرين يتم استقبال السياتات البصرية ، وهما المسؤولان عن



الإبصار.

ج - الفصان الجداريان مختصين

بالإحساس بالألم، وتغير درجات

الحرارة .

د - الفصان الصدغيان هما مركز

السيالات السمعية .

٣ - التحكم في وظائف الغدة النخامية ، لإتمام

عملية ضبط إفراز هرموناتها المختلفة وقت

الحاجة ، والتي تؤدي إفرازاتها إلى إفراز

هرمون مغذي الغدة الدرقية ، والغدة

الإدرينالية ، ومغذي الغدد التناسلية ، وهرمون النمو .

٣ - التحكم في وظائف الجهاز العصبي اللا إرادي بجزيئه السمبتاوي واللا سمبتاوي

المسؤول الأول للشعور الانفعالي بكل مظاهره .

شكل رقم (١٥)
يوضح وظائف أقسام المخ
المصدر : (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ ،
ج ٤ ، ص ١٤)

٤ - التحكم في الشعور الانفعالي النفسي وآثاره ، والتعبيرات التي تظهر على الإنسان أثناء الانفعال ، مثل : سرعة ضربات القلب ، احمرار الوجه ، ارتجاف المفاصل ، جفاف الحلق ...

٥ - التحكم في مراكز الجوع والشبع التي تؤدي إلى السمنة أو النحافة المرضية .

٦ - السيطرة على إفراز الماء هرمون مضاد لإمرار البول ؛ فإذا نقص هذا الهرمون زاد إفراز البول بكميات هائلة ، تصل إلى (١٠ - ١٥) لترا في اليوم ، حيث يؤدي ذلك إلى مرض السكري الكاذب .

٧ - ضبط عمليتي النوم واليقظة ، وما يتصل بهما من أسباب كيميائية تؤدي إلى الخمول والنعاس ، وعمق درجة النوم ، ومدته .

٨ - التحكم في النشاط الجنسي والمسؤول عن انحرافه .

٩ - التحكم في السلوك العدوانى والهروبى المسئولة عن ذلك اللوزة والسلوك الإنسحابى المسترخى المسئول عنه حسان البحر .

١٠ - التأثير على عملية التنفس ، والضغط الدموي ، وضربات القلب .

١١ - التحكم في درجة حرارة الجسم ، وزيادة العرق ، والارتجاف .

١٢ - التحكم في بعض عمليات التذكر ، والتعلم ، والنسيان أو ما يسمى فقدان الذاكرة .

(حمزة ، ١٤٠٣هـ ، ص ص ٨٩ - ٩٢) و (الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ص ٩٣ - ٩٤)

العقل واحادته المخ كما أشار إليه القرآن الكريم والسنة النبوية :

لقد ميز الله عز وجل الإنسان عن سائر المخلوقات بعقله ، وهي نعمة من نعم الله جل شأنه تفضل بها على الإنسان ؛ ليكون هذا العقل وسيلة هداية إلى ربه ، فيفهم تعاليم وحيه ، وتوجيهات رسوله عليه الصلاة والسلام . كما أنه بالعقل يستطيع الإنسان التمييز بين الخبيث من الطيب ، الضار من النافع ، السقيم من الصحيح ، الخطأ من الصواب ... ولذا فقد اعتمد التكليف الرباني للإنسان على العقل ومدركاته ، فأعفى من لم يكتمل عقله كالأطفال ، وأيضاً من غاب عقله كالنائم والمجنون ، من التكاليف الشرعية ، كالصلاة ، والصوم ... (حسن ، ١٤٠٤هـ ، ص ص ١١٩ - ١٢١)

ويُستدل على ذلك بحديث ابن عباس المروي في (البخاري، كتاب الحدود ، ج ١٢، ص ١٢٣) أنه أتى عمر رضي الله عنه بمجنونة قد زنت ، وهي حُبلى ، فأراد أن يرحمها ، فقال له علي رضي الله عنه : أما تذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " رفع القلم عن ثلاثة ، عن المجنون المغلوب على عقله ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ " قال عمر: صدقت ، فخلى عنها " .

ويشير القرآن الكريم إلى العقل بمعان مختلفة ، مثل : اللب ، الحلم ، النهى ، الحجر . ووظائفه المختلفة مثل : التعقل ، التفكير ، التدبر ، التنكر ، التعلم ، النظر ، الرشاد ، التفقه ، ... وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، آية ٨٠) . وقوله جل من قال : ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ (سورة ص ، آية ٢٩). وقوله عز وجل : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَمُهُمْ
 بِهِذًا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ ﴿١٦﴾ (سورة الطور ، آية ٣٢). وقوله تعالى : ﴿ كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَمَكُمْ
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿١٦﴾ (سورة طه ، آية ٥٤). وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾
 وَلَيْالٍ عَشْرِ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَىٰ حَجْرِ ﴿٥﴾ ﴿
 (سورة الفجر، آية ١-٥).

علاقة العقل بالمخ : تشير معظم الكتب التي بحثت في أمر العقل ، إلى أن العقل ماديا هو الدماغ
 وما يشتمل عليه من مخ ، ومخيخ ، وأعصاب دماغية ، وغيرها ، فيقول حسن (١٤٠٤هـ) عن أن
 المخ هو الجهاز الذي يستخدمه العقل لمزاولة قدرته . ص ١٢١

كما عرف زريق (د. ت ، ص ٨٦ - ١٢١) العقل : " بأنه مجموع العمليات النفسية العليا
 التي تتم في الدماغ، وتحول الإحساس كمادة إلى شعور ، كمعرفة تتعكس عند الإنسان على شكل
 لغة منطوقة ، تصبح بعد ذلك اداة التواصل بين الناس ، أو سلوكا حركيا موجهها .

وفي العقل تتم العمليات العقلية العليا مثل : التقدير ، التفكير ، التذكر ، الفهم ، ونستدل
 على الصلة بين العقل ، والدماغ بالعمليات الوظيفية التي تجري في المخ، والمخيخ ، و الأعصاب
 الدماغية التالية :

١ - أنه وسيلة اتصال الحواس بالبيئة الخارجية ؛ فكأن الدماغ لوحة قيادة مركزية لجميع أجهزة
 الجسم وحواسه .

٢ - أنه مركز العمليات العقلية العليا ، مثل : الحكم ، التقدير ، التصميم ، رسم الخطط .

٣ - أنه مركز فهم ، وتفسير ، وترجمة ، وتقدير قيمة الأحاسيس المختلفة .

٤ - مركز لتنظيم الحركات الإرادية المتزنة .

٥ - مركز لكثير من العمليات النفسية من : عواطف ، انفعالات ، دوافع ...

إذا فالإنسان يعقل بدماعه ، والدماغ هو أداة العقل التي يستخدمها في التفكير ، والتفكير ، والنظر ، ... ، كما أن تمكن الإنسان من أداء وظائفه المنوطة به تتوقف على سلامة عمل الدماغ من جهة ، وسلامة أعضاء الجسم وحواسه و أدائها لوظائفها على أكمل وجه من جهة أخرى ؛ فالمخ مركز صلة بين الحواس والبيئة الخارجية ، والعقل يقوم بإدراك هذه الاحساسات وتفسيرها ، ثم الحكم عليها .

أقسام العقل : ينقسم العقل الإنساني إلى قسمين ، عقل فطري وآخر مكتسب :

١ - العقل الفطري : هو الذي يهبه الله عز وجل للإنسان مع خلقته وتكوينه ، وهو الذي فضل به

عن سائر المخلوقات .

٢ - العقل المكتسب : والذي يتكون لدى الإنسان نتيجة للخبرة والتجربة وعمليات التعلم .

ولهذين القسمين للعقل يتفاوت الناس في مدركاتهم ويتفاضلون ، فقد نجد أناساً منحهم الله

عز وجل عقلاً ذكياً ، وفكراً سليماً ، لكنهم يستخدمونه فيما لا يعود عليهم بالمنفعة الدنيوية أو

الأخروية ، والعكس . (حسن ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٢٤)

وظائف العقل في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية : يقوم العقل

الإنساني بوظائف متعددة كما نكرها كلاً من زريق (د. ت ، ص ١٠٥) وحسن (١٤٠٤هـ ، ص ١١٩)

من هذه الوظائف :

١ - هداية الإنسان إلى الإيمان بالله جل وعلا ؛ عن طريق التفكير في آياته سبحانه وتعالى ،

فيدرك منشأ ومصيره .

٢ - تلقي رسائل الحواس بكل أشكالها السمعية والبصرية والنوقية ... وتصنيفها ، ثم ترجمة

تلك الرسائل التي تكون على شكل سيالات عصبية إلى صور ومدركات ، تأخذ معاني

مختلفة ، وتنتمي لمفاهيم محددة.

٣ - تمكين الإنسان من تحقيق الخلافة ، والانتفاع بكل ما وهبه الله للإنسان ، مع تحسين

وتطبيق مبادئ وأسس الإيمان في هذه الخلافة في الأرض ومتطلباتها .

٤ - تمكين الإنسان من التعلم وعملياته المختلفة ، من تأمل ، وتدبر ، وتفكر ، وتخيل ...

٥ - كبح وإعلاء جماح الدوافع ، مع تنظيم طرق إشباعها .

وسائل تربية العقل والمحافظة عليه وفق توجيهات القرآن الكريم والسنة

النبوية:

استخدم القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وسائل شتى للمحافظة على العقل الإنساني ،

ومحاولة إنمائه بطرق متعددة ، منها :

١ - تحديد مجال النظر العقلي : فقد صان الإسلام الطاقة العقلية خوفاً عليها من أن تتبدد وراء

الغيبات التي لا يستطيع العقل إدراكها ، أو الحكم فيها ، مثل : البحث في الروح وماهيتها ،

الساعة، ذات الله ، الجنة والنار وكيفيةها ... (الجمال ، ١٤١٤هـ ، ص ٢٠٧) وإلى ذلك تشير

الآيات الكريمة التاليات التي يقول فيها رب العزة والجلال :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٢١٥)

(سورة الإسراء ، آية ٨٥) . ويقول جل من قال : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ

كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ

الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ

وَأَتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا ﴾ (النساء ، آية ١٥٣) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ

عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (سورة الأنبياء ، آية ٢٣) .

وإلى كراهية السؤال عن أشياء لم يبدها لنا الله عز وجل أو أمرنا بعدم السؤال عنها ،

لأنها من الغيبيات التي تحدد مجال النظر فيها ، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : " لن يبرح

الناس يساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء ؛ فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنت بالله

ورسوله ". (البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، ج ١٣ ، ص ٢٧٩)

آ - تفريغ العقل من المورثات السابقة التي لم تقم على يقين ، إنما قامت على التقليد والظن ،

وينعى القرآن الكريم المقلدين فيقول جل وعلا : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي

قَرِيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ

مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ (سورة الزخرف، آية ٢٣) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا

أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَوْا كَانِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا

وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ (سورة البقرة، آية ١٧٠) .

ويقول قطب : (١٤٠٧ هـ ، ص ٧٧) هذا وقد كان تقليد الآباء والأمهات عائقاً كبيراً يفصل

بين الرسل عليهم السلام وبين الدعوة إلى الله تعالى ، ولهذا فإن هذا المسلك غير مرغوب فيه ،

فالمسلمون مدعوون إلى قراءة تاريخ الآباء والأجداد ، قراءة ناقدة واعية ، محللة الإيجابيات

والسلبات ؛ لكي لا يكون تقليد الآباء سبباً في ارتكاب الأخطاء ، كما إنه مانع للعقل من

الانطلاق والمعوق له عن التفكير ويكونوا ممن أشارت إليهم (آية ٢٨، سورة الأعراف) ، التي

يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَا تُؤْمَرُوا بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

ويثني الله عز وجل على الذين يخلصون للحقائق ويميزون بين الأشياء بعد بحث وتمحيص، فيأخذون الأحسن ويدعون غيره ، فيقول فيهم جل من قال : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (سورة الزمر، آية ١٨) .

كما يدعو القرآن الكريم إلى تحرير العقل من الظن واتباع الهوى ؛ لأنهما من أقوى عوامل انحراف السلوك الإنساني ، لذا نجد المتبعين لأهوائهم وظنونهم لا يستقيم لهم رأي ، ولا تعادل لهم موازين ، ولا يؤمنون بحق ليس إلى جانبهم . (الملا ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٢٦)

ولأولئك يشير القرآن الكريم في آيات متعددة سيدلل على بعض منها في قوله جل من قال : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (سورة القصص ، آية ٥٠) .

وأشد الآيات تفريراً تلك الآيات التي جردت الإنسان المتبع لهواه من صفاته الإنسانية ، وشبهته بكلب يلهث ، في قوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ ﴾ ﴿١٥١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ

وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ

الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا فَاقْضُصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣٨﴾ (سورة الأعراف ، آية

١٧٥ - ١٧٦). وقد جعل الله الجنة ثواباً لمن يفلح في التحكم في أهوائه ، ولمن يفسح المجال

أمام العقل ؛ ليزن الأمور بالميزان الدقيق . (عبد الله ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٣٦)

ويقول فيهم جل من قال: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤١﴾

فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٢﴾ (سورة النازعات ، آية ٤٠ ، ٤١) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنْ

هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَإِ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ

وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ﴿٤٣﴾ (سورة النجم ، آية ٢٣) .

كما يوجهنا القرآن الكريم ، والسنة النبوية إلى التثبيت من كل أمر ، قبل الاعتقاد به ، وقبل

النطق بحكم في أي موضوع ، ما لم يصل الإنسان إلى دليل قاطع ، وحكم يقيني فيه ، والأدلة

على ذلك متعددة ، مثل : حادثة الإفك ، التي قال فيها عز وجل: ﴿ لَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ

شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ (سورة النور ، آية

١٣) ، وكذلك حديث أصحاب الكهف ، الذي جاء على لسانهم في القرآن الكريم ، أنهم استتكروا

على قومهم عدم الاستناد إلى البرهان القوي والدليل الذي لا يعتمد على سلطان النفوس

والعقول في قوله تعالى : ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم

بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ (سورة الكهف ، آية ١٥).

٣ - تدبر نواميس الكون وتأمل ما فيها من دقة وارتباط ، ففي هذا التدبر تدريب للعقل على دقة

النظر ، وانضباط الأحكام . ولتحقيق هذا الأمر ، شرف الله تعالى العقل بالخطاب ، وجعله

مناط التكليف ، وندبه إلى البحث ، والنظر ، والتفكير ، من خلال الحواس المدركة للعالم

المحيط بها ، فأولى درجات الإدراك ، الإحساس بوجود شيء مدرك ، وإذا لم يحدث هذا

الإحساس فإن عملية الإدراك تتعطل .

هذا العطل يعود إلى : الألفة بالشيء ، ومرور الزمن ، فلا يعود الإنسان يحس بوجود هذه

الآيات الكونية العظيمة من حوله ، لذا فإن على التربية الإسلامية ، والمربيين ، والدعاة ،

حفز همم المتعلمين والناس ، عن طريق تقديم مواقف جديدة ، وحوافز غير مألوفة ؛ لتتحقق

قابلية التعلم ، وبالتالي العمل على تعطيل عامل الألفة بالشيء ، الذي يقود إلى الرتابة في

عملية التعلم والتدبر في نواميس الكون . (التميمي ، سمرين ، ١٤٠٥هـ ، ص ٤٩) و (عبد الله ،

١٤٠٥هـ ، ص ٧٩)

ويقول قطب (١٤٠٧هـ ، ص ٧٨-١٠٣) : إن الإسلام يوجه الطاقة العقلية إلى

تدبر نواميس الكون والتأمل فيها عن طريق عدة أمور منها :

أ - التأمل في حكمة الله وتدييره ، هذا التأمل لا يكون مقصوداً لذاته ، إنما غايته إصلاح

القلب البشري ، وإقامة الحياة في الأرض على أساس من الحق ، والعدل الأزليين
الكامنين في بنية الكون ، وبنية الحياة ، فيقول عز من قال: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ، آية ١١٥) وقوله
تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (سورة الأنعام ، آية ٧٣) .

كما يعمق القرآن الكريم في النفس شعورها بالإحساس بالحق ، حتى يصبح هو
العقيدة ، ويصبح هو الحياة ، ويجعل التدبر جزءاً من نشاطه العقلي ، فيقول جل وعلا
عن هذه الفئة من الناس : ﴿ إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْيَلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٩٠ - ١٩١) . فأولوا الأبواب نجدهم يتفكرون
في تدبر آيات الله في الكون، ويتأملونها وهم يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى
جنبهم فيتصل علمهم بالله ، ويحققون هدفاً هو ربنا ما خلقت هذا باطلاً فالهدف هو

معرفة الحق ، ثم يصلون من ذلك الإيمان الكامل الذي يشمل الأحاسيس ، والأفكار ، والمشاعر ، إلى المنهج الإيماني الذي يجب أن يعيشوا به على الأرض ، ويجاهدوا في سبيله سبحانه فقنا عذاب النار .

هذا المنهج الذي يربط التفكير بالنتيجة ، المنهج الذي يبدأ بالتفكير وينتهي بالعمل . حين يفكر فيه الإنسان ، ويتبعه في توجيه الطاقة العقلية إلى تدبر حكمة الله ، يجد الفرق الهائل بين مناهج العقل الغربي التي شطحت في آيات الكون ، وبين المنهج الإلهي في تربية العقل الإنساني .

هـ - توجيه الطاقة العقلية إلى النظر في حكمة التشريع ، فإيقاظ العقل لتدبر قيم التشريع ، مدعاة لوزن الأمور بوزنها الصائب ، لتسير الأمور في المجتمع في نور ، لا يندع فيه الناس بقوة زائلة ، ولا يفتنون بجاه ، أو مال ، أو شهوة ، في تطبيق منهج الله عز وجل ، والآيات القرآنية كثيرة جداً منها قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (سورة البقرة ، آية ١٧٩) . ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة البقرة ، آية ٢١٩) وقوله جل وعلا : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا

أَيَدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِن بَعْدِ
 ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ (سورة المائدة ، آية ٣٨ -
 ٣٩).

وإلى ذلك التوجيه يشير حديث الرسول عليه الصلاة والسلام ، حينما بعث معاذ
 إلى اليمن فقال له : " كيف تصنع إن عرض لك قضاء ؟ فقال : أقضي بما في كتاب الله . قال : فإن لم
 يكن في كتاب الله . قال : فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله .
 قال : اجتهد رأيي ولا آو . قال معاذ : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري ، ثم قال : الحمد لله
 الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله " . (الدارمي ، المقدمة ، ج ١ ، ص ٤٦)

— توجيه الطاقة العقلية إلى النظر في سنة الله في الأرض في أحوال الأمم والشعوب
 فيقول عز وجل : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ
 ﴿١١﴾ (سورة الأنعام ، آية ١١) . ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا
 رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ
 وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
 عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ (سورة الحج ، آية ٤٠) ، حيث يوجه القرآن الكريم العقل والقلب ، إلى أن يفتحلا

بصيرتهما على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ، كما يحض على استخدام العقل لطاقته الواعية في تدبرها ، والبحث في أسبابها ، ونتائجها ، والنظر في الأمثلة التي تحققت فيها سنة الله الخالدة : سنة التمكين للمؤمنين ، وسنة التدمير على الكافرين ، ولو استكبروا وعتوا في الأرض بباطلهم بعض الوقت .

كما يوجه القرآن الكريم القلوب والعقول إلى عدم استعجال النتائج ؛ لأنها لا بد آتية حسب قانون السننية الذي لا يتبدل ، فقد ينتصر الباطل فترة ، ويتمكن ويعلو في الأرض ، ويعود ذلك لعدة أسباب ، منها :

١- ضعف بعض الناس واستكانتهم ، وعدم مطالبتهم بالتغيير إلى الأفضل والأحسن ،

فتقول عنهم الآية الكريمة : ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ

اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّالٍ ﴿١١﴾ (سورة الرعد ، آية

(١١).

٢- استطابة بعض الناس الظلم ، فيظلمون أنفسهم بهذه الاستطابة للظلم ، ولعدم

الركون لهذه الاستطابة يحذر الله جل وعلا عباده منها في قوله تعالى : ﴿ وَلَا

تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءِ

ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ ﴿١١٣﴾ (سورة هود ، آية ١١٣)

٣- قد يكون الأمر فتنه للذين ظلموا ، ويقول عز وجل في ذلك : ﴿ لِيَحْمِلُواْ

أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ

مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ (سورة النحل ، آية ٢٥).

٤ - تمحيص المؤمنين ؛ ليحملوا العبء على سلامة وتمكن واستعداد وفي هذا يقول

جل من قال : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦﴾ إِنْ

يَمَسَّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ

النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءً وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٦١﴾

(آل عمران، آية ١٣٩ - ١٤١).

٥ - توجيه العقل البشري إلى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان ، والبعد عن تألية

الماديات ، والافتتان بها ، فيربط القرآن الكريم تذليل الطاقة المادية بحسن السير ، وحسن

الاستخدام، فلا فصل بين العالم المادي والتجارب المحسوسة عن الروح ، ولا استخدام لها

في طريق الشر ، كما حول الغرب ذلك إلى المادية الكريهة التي سيطرت على عقولهم ؛ ففقد

الإنسان إنسانيته ، وجفت أحاسيسه وتبلدت ، وأصبحت مثل الآلة ، فلا استعباد للإنسان

بالمادة، ولا سيطرة لها عليه في ظل المنهج الإلهي ، الذي يحقق الآية الكريمة التي يقول فيها

عز وجل : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (سورة

البقرة ، آية ١٣٨) .

٥ - المحافظة على العقل البشري في كامل قواه ؛ وذلك بتجنبيه ما يضره مادياً من مسكرات ،

ومخدرات ، ومهدئات ، وسهر ، ولهو ، وكل ما يحجب الوعي عن العقل الإنساني . فأتى

تحريم الخمر قاطعاً حتى بالكمية التي لا توصل للسكر ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ (١٤٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (سورة المائدة ، آية

٩٠ - ٩١) . وفي ذلك قال صلى الله عليه وسلم : " ما أسكر كثيره فقليله حرام " وقوله عليه الصلاة

والسلام : " كل مسكر خمر وكل مسكر حرام " . (الترمذي ، كتاب الأشربة ، ج ٤ ، ص ٢٥٦)

المكون الثالث : - الجهاز الغدي :

بما أن الدم هو السائل المتجدد ، الذي يسير في أوعيته إلى جميع أنحاء الجسم حاملاً المواد

الكيميائية الغذائية إلى أعضائه وأجهزته ، فيساعد على نموها ، وتنشيطها ، ولذا كان لا بد من

مراكز تصدر تلك المواد الكيميائية الخاصة ، لحفظ توازن ، الغذاء وبالتالي القيام بعملية التنشيط .

والغدد وخاصة الصماء المنتشرة في أماكن مختلفة من الجسم ، هي التي تقوم بتصدير هذه المواد

الخاصة بحفظ التوازن الكيميائي في الدم الذي يجري في جسم الإنسان .

إن مجموع الغدد الموجودة في جسم الإنسان تسمى بالجهاز الغدي ، حيث يقوم تفاعل مستمر بين هذا الجهاز الغدي ، والجهاز العصبي ، فينتقل الجهاز الغدي التأثير من الجهاز العصبي ، والعكس . هذا التأثير المتبادل يؤدي إلى حدوث ما يسمى ، بالتكامل الجسمي ، النفسي ، العصبي ، الكيميائي ، فينعم الجسم بحياة صحية ، نفسية ، جسمية ، ... سليمة .

هذه الغدد تقسم إلى ثلاثة أنواع ، بحسب طريقة إفرازاتها في جسم الإنسان ، وهي :

١ — غدد مقناة أو ذات قنوات ، تفرز إفرازاً خارجياً مثل: الغدد المعوية ، التي لها أهميتها في

عمليات الهضم ، كما أن بعضها الآخر يقوم بعمليات الإخراج والتخلص من الفضلات

الجسمية ، مثل : الكليتين ، الغدد الدرقية ، العرقية ، الدهنية .

٢ — غدد غير مقناة أو مغلقة صماء تفرز إفرازاً داخلياً بصورة مباشرة في الدم ؛ لأنه

ليس لها قنوات خارجية ، ولذلك فهي غنية بالأوعية الدموية الشعيرية ، ولها إفراز

يسمى الهرمون ، هذه الهرمونات لها تأثيرات فاعلة في تنشيط العمليات التالية :

أ — عمليات الهدم والبناء التي تسهم في تجديد الجسم الإنساني .

ب — متابعة النمو الإدراكي الذهني العقلي .

ج — الاتصال المباشر بالسلوك الإنساني .

د — ظهور ونمو الخصائص الجنسية الثانوية لدى كل من الفتى والفتاة .

هـ — إيجاد ومراقبة التكامل الكيميائي وحفظ توازنه .

٣ - غدد مشتركة تفرز إفرازاً خارجياً وداخلياً ، معاً ، منها :

أ - غدة البنكرياس التي يسهم إفرازها الخارجي في عمليات الهضم والتمثيل ، أما إفرازها الداخلي فهو الأنسولين .

ب - الغدد الجنسية التي تكون الخلايا التناسلية البويضات لدى الإناث ، والحيوانات المنوية لدى الذكور وهذه من إفرازاتها الخارجية ، أما إفرازاتها الداخلية فتكون في الدم وهي الهرمونات الجنسية . (حمزة ، ١٤٠٣هـ ، ص ٩٤) (الهاشمي ١٤٠٤هـ ، ص ص ٩٧-٩٩)

وفي هذا المجال ستقوم الباحثة بالتركيز على الغدد الصماء التي تؤثر على التوازن الكيميائي

لالنشاط الإنساني ، هذه الغدد هي :

١- الغدة النخامية .

٢- الغدة الدرقية وجاراتها .

٣- الغدة الكظرية .

٤- غدة البنكرياس .

٥- الغدد الجنسية .

الغدد الصماء ووظائفها :

١- **الغدة النخامية :** توجد هذه الغدة داخل منطقة الجمجمة ، تحت المخ مباشرة ، يصل قطرها

إلى (اسم) تقريباً ، وتعتبر أصغر غدة ، لكنها ذات تأثير كبير ؛ فهي تنتج مواد تشرف على معظم غدد الإفراز الداخلي الأخرى ، حيث تقوم بتنشيطها ، أو توقف عملها ، حسب الحاجة .
تنقسم الغدة النخامية إلى قسمين ، هما :

أ - القسم الأمامي - الغدة النخامية الأمامية - : ينتج هذا القسم هرمونات

محفزة ، هدفها مراقبة عمل الغدد الأخرى في الجسم ، من بينها الهرمون الخاص بتنبيه الغدد الدرقية ، والكظرية ، والجنسية ، كما يقوم هذا الجزء بإفراز هرمون النمو الذي يؤثر في توازن الجسم من حيث طول القامة أو ما يسمى **العملقة** إذا زاد الإفراز بعد انتهاء مرحلة المراهقة ، أما إذا نقص إفراز هذا الهرمون **هرمون النمو** فإن ذلك يؤدي إلى قصر القامة أو ما يسمى **القزامة**.
كما أن هذه الغدة تفرز هرمون **برولاكتين** الذي يشرف على عملية إنتاج حليب الأم ، وتنشيط إدراره بعد عملية الولادة .

ب - القسم الخلفي - الغدة النخامية الخلفية - : هذا الجزء يقوم بتخزين

الهرمونات التي تنتج تحت المهاد البصري ، ولا يقوم هذا الجزء بإنتاج هرمونات خاصة به ، ومن الهرمونات المخزونة في هذا الجزء :

١- الهرمون المعيق للتبول الذي يقلل من خسارة المياه عبر الكليتين .

٢- هرمون أوكسيتوسين الذي يتسبب بفرز الحليب من الثديين عند ما يقوم الطفل بالرضاعة .

٢- الغدة الدرقية وجاراتها : توجد هذه الغدة أمام العنق تحت الحنجرة ، وهي ملتفة حول القصبة الهوائية ، وزنها ما بين (١٠ - ٥٠) جم ، وحجمها يزداد في فترات البلوغ ، والحمل ، والدورة الشهرية ، تنتج هذه الغدة ثلاثة هرمونات هي :

١- ثيرونكسين . ٢- ثيروثيرونين . ٣- كالسيتونين .

وهذه الهرمونات تسرع من معدل نشاط عدد من ردود الفعل الكيميائية في كافة أنحاء

الجسم . (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ١٤)

يقوم هرمون الثيرونكسين بدور هام في عمليات الهدم والبناء ، التي تحدث في الجسم ، كما

أن آثاره النفسية تظهر في الحالات التالية :

أ - في حالة نقص إفراز هذا الهرمون في مرحلة الولادة ، أو الطفولة المبكرة يؤدي إلى

ظهور حالة القصاص ، أو القماءة فيعوق هذا النقص النمو السليم في كل من الناحية

الجسمية و الإدراكية ، ويتساقط الشعر ، ويترهل الجسم ، ويميل الإنسان إلى النعاس ،

ويصاب بالكسل والبلادة ، وعدم النشاط .

ب - في حالة زيادة إفراز الهرمون ، تزداد عمليات الهدم ، الأمر الذي يؤدي إلى نقص وزن

الجسم ، ويصبح المريض سريع التهيج ، عديم الاستقرار الحركي والانفعالي ، متوتراً ،

مصاباً بالأرق ، جاحظ العينين ، مرتعش الأطراف ، كثير العرق ، قلقاً .

(الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٠٢)

أما هرمون الكالسيتونين فيؤدي إلى توازن مستوى الكالسيوم في الدم ، الذي تبنى منه العظام والأسنان . وفي الجانب الخلفي من الغدة الدرقية توجد أربع غدد صغيرة ، تسمى الغدد جارات الدرقية وهي تقوم بإنتاج هرمون يسمى باراثورمون الذي يسهم في ضبط نسبة الكالسيوم ويراقبه .

وهرمون الكالسيتونين والباراثورمون يشغلان بصورتين متعاكستين كل واحد منهما عن الآخر ، في عملية المحافظة على استقرار مستوى الكالسيوم في الجسم ثابتاً ، حيث يقوم الأول بخفض مستوى الكالسيوم، بينما يقوم الثاني برفع مستوى الكالسيوم ، فيحدث التوازن في الكالسيوم. (فارد، ١٤٠٨هـ ، ص ١٤ - ١٥)

٣- الغدة الكظرية : تقع هذه الغدة فوق كل كلية ، ويتراوح وزنها بين (١٥ - ٢٠) جم، وهي تتكون من قسمين كما ذكرها كل من : (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٠) و (الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٠١) :

أ - قسم خارجي : يفرز هرمون الكورتين وهي هرمونات ضرورية للحياة ، حيث يؤدي نقصها إلى انخفاض ضغط الدم ، ضعف العضلات ، اضطراب الهضم ، مع تناقص مقاومة الجسم، والإعياء الشديد .

أما زيادة هذا الهرمون فيؤدي إلى : زيادة سمات الرجولة المبكرة عند الجنسين ، أي أنه يعمل على إضعاف الوظائف الأنثوية عند البنات ، كما أنه يساعد على تطور المزايا الذكورية عند الذكور .

بجـ - قسم داخلي : يفرز هرمون الإدرينالين وهذا الهرمون موجود في الدم في الأحوال

العادية، ولكن تتراد كميته في حالات الانفعال الشديد ، أو الضيق والتوتر ، فيؤثر هذا

على وظائف الجسم مثل :

١- توسيع حدقة العين .

٢- زيادة عدد الكرات الحمراء في الدم ، الذي يزيد من سرعة تكون الجلطة الدموية التي

تمنع النزيف .

٣- انقباض شرايين الجلد والأحشاء ، مع حدوث توسع في الأوعية الدموية الذاهبية إلى

القلب والعضلات .

٤- زيادة سرعة القلب وقوة دقاته .

٥- تحويل - الجيلوكوجين - في الكبد إلى سكر لزيادة الطاقة .

٦- توقف عمليات الهضم .

إذا جميع الأنشطة والعمليات الجسمية تصبح في حالة استنفار من أجل القيام بنشاط سلوكي

انفعالي قهري .

٤ - **خانة البنكرياس** : تقع هذه الغدة خلف المعدة ، ويتراوح وزنها بين (٨٠ - ٩٠) جم ،

ولهذه الغدة نوعان من الإفرازات :

١ - إفراز خارجي **عصارة الهضم** : يصب عن طريق قناة في الأمعاء الدقيقة ، ويساعد

في عملية الهضم .

٢ - إفراز داخلي هرمون الأنسولين : الذي يساعد في ضبط مستوى السكر في الدم،

ونقصان هذا الهرمون يؤدي إلى زيادة نسبة السكر في الدم ، والعكس ، وحيث إن

الجهاز العصبي يعتمد في غذائه المتجدد على نسبة السكر في الدم ، فإن نقصان أو

زيادة هذا السكر يؤثران على هذا الجهاز ووظائفه ، وفي هذا أيضاً دليل على تكامل

أجهزة جسم الإنسان العضوية ، والكيميائية ، والعصبية. (فارد، ١٤٠٤هـ ، ص ١٠٤)

٥ - الغدد الجنسية : وهي الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الأنثى ، ولهما نوعان من

الإفرازات : (حمزة ، ١٤٠٣هـ ، ص ص ١١٢-١١٥) و (الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٠٤)

أ - خارجي : لتكوين الخلايا التناسلية وهي : الحيوانات المنوية عند الذكر ، والبويضات

عند الأنثى .

ب - داخلي : وهو إفراز الهرمونات الجنسية . ويتأثر إفراز الهرمونات في الغدد الجنسية

بإفراز الغدة النخامية ، والعكس ، أي أن هناك علاقة متبادلة بين الاثنين ، وتتلخص

وظائف هرمونات الذكورة في التالي :

١ - نمو أعضاء التناسل ، وظهور الخصائص الجنسية المصاحبة مثل : خشونة

صوت المراهق ، ظهور الشعر في بعض مناطق الجسم مثل : الشارب ،

اللحية، تحت الإبطن ، زيادة النمو العضلي ، خشونة الجلد .

٢- زيادة حيوية الحيوانات المنوية ، وقابليتها للتخصيب ، والمحافظة على سلامة الأوعية المنوية .

٣- التأثير في النمو الانفعالي للمراهق ، والذي يحدد من اتجاهه السليم نحو الجنس الآخر ، كما يسهم في ظهور سمات الرجولة النفسية .

أما وظائف هرمونات الأنوثة فهي كالتالي :

١- نمو أعضاء التناسل وظهور الخصائص الجنسية الثانوية في مرحلتي البلوغ والمرافقة مع نمو الجسم العام .

٢- تثبيت السمات الأنثوية النفسية ، وتوجيه النمو النفسي الجنسي في اتجاهه السوي .

٣- تعجيل نمو العظام ثم توقفها ، وهنا يكمن السر في كون النساء أقصر من الرجال بصفة عامة .

٤- يؤثر في ترسيب الدهن وتوزيعه الأنثوي في جسم المرأة .

المكون الرابع : - الجهاز الدوري - القلب - :

يعيش الإنسان في اتصال مع الطبيعة ، والبيئة المحيطة به ، والتي يستمد منها قوته

اليومي، ومواده الغذائية ، وتتم سيرورة هذه التغذية بواسطة جهاز القلب ودورته الدموية . هذا

الجهاز عبارة عن مجموعة من القنوات والأنابيب التي تتفاوت في أقطارها ، ويدور داخلها سائل

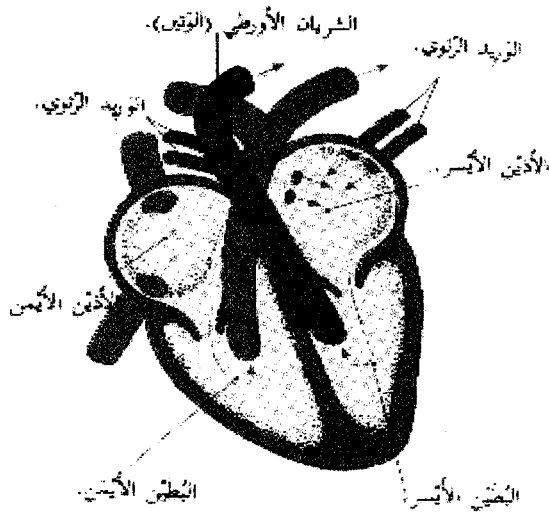
حيوي هو الدم .

يقوم الدم بتزويد أنسجة جسم الإنسان المختلفة بالمواد اللازمة ؛ للمحافظة على حياته ،

وللمساعدة في تأدية وظائفه بالكيفية الملائمة للاستثارة البيئية ، ومجموعة القنوات هذه تقترن بعضو يعمل على ضخ الدم ، ويعتبر هذا العضو مركز الجهاز القلبي الدوراني ، هذا العضو المهم هو القلب .

القلب : وهو عضو عضلي مقعر ينقسم إلى أربعة تجويفات ، موجود داخل القفص الصدري ، ويتكئ إلى الحجاب ، ويقع بين الرئتين منحنيًا إلى اليسار ، ويتغير حجم القلب من شخص لآخر ، كما يبلغ وزنه حوالي (٢٥٠ - ٣٠٠) جم ، أما لونه فمتقلب ما بين الأحمر المتورد إلى الأحمر الداكن .

ينقسم القلب إلى نصفين نصف أيمن وآخر أيسر ، ويوجد بكل قسم منهما تجويفان ، يسمى أحدهما بالأنين والآخر بالبطين . يتصل الأنين الأيمن بالبطين الأيمن ، وكذا الأنين الأيسر بالبطين الأيسر ، ويحتوي التجويفان الأيمنان على الدم الشرياني ، بينما التجويفان الأيسران يحتويان على الدم الوريدي .



يستعمل مصطلحا الدم الوريدي والدم الشرياني للحديث عن الدم الغني بالأكسجين والموجود في الشرايين ، والدم الذي لا يتوفر على قدر كاف من الأكسجين والموجود في الأوردة ، وتتم هذه العملية تحت نظامين دوريين، هما :

شكل رقم (١٦)
يوضح أقسام القلب
المصدر: (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠ هـ ،
ج ٤ ، ص ٦٦)

١- نظام الدورة الكبرى : حيث ينتقل الدم الشرياني من البطين الأيسر نحو كافة أعضاء

وأنسجة الجسم وهو غني بالأكسجين ، ثم يقوم بنقل الدم الوريدي إلى الأذين الأيمن .

٢- نظام الدورة الصغرى : هي عملية نقل الدم من البطين الأيمن إلى الرئتين ، والذي لا يتوفر

فيه قدر كاف من الأوكسجين ، ثم نقله بعد اغتائه بالأوكسجين إلى الأذين الأيسر .

وعندما يبدأ القلب في الخفقان فهو لا يتوقف عن نشاطه مدى الحياة في عملية ضخ الدم ،

وتتم عملية الضخ هذه عبر حركتين :

١- حركة الانقباض ، حيث ينقلص القلب وتعتبر هذه مرحلة نشاط القلب وحركته .

٢- حركة الانبساط ، حيث يرتخي القلب ، وهي مرحلة ارتياحه .

وعندما يتقلص الأذينان ، ينبسط البطينان ، والعكس ، ويشكل مجموع حركات الدورة

القلبية هذه لقلب الإنسان البالغ في حالة الارتياح (٨٠) دورة ، أي ما يعادل (٦٠ - ٨٠) خفقة

في الدقيقة ، وقد يتضاعف هذا العدد بفعل عوامل فسيولوجية ، مثل : النشاط العضلي ، الحركة

الجسمية ، الانفعال بعض الأمراض كالحمى ، وفقر الدم ، والأمراض القلبية ، حيث يبلغ عدد

الخفقات أحياناً إلى أكثر من (١٨٠) خفقة في الدقيقة الواحدة .

وعمل القلب من الأنشطة اللاإرادية ، إلا أنه يخضع لمراقبة الجهاز العصبي ، الذي يؤدي

دوراً أساسياً في توازنه ، عن طريق أعصاب التنبيه ، والأعصاب الكابتة ، ومن الأمثلة على ذلك :

حين يكون شخص ما في حالة انفعال شديد أو أي حالة نفسية شديدة ، فيحدث أن يفقد الوعي أو

الإحساس بانفجار قلبه ، وأيضاً كما في حالة زيادة اضطراب خفقان القلب أثناء تأدية اختبار عسير ،

أو مواقف لم يتوقعها . (الموسوعة الحديثة ، ١٤١٠هـ ، ج ٣ ، ص ص ٦٤ - ٧٠)

مرادفات القلب في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة : لقد وردت ألفاظ في

القرآن الكريم والسنة النبوية تشير إلى مرادفات القلب ، وهي :

١ - العقل : وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا

أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

﴿ (سورة الحج ، آية ٤٦) .

٢ - الصدر : ذلك أن الصدر محل القلب ، والقلب يقع في الصدر داخل القفل الصدري ، لذا ورد

لفظ الصدر مرادف للقلب في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ

يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا

يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (سورة

الأنعام ، آية ١٢٥) ويقول جل وعلا : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿ (سورة

غافر ، آية ١٩). كما سئل رسول الله عليه أفضل الصلوات عن قوله تعالى : (أفمن شرح الله

صدره للإسلام فهو على نور من ربه) " فقال عليه الصلاة والسلام : هو التوسعة . إن النور إذا قذف به

في القلب ، اتسع له الصدر وانشرح " . (مسلم ، كتاب الجهاد ، ج ٥ ، ص ١٩٢)

٣ - الفؤاد : في شرح أن الفؤاد مرادف للقلب ذكر ابن منظور (د.ت ، ج ٥) حيث يورد التالي :

" إن بعض العرب يسمي لحمة القلب كلها شحمها وحجابها : قلباً وفؤاداً ، ويروي حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه : " سبحان مقلب القلوب " والحديث الذي قال فيه أيضاً صلى

الله عليه وسلم : " آتاكم أهل اليمن ، هم أرق قلوباً ، وألين أفئدة " (البخاري ، كتاب المغازي ، ج ٧ ، ص

٧٠١) حيث يصف عليه الصلاة والسلام القلوب بالركة ، واللين بالأفئدة ، فكأن القلب أخص

من الفؤاد في الاستعمال ، لأنه كما يقال أن القلب : مضغة من الفؤاد . ص ٣٧٤

وفي ذلك يقول جل من قال في (سورة الأنعام ، آية ١١٠) : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ

كَمَا لَمَ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَنذَرَهُمْ فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْصِمُونَ ﴾ . ويقول تعالى في (سورة

النحل، آية ٧٨) ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ

السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

وظائف القلب : وظائف متعددة يتمثل بعضها في التالي :

أ- هو المضخة المغذية لكل أعضاء الجسم ؛ وفي توقف هذه المضخة أو عملها تتوقف

حياة الإنسان أو موته ، ويتوقف القلب عن العمل يتوقف الدماغ أيضاً ، وكذا باقي

أجهزة جسم الإنسان .

ب- هو مكن الإيمان والهداية إلى طريق الحق جل وعلا : وخير دليل على ذلك الآية التي

أنزلت في حي من أحياء الأعراب ، الذين امتنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : أسلمنا ولم نقاتك كما قاتلك بنو فلان وفلان ، فقال لهم الله في (سورة الحجرات ، آية ١٤) : ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا قُلِّ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِن قَوْلُوا أَسْلَمْنَا لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ . ذلك أن الإيمان تصديق بالقلب وعمل بالجوارح ، بينما الإسلام قول ، فهؤلاء القوم قد استسلموا أي : دخلوا في السلم خوفاً من السبأ والقتل ، بينما الإيمان يدخل القلب عن فهم وتصديق مطمئن ، ثابت ، مستيقن بالله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام . (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج ١١ ، ص ٤٠٠)

والهداية تكون للقلب ونلاحظ ذلك في حالة الطمأنينة والسكينة التي تعتري القلب حين يكون مسترخي لذكر الله ، متأملاً عظام قدرته جل وعلا ، عاملاً عقله بين تفكير وتبصر وتأمل ... فيقول جل من قال : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ ﴿٢٨﴾ (سورة الرعد ، آية ٢٨) . فالله يهدي القلب ليعين العقل في عمله وتأدية وظائفه التي تساعد في تسديد خطى الإنسان ، ولذا فإننا نرى قلب الكافر يظل كقطعة الجسد التي تؤدي دورها البيولوجي المادي بعيداً عن ذكر الله ؛ ذلك لأنه عز وجل قد ختم على حواس الكفار وقلوبهم ؛ نتيجة لغفلتهم عن ذكره وعبادته ، وإلى ذلك

تشير (سورة البقرة ، آية ٧) ﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَرِهِمْ

غَشْلُوهُمَّ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ . ولقد تحدث رسول الله عليه الصلاة والسلام عن

التقوى بأن مكانها القلب حيث يقول في ذلك : " التقوى هاهنا " وأشار إلى القلب ، كما قال

أيضا عليه الصلاة والسلام : " أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو

نفسه " (البخاري ، كتاب الإيمان ، ج ١ ، ص ١٢٧)

٣ - محل الفهم والاعتبار والتعقل والمعرفة : حيث جمعت آيات كريمات في القرآن بين العقلي

والقلب، وبين العظة والنظر والتأمل والتدبر والفهم ، وجعلت للقلب والعقل أدوات مساعدة

الحواس تعينها على ذلك ، حيث يقول الله عز وجل في ذلك : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي

الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ

وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٠٦﴾ (سورة الحج ، آية ٤٦) . وقوله جل من قال :

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (سورة ق ،

آية ٣٧) . وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا

يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ

بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَىٰ لِكُمْ هُمْ أَلْعَفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ (سورة الأعراف ، آية ١٧٩) .

كما ربطت أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام بين القلب كونه مكمناً للتفكير

والمعرفة والتبصر ، وبين الجوارح ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : " لا تشبعوا قلوبكم

نور الحكمة من قلوبكم " (مالك ، ١٤١٠هـ ، كتاب العلم ، ج ١ ، ص ٧٥)

"من أجاج بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه " . (مالك ، كتاب الجامع ، ص ٦٦٩)

كما استعاذ عليه الصلاة والسلام فقال في استعاذته : " نعوذ بالله من منافق عليم اللسان جهول

القلب " . (مالك ، ١٤١٠هـ ، كتاب الجامع ، ٦٩٩)

٤ — مكن العواطف والانفعالات : أشار القرآن الكريم والسنة المطهرة إلى أن القلب مكن

ومحل للعواطف والانفعالات المختلفة ؛ حيث إن القلب محل للرافة والرحمة ، التي تنشأ

عنها عاطفة الحب ، كما أنه محل للقسوة والحقد ؛ حيث تنشأ عاطفة الكره والبغض ،

ومنهما تنشق بقية العواطف والانفعالات من طمأنينة وخوف ، سكينه وقلق ، رحمة

وغلظة ، تسامح وحقد ، فرح وحزن ... وفي ذلك يقول جل من قال في كتابه العزيز في

(سورة آل عمران ، آية ١٥٩) : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لِّلْقَلْبِ

لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ

فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥٠٠﴾ . فالآية الكريمة تشير إلى سمة من

أسمى السمات العاطفية ، ألا وهي سمة الرحمة من الله التي نالت الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونالت المسلمين ، فكان رسوله يحمل سمة الرحمة في قلبه التي أدت إلى ؛

تآلف القلوب ، وتجمع مشاعر الناس حوله . (قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ١ ، ص ٥٠٠)

كما تشير (الآية رقم ٢ ، في سورة الأنفال) إلى انفعال الخوف والوجل الموجود

في قلب المؤمن : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥١﴾ . هذا الخوف والوجل الموجودين

في قلب المؤمن يأتیان نتيجة لخشيته من الله جل وعلا .

أما شعور الخوف عند الكافر النابع من يأسه وقنوطه من رحمة ربه فتمثله الآية

الكريمة التي تقول : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَىٰ الْحَنَاجِرِ كَظْمِينٍ مَا

لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿٥٢﴾ (سورة غافر ، آية ١٨) . (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج

٦ ، ص ١٧٨)

وإلى العواطف والانفعالات ومكمنها أشار عليه الصلاة والسلام في أحاديثه التي

يقول فيها : " إن الغضب جمة توقد في القلب " . (الترمذي ، كتاب الفتن ، ج ٤ ، ص ٤١٩)

" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " . (مسلم ، كتاب الإيمان ، ج ١ ، ص ٦٥)

أحوال القلوب :

حين يقوم الناس بالالتزام بواجب العبودية لله في طاعته فيما أمر والانتهاز عما نهى عنه وزجر ، تستقيم القلوب وتصح ولا تمرض ، لكن حين يتبع الإنسان نفسه هواها ووسواسها ، يجد الشيطان منفذاً ينفذ منه ، فيحاول بلا هوادة لكي يجد طريقاً إلى القلب يزرع فيه الشك والريبة ، والخواطر والأفكار السيئة ؛ فيتعطل العقل ، وبالتالي تشل الحواس ، ويسقم القلب .

وإلى صحة القلب وسقمه وتأثير كلتا الحالتين على الإنسان يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " (البخاري، كتاب الإيمان ، ج ١ ، ص ١٥٣)

ويمكن النظر إلى أحوال القلوب في ضوء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قسم أحوال القلوب إلى أربعة أقسام ، فيقول عليه الصلاة والسلام كما جاءت لدى (ابن منظور ، د . ت ، ج ٥ ، ص ٣٢٨٢) بأن : " القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج مزهر ، فذلك قلب المؤمن . وقلب أغلف ، فذلك قلب الكافر . وقلب منكوس ، فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر ، وابصر ثم عمى . وقلب تمده مدتان : مدة إيمان ، ومدة نفاق ، فهو لما غلب عليه منهما " . (ابن ماجة ، مقدمة ، ج ١ ، ص ٧٦)

أ - القلب في حالة الإيمان : وصف الرسول عليه الصلاة والسلام حالة هذا القلب بأنه أجرد

فيه سراج مزهر ولقد شرح (ابن منظور ، د.ت ، ج ١ ، ص ٥٨٩) القلب الأجرد بأنه القلب

الذي ليس فيه غل ولا غش ، فهو على أصل الفطرة ، فنور الإيمان فيه يزهر .

٢ - القلب في حالة الكفر : كما وصفه عليه الصلاة والسلام بأنه - أغلف - . والقلب الأغلف

هو الذي غشي بغلاف فهو لا يعي شيئاً من الحق ولا يقبله. وفي التنزيل العزيز يقول

الحق جل وعلا في ذلك : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا

يُؤْمِنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورة البقرة ، آية ٨٨) : وَقَوْلُهُ جَلُّ مِنْ قَلْبٍ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ

عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦١﴾ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ

وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة البقرة ، آية ٦-٧) .

٣ - القلب في حالة النفاق : وقال عنه الرسول عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات بأنه

قلب منكوس أي مقلوب ، بأن جعل أسفله أعلاه ، أو مقدمه مؤخره ، ويقال عن المريض

بأنه انتكس أي عاد إلى مرضه بعد صحته ، أو عاودته العلة بعد النقه . (ابن منظور ، د.ت ،

ج ٦ ، ص ٤٥٤٠) وهذه حالة قلب المنافق الذي عرف الحق لكنه يعود فينتكس للباطل ، وفيه

تقول الآية الكريمة : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ

﴿٨﴾ يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخٰدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي

قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة

البقرة ، آية ٨-١٠)

ع - القلب في حالة المُدْتَنَان : أي القلب الذي يتأرجح بين الإيمان والنفاق ، فنراه بين داعيين ،
داع يدعو إلى الله ورسوله والدار الآخرة ، وداع يدعو إلى العاجلة . (الدباغ ، ١٤١٧هـ — ،
ص ٣١٦)

وقد حذرنا الله عز وجل من وساوس الشيطان حتى لا تتأرجح نفوسنا بين البينين في
قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا
وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف ، آية ٢٨) . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ
الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ﴿
(سورة فاطر ، آية ٦) .

كيف يوجه القرآن الكريم والسنة النبوية القلب ويوقظه : القرآن الكريم والسنة

النبوية يوجهان القلب توجيهاً مادياً ومعنوياً ، بوسائل متعددة تتمثل في التالي :

١ - التوجيه المادي : وذلك عن طريق :

أ - التغذية السليمة التي لا إفراط فيها ولا تفريط ، في كل من المأكل والمشرب ، مع

البعد عن المسكرات والمنبهات وكل ما يضر بصحة القلب .

ب - البعد عن الخمول والكسل في النشاط الحركي ، وكذا عدم تكبد المشاق واستهلاك

الطاقة إلى حد لا يحتمله القلب ، فيصبح مريضاً ضاوياً .

جـ - التداوي عند الإصابة بأي عرض مرضي وعدم الإهمال ، والحرص في البحث عن الأسباب التي أدت إلى ظهور الأعراض المرضية الجسمية ؛ لاتخاذ احتياطات الوقاية من الإصابة بتلك الأعراض ، ولمنع أزماتها .

آ - التوجيه المعنوي : يعقد القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة صلة دائمة بين القلب وبين الله عز وجل ، لهذه الصلة المعقودة ثمرات متعددة ، فمن ثمارها أولاً : أن يستعلي الإنسان على كل قوة في الأرض ماعدا قوة الله عز وجل ، ثم ثانياً أن يستعلي الإنسان على قوة الجسد ولا يستخدمها إلا في مرضاة الله، كما يستعلي على وساوس الشيطان بعبادة ربه وخالقه ثالثاً . ولتحقيق هذه الثمرات عملت الآيات الكريمات ، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام على توجيه قلب الإنسان إلى :

أ - إثارة حساسية القلب بعلم الله الشامل ورقابته الدائمة عليه ، فهو مع الإنسان أينما كان ، مطلع على فؤاده ، عالم بما ظهر وخفي من أعماله ، فيصبح القلب خاشعاً لله تقياً نقياً ، متطلعاً دائماً إلى رضاه عز وجل في النهار والليل ، في السر والعلن . هنا تستقيم النفس ، وتعتدل ، وتتخلص من نزعات الهوى ووساوس الشيطان ، وتتطلق لعمل الخيرات الدنيوية والأخروية . (قطب ،

١٤٠٧هـ ، ص ٥٥)

وإلى ذلك تشير الآيات الكريمات التالية التي يقول فيها سبحانه وتعالى :

﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ﴿ (سورة غافر ، آية ١٩).

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا

تَسْقُطُ مِنَ رَوْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ

ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ (سورة الأنعام ، آية ٥٩-٦٠)

ومن علم الله الشامل علم الغيب ومفاتيحه ، الذي يقول فيه صلى الله عليه

وسلم : "مفاتيح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم ما في غد إلا الله ، ولا

تعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا

تدري نفس بأي أرض تموت ، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله " . (البخاري ،

كتاب التفسير ، ج ٨ ، ص ٢٢٥)

ب - توجيه القلب إلى قدرة الله القاهرة التي تمسك بيدها كل أمر وتدبره ؛ فالله عز

وجل وحده هو الخالق ، هو المدبر ، هو مصرف الأمور . النفع والضرر بيده

جل وعلا ، الموت والحياة بيده، لا تفضل للآخرين على الإنسان إلا بما أَرَادَهُ

الله وقدره . (قطب ، ١٤٠٧هـ ، ص ٥٢) وفي ذلك يقول الحق جل وعلا في

كتابه العزيز :

﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾

(سورة البقرة ، آية ١١٧).

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ

وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

(سورة آل عمران ، آية ٢٦).

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا

تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي

بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ

﴿ (سورة الزمر ، آية ٣٨) ﴾

ج — توجيه القلب إلى قدرة الله المبدعة في صفحة الكون ؛ حيث يقيم القرآن الكريم

رباطاً بين القلب الإنساني وبين آيات الكون التي تدل على قدرة الله المعجزة التي

تبهر القلوب والعقول ؛ فالإلف والعادة بالشيء يفسدان روعة التطلع ، ويعطلان

الوعي والتفكير ، فتأتي الآيات القرآنية الكونية وتوقظ القلب والعقل من ثباتهما

فتنشط الحواس وتستشعر ما يدور حولها ، وتفتح البصائر ، وتوظف النفوس من
إفها ، وتفتح وتستعد لدراسة آيات الله في الكون ببصيرة وتدبر ووعي . (قطب ،
١٤٠٧هـ ، ص ٤٤)

وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة التالية التي يقول فيها جل من قال :

﴿ إِنَّا رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ
الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرٍ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (سورة الأعراف ،
آية ٥٤). وقوله تعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿١٦﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ
صَبًّا ﴿١٧﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿١٨﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿١٩﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا
﴿٢٠﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢١﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٢٢﴾ وَفَلَكِهَةً وَأَبًا ﴿٢٣﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَمِكُمْ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة عبس ، آية ٢٤-٣٢). وقوله جل من قال : ﴿ وَاللَّيْلَ إِذَا
عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحَ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ ﴾ (سورة التكوير ، آية ١٧-١٨) .

ثالثاً : - الروح :

الروح هي المكون الثالث من مكونات الطبيعة الإنسانية ، ولقد استأثر الله جل وعلا بعلمه عن ماهية الروح ، والكيفية التي خلقت بها ، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة الإسراء، آية ٨٥) .

ولقد وردت أحاديث متعددة في كتب التفاسير تفسر الآية السابقة ، منها ما ورد في : الطبري (١٤١٢هـ ، ج ٨) والرازي (د.ت ، ج ٢١) " عن عبد الله قال : كت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة ، ومعه عسيب يتوكأ عليه ، فمر بقوم من اليهود ، فقال بعضهم : اسألوه عن الروح ، وقال بعضهم : لا تسأله ، فقام متوكأ على عسيبه ، فقمت خلفه ، فظننت أنه يوحى إليه ، فقال : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) . فقال بعضهم لبعض : ألم نقل لكم لا تسأله " . ص ١٤١ ، ص ٣٦

كما فسر قطب (١٣٩٨هـ ، ج ٤) هذه الآية السابقة فيقول : " راح بعضهم يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح ما هي ؟ فأمره الله أن يجيبهم ، بأن الروح من أمر الله ، اختص بعلمه دون سواه ، وليس في هذه الإجابة حجر على العقل البشري ، ولكن فيها توجيهاً لهذا العقل أن يعمل في حدوده وفي مجاله الذي يدركه ؛ لأن الروح غيب من غيب الله لا يدركه سواه ، وسر من أسرارهِ القدسية أودعه هذا المخلوق البشري وبعض الخلائق ، والعقل الإنساني لا يملك وسائل إدراك الروح ، وعلمه محدود بالقياس إلى علم الله المطلق ، وطاقة الإنسان ليست شاملة، إنما وهب

منها بقدر محيطه وبقدر حاجته ليقوم بواجب الخلافة في الأرض ، ويحقق ، ويبدع فيها في حدود علمه القليل ، لذا ترى الإنسان قد وقف حسيراً أمام سر الروح لا يدري ما هو ، ولا كيف جاء ، ولا كيف يذهب ، ولا أين كان ، ولا أين يكون ، إلا ما يخبر به العليم الخبير في التنزيل .

ص ٢٢٤٩

أما ابن منظور (د.ت ، ج ٣) فقد عرف الروح بأنها : ما به حياة النفس ، وهو الذي يعيش

به الإنسان ، ويقوم به الجسد ، وتكون به الحياة . ص ١٧٦٨

معاني الروح كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية :

ورد لفظ - الروح - في القرآن الكريم والسنة النبوية للدلالة على معان عدة نكرها كل

من (الشرقاوي ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٦٤) (خياط ، ١٤١٦هـ ، ص ١٠٥) ، هي :

١ - القوة والثبات والنصرة والتأييد : كما في قوله تعالى في (سورة المجادلة ، آية ٢٢) :

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ

كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ .

٢ - جبريل عليه السلام : كما في قوله تعالى : في (سورة الشعراء ، آية ١٩٢ - ١٩٣) ﴿ وَإِنَّهُ

لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٨﴾ ﴿٣٦﴾

كما وردت الإشارة إلى ذلك المعنى في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الزهري ، " قال أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة : أشدك الله هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " يا حسان أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم أيده بروح القدس ؟ " قال أبو هريرة : نعم " . (الترمذي ، كتاب الأدب ، ج ٥ ، ص ١٢٧)

٣ - الوحي : كما في قوله تعالى : في (سورة النحل ، آية ٢) ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ

أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿١٠٠﴾ ﴿١٠١﴾ .

٤ - عيسى عليه السلام المسيح ابن مريم كما في قوله تعالى في : (سورة التحريم، آية ١٢)

﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِكْرَامٌ ﴿٣١﴾ وَكَانَتْ مِنَ الْقَلِيلِ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

٥ - شئ من الذات الإلهية : كما في قوله تعالى في (سورة الأنبياء ، آية ٩١) : ﴿ وَاللَّيْحِ

أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ

﴿ ﴿٣١﴾ ﴾

٦- حياة الإنسان : التي يضيفها عز وجل على الناس كما في قوله تعالى : في (سورة السجدة ،

آية ٧-٩) ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ

نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ .

وكذلك ورد حديث للرسول عليه الصلاة والسلام يرويه أبي هريرة يشير فيه إلى معنى

الروح بأنها حياة الإنسان وأنها بذهابها يصبح الجسد جماداً لا حياة فيه ، حيث يقول فيه رضي الله

عنه : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره ، قالوا بلى ، قال فذلك حين يتبع بصره

نفسه "

تلخيص : إذا هذا الفصل احتوى على عرض لثلاثة موضوعات توضح طبيعة النفس الإنسانية هي :

١ - النفس . ٢ - الجسم . ٣ - الروح .

بدأت الباحثة بذكر النفس أولاً لكون الدراسات النفسية في ضوء توجيهات القرآن الكريم

والسنة النبوية تبحث أولاً : عن طبيعة وما هية هذه النفس والسلوك الصادر عنها ، ثم ثانياً : الجسم

بمكوناته حيث لا يصدر السلوك الإنساني عن النفس إلا بوجود الوعاء أو ما يسمى بالجسم ، المكون

من مجموعة أعضاء . هذه الأعضاء تكون هامة بلا حراك بدون المكون الثالث لها وهي الروح

المسئولة عن حركة أعضاء الجسم وأداؤه لوظائفه وفق التكليف الربانية .

وللوصول إلى فهم وإحاطة أكثر لطبيعة النفس الإنسانية ومكوناتها ، تقوم الباحثة بعرض
لأطوار ومراحل خلق الإنسان كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، في
الفصل التالي هادفة إلى توضيح مراحل أطوار خلق الجسم الإنساني الذي يصدر عنه السلوك
موضوع علم النفس الأساسي .

الفصل الرابع

أطوار خلق الإنسان في ضوء توجيهات

القرآن الكريم والسنة النبوية

المطرفة

- مقدمة

- أطوار خلق الإنسان

- معنى الطور

- طوري خلق الإنسان البنائين :

الطور الأول : أصل الطق

الطور الثاني : المرحلة الجنينية

أطوار خلق الإنسان في ضوء توجيهات

القرآن الكريم والسنة النبوية

مقدمة :

خلق الله عز وجل الإنسان ، والله هو الخالق البارئ المصور ، خلقه جل وعلا متميزاً عن سائر المخلوقات ، وأتى خلقه في أطوار معلومة للإنسان في بعض منها ، مجهولة عنه في أخرى ، وقد تبقى خافية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في بعضها الآخر .

ويمكن الوقوف على هذه الأطوار من خلال قراءة وتتبع آيات الخلق التي ورد ذكرها في كتابه الكريم ، وأحاديث رسوله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ، والتي توضح كيفية خلق الإنسان مروراً بالأطوار المبتدأة بالأصل ، والخلق ، والنشأة ، ومنتهاية بالمصير والمآل .
والباحثة تتبعت هذه الأطوار ، وتناولتها بشيء من الشرح والتفصيل ، كما أشارت إليها الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وهي كالتالي :

١ - الطور الأول : أصل الخلق :

أ - خلق آدم عليه السلام .

ب - خلق حواء .

ج - خلق نرية آدم عليه السلام .

٢ - الطور الثاني : المرحلة الجنينية ، وتمر بعدد من مراحل الخلق والتكوين :

أ - مرحلة الصلب والترائب .

ب - مرحلة النطفة .

ج - مرحلة العلقة

د - مرحلة المضغة .

هـ - مرحلة العظام .

و - مرحلة الخلق الآخر .

أطوار خلق الإنسان : - إن كلمة طور تعني : الحال وجمعها أطوار ومعناها الضروب

والأحوال المختلفة . (ابن منظور ، د . ت ، ج ، ٤ ، ص ٢٧١٨)

وإلى أطوار خلق الإنسان أشارت الآية الكريمة التي يقول فيها جل من قال : ﴿ وَقَدْ

خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (سورة نوح ، آية ١٤) حيث توضح الآية الكريمة أن الله عز وجل قد خلق

الناس في احوال مختلفة ، فأولا ترابا ، ثم نطفة ، ثم علقا ، ثم مضغا ثم عظاما ولحما ثم خلقا

آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين . (الرازي ، د . ت ، ج ، ٣٠ ، ص ١٣٩)

وتمثل الآيات الكريمت التاليات أطوار الخلق التي تبدو في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ

كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ثُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ

مُخَلَّقَةٍ وَعَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَّبِيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَن يُتَوَفَّى وَمِنْكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ
 مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ
 كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ (سورة الحج ، آية ٥) وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ
 مِنْ طِينٍ ﴿١٥﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ
 مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ
 أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٩﴾
 (سورة المؤمنون: آية ١٢-١٦) كما يشير حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، إلى تلك الأطوار،
 والذي جاء فيه قوله : " إن الله خلق آدم من تراب فجعله طيناً ثم تركه ، حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره
 ثم تركه ، حتى إذا كان صلصالاً كالفخار كان إبليس يمر به فيقول : لقد خلقت لأمر عظيم ، ثم ففخ الله فيه من روحه ،
 وكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه ، فعطس فقال : الحمد لله ، فقال الله : يرحمك ربك " (البخاري ،
 كتاب أحاديث الأنبياء ، ج ٦ ، ص ٤١٩) . وهذا حديث آخر له عليه الصلاة والسلام ، يقول فيه : "
 وكل الله بالرحم ملكاً يقول : أي رب نطفة ؟ أي رب علقة ؟ أي رب مضغة ؟ فإذا أراد الله أن يقضي خلقاً قال :
 يارب ذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ، فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه " . (مسلم ، كتاب

القدر ، ج ٨ ، ص ٤٥)

وفيما يلي عرض تفصيلي لطوري خلق الإنسان البنائين وهما :

الطور الأول : أصل الخلق :

أ - خلق آدم عليه السلام : يُعلمنا الخالق جل وعلا في كتابه الكريم عن أصل خلق الإنسان، والعناصر التي شكلت هذا الخلق ، فأرشدنا هذا الإعلام إلى معرفة حقيقة أصل الخلق ، والتي تمت على مراحل متعددة إلى أن تكونَ جسد الإنسان ، هذه المراحل هي :

أ - الماء : حيث توضح آيات قرآنية كريمة متعددة أن أصل خلق كل شيء حي

كان من الماء ، والإنسان من ضمن الأحياء التي أشير إليها في كتابه الكريم ، فالماء هو مهد الحياة الأول لمخلوقاته سبحانه وتعالى . (الرازي ، د . ت ، ج ٤ ، ص ص ١٦ - ١٠١)

وفي ذلك يقول رب العزة والجلال في آياته الكريمات التاليات : ﴿ أَوْلَمَ يَرِ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا

يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ (سورة الأنبياء ، آية ٣٠) كما يقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ

مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ

مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ (سورة النور ، آية ٤٥) ويقول جل من قال : ﴿ وَهُوَ

الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ (سورة الفرقان ، آية

٥٤) . يقول الرسول عليه الصلاة والسلام لمن سألوه وقالوا له : " مم خلق الخلق ؟ قال صلى الله عليه

وسلم : من الماء " (الترمذي ، كتاب صفة الجنة ، ج ٤ ، ص ٥٨٠)

٢ - التراب : يلفت سبحانه وتعالى نظر الإنسان إلى أصل من أصول خلقه ألا وهو

التراب فانه عز وجل قد خلق آدم عليه السلام من تراب ، ثم أتى بعد ذلك نسل آدم فكان

جميعهم سواء في أصل الخلقة . (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج ١٠ ، ص ١٧٥)

والآيات القرآنية الكريمة التي أشارت إلى أن التراب هو أصل خلق الإنسان متعددة

منها قوله جل من قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾

﴿ (سورة الروم، آية ٢٠) .

كما ورد ذكر ذلك في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي يخبرنا فيه عن

أصل خلق الإنسان فيقول : " الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب " (الترمذي ، كتاب المناقب ، ج ٥ ،

ص ٦٩٠) .

٣ - الطين : لقد أشارت الآيات القرآنية إلى خلق الإنسان من طين ، وقد ثبت علمياً إلى

إن عناصر الجسم كلها هي نفسها عناصر التراب ، والتراب إذا خلط بالماء يصبح طيناً .

(الرازي ، د.ت ، ج ٢٥ ، ص ١٧٢) وهذا ما أشارت إليه آيات قرآنية عديدة ، منها قوله سبحانه

وتعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ (سورة المؤمنون ، آية ١٢) . وقوله

تعالى : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿ (سورة السجدة، آية

(٧)

٤ - الصلصال : وفي هذا يقول رب العزة والجلال في عدة آيات كريمات مشيراً إلى هذه

المرحلة من الخلق : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ (سورة الرحمن ، آية ١٤)

ويقول جل وعلا : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (سورة الحجو ،

آية ٢٦)

ويفسر الطبري (١٤١٢هـ ، ج ١١) مرحلة الصلصال بأنها واحدة من مراحل الخلق :

والصلصال هنا هو الطين اليابس غير المطبوخ ، وهو من شدة يبسه يصبح له صلصله إذا حُرِّك

ونُقِر ، فهو يصلصل كالْفَخَّار . كما يفسر الطبري معنى كلمة الفخار : بأنه الذي يطبخ من الطين

بالنار ، ويورد عند تفسيره لهذه الآيات حديث ابن عباس الذي يقول فيه : (خلق الله آدم من طين

لازب ، واللازب : اللزج الطيب من بعد حمأ مسنون منتن ، أو هو الحمأ المسنون المصور بعد

التراب ، فخلق الله عز وجل منه آدم بيده ، فمكث أربعين ليلة جسداً ملقى ، فكان إبليس يأتيه

فيضربه برجله فيصلصل فيصوت ، وهو المراد به في قوله تعالى : " كالْفَخَّار " . ص ٥٨٢

مما سبق يمكن تحدد المراحل التي مر بها خلق آدم عليه السلام كما أخبرتنا عنها

الآيات القرآنية السالفة الذكر ، فأولاً : أصل خلق كل شيء حي هو الماء ، ثم يأتي ثانياً اختلاط

الماء بالتراب ليصبح طيناً ، و الطين اللازب أي : اللاصق أو المائع الذي يشبه العجين ، هذا

الطين شكل منه جسد آدم عليه السلام ، فقيل عنه بأنه الحمأ المسنون ثم إذا جف هذا الطين

اللازب أصبح يابساً أسبغ عليه صفة الصلصلة نسبة للصوت الذي يصدر منه ، فأصبح يشبه

الفخار فيما يصدر عنه من أصوات.

وبعد هذا العرض للطور الأول من أطوار خلق آدم عليه السلام تأتي المرحلة التالية

من أطوار أصل خلق الإنسان وهي مرحلة خلق حواء عليها السلام .

بجـ - خلق حواء : خلق الله عز وجل حواء أم البشر بعد خلق آدم عليه السلام ؛ لحكمة

أرادها الله والتي منها ملء فراغ وجد في نفس آدم ، ذلك أن وجودها مكمل لوجوده المعنوي

والمادي ، فأتى خلقها من نفس واحدة ينطبق عليها ما ينطبق على زوجها ؛ فهي مفطورة على

نفس الفطرة التي خلق منها آدم ؛ ولها نفس الطبيعة ، فلا فارق في الأصل والطبيعة ، وإنما

الفارق في الاستعداد والوظيفة التي هيأت لها. (قطب ، ١٣٩٨هـ ، ص ٥٧٤)

وإلى ذلك أشارت الآية الكريمة التي يقول فيها جل من قال : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا

رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (سورة النساء، آية ١) ،

وفي تفسير هذه الآية الكريمة نكر الطبري (١٤١٢هـ ، ج ٣) حديثاً عن قتادة أنه قال : (وخلق

منها زوجها) ، يعني حواء ، خلقت من آدم ، من ضلع من أضلاعه ، وأيضاً أورد حديثاً آخر

عن السدي قال : " أسكن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها . فنام نومة ، فاستيقظ ،

فإذا عند رأسه امرأة قاعده ، خلقها الله من ضلعه ، فسألها من أنت ؟ قالت : امرأة : قال : ولم خلقت ؟ قالت :

تسكن إلي " . ص ٥٦٦

كما أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى خلق حواء في حديثه الذي يقول فيه : "

استوصوا بالنساء ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن إعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهب تقيمه كسرته ، وإن تركه لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء " (مسلم ، كتاب الرضاع ، ج ٢ ، ص ١٠٩١) .

وبهذا يتضح أن حواء التي خلقت من ضلع آدم عليه السلام تحاكيه في عواطفها ومشاعرها كما تحاكي الضلع الذي خلقت منه ؛ لذا استوصى بها الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه السابق الذكر .

ثم بعد خلق أصل البشرية آدم وحواء عليهما السلام أتت الإشارة إلى كيفية خلق ذرية آدم ، وهو الجزء الثالث في هذا الطور .

ج - خلق ذرية آدم عليه الصلاة والسلام : لقد عرض القرآن الكريم مشهداً رائعاً من مشاهد كيفية خلق ذرية آدم ، عرضاً يوضح صورة لإعجاز علمي بديع جاء قبل أربعة عشر قرناً من الزمان ، حيث لم يكن يعلم حينها الإنسان عن كيفية هذا الخلق إلا عن طريق الخيال والأوهام ، ولم تصل إليه الحقائق العلمية إلا بعد مرور ردهج من الزمان ، يقرر فيها العلم حقيقة الخلايا الوراثية أو ما يسمى بالناسلات التي تحفظ نسل ملايين البشر ، وتكمن فيها خصائصهم جميعها ، بحجم لا يزيد عن سنتيمتراً مكعب . (قطب ، ١٣٩٨ هـ ، ج ٣ ، ص ١٣٩٢)

هذه الحقيقة أشارت إليها الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ

أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا

بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَرِفِينَ ﴿١٧٢﴾ (سورة الأعراف ، آية

١٧٢) . ويروي الرازي (د. ت ، ج ١٥) حديثاً عن الرسول عليه الصلاة والسلام يفسر فيه هذه

الآية ، فيقول إن عمر رضي الله عنه لما سُئِلَ عن هذه الآية قال : سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم سُئِلَ عنها فقال : " إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ، ثم مسح ظهره ، فاستخرج منه ذرية ،

فقال : خلقت هؤلاء للجنة ويعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت

هؤلاء للنار ويعمل أهل النار يعملون " . ص ٦٦

كما يروي الطبري أيضاً (١٤١٢هـ ، ج ٦ ، ص ١١٠ - ١١٤) حديثاً آخر حول كيفية

خلق ذرية آدم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴿١٧٢﴾ ، قال : هذا لما خلق

الله آدم عليه السلام ، أخذ ميثاقه ، فمسح ظهره ، فأخذ ذريته كهيئة النر ، فكتب آجالهم

وأرزاقهم ومصائبهم ، وأشهدهم على أنفسهم ، ثم أعادهم في صلبه ، حتى يولد كل من أخذ

ميثاقه لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة ، فليس أحد إلا وقد تكلم ، فقال : " ربي

الله " ، وهي الفطرة التي فطر الناس عليها .

الطور الثاني : المرحلة الجنينية : عند إمعان النظر في الآيات القرآنية الكريمة

والأحاديث النبوية الشريفة التي توضح مراحل تكوين الإنسان بعد تجاوزه للمرحلة الطينية

الطور الأول ووصوله للطور الثاني المرحلة الجنينية والتي تكشف عن روعة الخلق وأسرار

كينونته ، كما تزيد قلوبنا إيماناً و يقيناً وخشوعاً وتبتلاً لقدرة الخالق المبدع ، القادر على كل شيء . هذا الطور أيضاً يمكن توضيحه وشرحه من خلال عدد من المراحل والتي تعتبر مراحل خلق نرية آدم عليه السلام ، وهي :

١ - مرحلة الصلب والترائب .

٢ - مرحلة النطفة .

٣ - مرحلة العلقة .

٤ - مرحلة المضغة .

٥ - مرحلة العظام .

٦ - مرحلة الخلق الآخر .

وفيما يلي تقدم الباحثة عرضاً لمراحل خلق نرية آدم عليه السلام وهي كما يلي :

أولاً : الصلب والترائب : يقول جل من قال في كتابه الكريم في إشارة إلى بداية تكوين هذا

الإنسان المكرّم : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ

وَالْتَرَآبِ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة الطارق ، آية ٥ - ٧) ، فإذا ما تمعنا في الآية الكريمة ، وراجعنا فيها

معنى الصلب والترائب لغوياً ، وإذا ما قرأنا البحوث التي وصل إليها العلم الحديث في تفسير آية

الصلب والترائب هذه ؛ فإننا سنصل إلى تفسير الآية تفسيراً علمياً يدلنا على أول مرحلة من

مراحل التكوين الجنيني للإنسان .

فكلمة الصلب لغوياً : تعني أنه عظم من لذن الكاحل إلى العجب العصعص، والصلب

من الظهر، وكل شيء من الظهر فيه فقار ، ويقال للظهر : صلب و صلب و صلب .

أما الترائب فمعناها اللغوي هو : موضع القلادة من الصدر ، وقيل أنها عظام الصدر،

وقيل أنها : أربع أضلاع من يمنة الصدر و أربع من يسرته . (ابن منظور ، د . ت ، ج ١ ، ص

(٤٢٤)

واتفق كل من الطبري (١٤٠٩ هـ ، ج ٣٠ ، ص ٩٢) و الوازي (د . ت ، ج ٣١ ، ص ١٢٨)

في تفسيرهما لكلمتي الصلب والترائب مع التفسير اللغوي للكلمتين عند ابن منظور ، والذي

ذكرناه سابقاً .

وكذلك اتفق كل من (البار ، ١٤٠٩ هـ ، ص ١١٥) و (الجاعوني ، ١٤١٣ هـ ، ص ٧٨) و

(السعدي ، ١٤١٥ هـ ، ص ٢٦) على المعنى الاصطلاحي للصلب والترائب استناداً إلى المعنى

اللغوي لهما ، ثم استناداً إلى ما ورد في كتب التفسير ، إلى أن الصلب هو ، الفقرات الصدرية

والقطنية والعجزية مجتمعة ، أما الترائب فهي ، الجزء الأعلى الوسطي من الأضلاع الأربعة

العليا عن اليمين واليسار ، وهذا ما يؤكد أن الأضلاع والترائب هي أصل لخلق الإنسان ، أما

كيف يكون أصل خلق الإنسان فيهما ، نجد أن العلماء يرجعون ذلك إلى مرحلة تكوين الإنسان

وهو جنين في داخل رحم الأم ، فيقولون بأن : الخصية والمبيض يتكونان في هذه المنطقة أي

في العمود الفقري والأضلاع فهما إذاً يأخذان تغذيتهم ، ودماءهما ، وأعصابهما من بين

الصلب والترائب ، ثم في المرحلة التكوينية التالية ينزل كل من الخصية والمبيض إلى أماكنهما

الثابتة تشریحياً .

ثانياً : النطفة : ثم يتي القرآن الكريم بالمرحلة الثانية في تكوين الإنسان بعد مرحلة الصلب والترائب ، وهي مرحلة النطفة ، وهي تعني لغوياً : القليل من الماء ، قيل عنها إنها كالجرعة ، وقيل إنها هي : الماء الصافي ، وبه سُمي المنى نطفة لقلته . (ابن منظور ، د.ت ، ج ٦ ، ص ٤٤٦١)

ولقد ذكرت النطفة في العديد من الآيات التي تبلور دورها في خلق الإنسان وتكوينه ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمَيْرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ (سورة يس ، آية ٧٧) وقوله جل وعلا : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ ﴿ ٧٧ ﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿ ٧٨ ﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿ ٧٩ ﴾ ﴾ (سورة عبس ، آية ١٧ - ١٩) .

كما ذكرت النطفة في القرآن الكريم بمسميات متعددة : كالماء المهيين ، والماء الدافق ، والمنى ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ﴿ ٤٤ ﴾ (سورة المرسلات ، آية ٢٠) وقوله جل وعلا : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ﴿ ٧٦ ﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿ ٧٧ ﴾ ﴾ (سورة السجدة ، آية ٧ - ٨) وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ ﴿ ٢١ ﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿ ٢٢ ﴾ ﴾ (سورة الطارق ، آية ٥ - ٦) وقوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى ﴾ ﴿ ٣٧ ﴾ ﴾ (سورة القيامة ، آية ٣٧)

ولقد فسر كل من الطبري (١٤١٢هـ ، ج ١٢ ، ص ٣٨٤ ، ٥٣٦ ، ٣٥٢) والرازي

(د . ت ، ج ٣٠) في شرحهما بأن الماء المهين هو النطفة — فالماء كل ، والنطفة جزء عن الماء الدافق — وهذا من باب إطلاق الكل على الجزء وهو على سبيل المجاز ، أما المنى يعني الماء القليل ، وهو أيضاً يعني النطفة ويشير إليها .

ويقول البار (١٤٠٩هـ ، ص ١١٠ - ١١٢) إن آية سورة القيامة السالفة الذكر قد ميزت بين المنى والنطفة ؛ فجعلت النطفة جزءاً من المنى ، وأكد ذلك الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه الذي يقول فيه : " ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه " . (مسلم ، كتاب القدر ، ج ١)

وفي هذا يؤكد المصطفى عليه الصلاة والسلام أن جزءاً يسيراً من المنى هو الذي يخلق الله فيه الولد ، كما يشرح (ألم يك نطفة من منى يمنى) ولا شك أن هناك إختياراً بعد إختيار لهذه الحيوانات فلا يصل فيها إلى ذلك إلا ما أرادته المشيئة الإلهية لتكوين النطفة . والنطفة تشير إلى الماء المختلط من الرجل والمرأة ، أي الحي المنوي من الرجل ، والبويضة المخصبة من المرأة على الترتيب .

وإلى ذلك أيضاً يشير حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام عندما سأله اليهودي وقال له : من أي شيء يخلق الإنسان ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم " من كل يخلق : من نطفة الرجل ، ونطفة المرأة " . (أحمد ، د . ت ، ج ١ ، ص ٤٦٥)

أنواع النطفة : للنطفة أنواع ثلاثة ، كما أوردها كلُّ من البار (١٤٠٩هـ ، ص ١٠٩) و الصاوي (١٤٢١هـ ، ص ٦) :

١- النطفة المذكرة : وتسمى بالحيي المنوي ، أو الحيوان المنوي .

٢- النطفة المؤنثة : وتسمى بالبويضة ، ويفرزها المراهمة مرة في الشهر .

٣- النطفة الأمشاج : وهي النطفة المختلطة من الحي المنوي والبويضة ، وهي بداية مرحلة خلق الإنسان .

وفي النطفة الأمشاج يقول جل من قال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ

نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ (سورة الإنسان ، آية ٢) وأمشاج يعني : أخلاط ، وهو

إختلاط ماء الرجل بماء المراهمة فيمشجان . (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج ١٢ ، ص ٣٥٤)

ومن هذا الاختلاط والاتحاد بين النطفتين المذكرة والمؤنثة ، تأتي إلى نقطة أخرى في

تكوين النطفة ، ألا وهي التقدير :

التقدير في النطفة : يقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه عن هذا التقدير : ﴿ مِنْ أَيْ

شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ (سورة عبس ، آية ١٨-١٩) . ولقد كشف العلم

الحديث أن خلق الإنسان كله مقدر في نطفة الرجل ونطفة المراهمة ؛ حيث تتحدان وتحملان

الصفات الوراثية عن الآباء والأجداد ، إلى أن تصل الصفات هذه إلى آدم عليه السلام ، وحديث

الرسول عليه الصلاة والسلام الذي ورد في صحيح (مسلم ، كتاب القدر ، ج ٨ ، ص ٤٤) الذي يقول

فيه أنه : " سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً قال له : ما ولد لك ؟ قال الرجل يا رسول الله ما عسى أن

يولد لحي إما غلاماً وإما جارية ، فقال فمن يشبهه ؟ قال الرجل يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه ، فقال

صلى الله عليه وسلم : مه : لا تقولن هكذا ، إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ، أما قرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى : (في أي صورة ما شاء ربك) أي شكك " . وأيضاً قوله عليه الصلاة والسلام : " إذا علا ماء المرأة ماء الرجل أشبه الولد أخواله ، وإذا علا ماء الرجل ماءها أشبه أعمامه " (مسلم ، د.ت ، كتاب الحيض ، ج ١ ، ص ١٧٣) .

وكان الإنسان موجود بشكل شيفرة معقدة مطوية مبرمجة ، كما يذكر ذلك الجاعوني (١٤١٣هـ ، ج ٦ ، ص ٨٩) والبار (١٤٠٩هـ ، ص ١١١) إذا ما استقرت في الرحم تقوم بفك شيء من سرها المغلق ، طوراً فطور حسب البرنامج المعد لها من بارئها وخالقها جل وعلا : والشيفرة هنا تعني المفاتيح .

ومن صور التقدير في النطفة أيضاً الزوجية حيث لا يخلو شيء في الوجود من نظام الزوجية ، والذي تؤكد الآية الكريمة التي يقول فيها الحق سبحانه : ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الذاريات ، آية ٤٩)

والإنسان مشمول في هذه الزوجية ؛ لأنه واحد من الأشياء التي خلقها الخالق ، والتي أشار إليها بـ ومن كل شيء ، فقال جل من قال عن الزوجية في خلق الإنسان : ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ (سورة النبأ ، آية ٨) وقال تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ (سورة النجم ، آية ٤٥-٤٦)

والمقصود بالنطفة هي ماء الرجل المتدفق حين يمى ، الذي يحتوي على نوعين من الحيوانات المنوية ، نوع ذكري وآخر أنثوي ، أما نطفة المرأة فتحتوي فقط على النوع الأنثوي، وعندما يلتقي الحيوان المنوي المؤنث مع نطفة المرأة يكون الجنين أنثى ، وعندما يلتقي الحيوان المنوي المذكر مع نطفة المرأة يكون الجنين ذكراً بإذن الله .

نطفة منوية مؤنثة + بويضة امرأة = أنثى

نطفة منوية مذكرة + بويضة امرأة = ذكر

إذا فالذكورة والأنوثة في الجنين يحددها الحيوان المنوي الذي تختاره القدرة الإلهية المبدعة ؛ فإذا أرادت مشيئته جل وعلا خلق ولد ذكر لقح حيوان منوي يحمل إشارة الذكورة البويضة ، وإن أراد الخالق الباريء المصور أن يخلق أنثى جعل الحيوان المنوي الذي يحمل إشارة الأنوثة هو الذي يلحق البويضة . (الجاعوني ، ١٤١٣هـ ، ج ٦ ، ص ٨٩) (البار ، ١٤٠٩هـ ، ص ١١١)

وصدق الله العظيم الذي يقول في محكم كتابه : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ

مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٥٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا

وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٨﴾ (سورة الشورى ، آية ٤٩ - ٥٠) .

ويكمل الرسول عليه الصلاة والسلام شارحاً كيفية تحقيق هذه الآية من آيات الله في

الخلق في إجابته عليه الصلاة والسلام عن سؤال الحبر من أحبار اليهود له حين قال : " جئت

أسألك عن الولد ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل

مني المرأة اذكرا بإذن الله ، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أننا بإذن الله " (مسلم ، كتاب الحيض ، ج ١ ، ص ١٧٣) .

وأيضاً في موضوع الذكورة والأنوثة يقول عليه الصلاة والسلام : " وكل الله بالرحم ملكاً يقول أي رب

نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال : أي رب أذكر أم أنثى ، أشقي أم سعيد ؟

فما الرزق فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه " (البخاري ، كتاب القدر ، ج ١ ، ص ٤٨٦)

ويقول عبد الجابر (١٤١٠هـ) إن سنن الزوجية هذه المتمثلة في الذكر والأنثى أرادها

الله عز وجل ؛ لتحقيق نمو الحياة الإنسانية وإمتدادها ورفقيها عن طريق :

١ — تكوين أسرة تبدأ بزوجين ذكر وأنثى أركان هذه الأسرة السكن والمودة والرحمة .

٢ — هذه الأسرة المكونة من زوجين تكون آداة تتاسل وتكاثر للجنس والسلالات ، تبدأ

بالبنين والحفدة ، ثم الشعوب والقبائل ، فالأمم .

٣ — هذا التكاثر يجعل على الإنسان مسئوليات وواجبات يجب أن يؤديها لخالقه ومصوره ،

فيعمل على نقل كيفية أداء هذه الوجبات ، ووسائل تحمل هذه المسئولية من جيل إلى

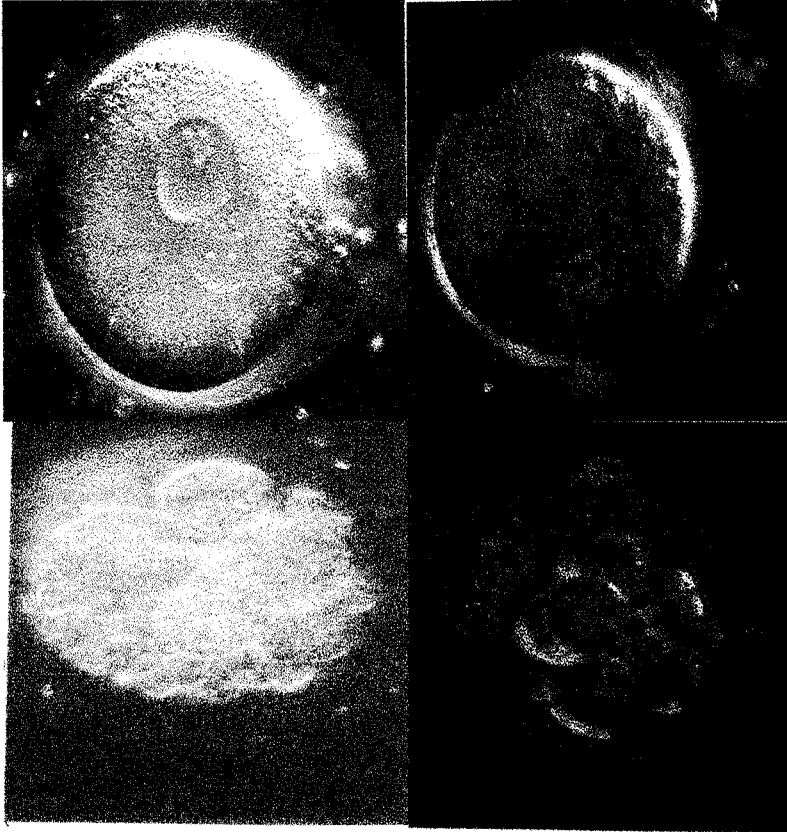
جيل ؛ فيتفاضل الناس عن طريق هذا الأداء وهذا النقل بالتقوى والإيمان . ص ٣٣٣

يقول جل وعلا : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٣﴾ (سورة

الحجرات ، آية ١٣) .

أمام هذا النظام في التقدير والإختيار لا يسع المسلم إلا أن يقف خاشعاً متبتلاً يتلو قوله



تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي

خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا

تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ

أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ

﴿ (سورة يس ، آية ٣٦)

وكذلك قوله تعالى: ﴿

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ

الْخَيْرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى

عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ (سورة القصص، آية ٦٨) .

القرار المكين : بعد أن تتحد نطفة الرجل ونطفة المرأة، وتكونا النطفة الأمشاج حيث

يقترب رأس الحيوان المنوي الذي يحمل في نواته المعلومات الوراثية، من خلايا البويضة التي

تحمل خصائص المرأة الوراثية المختزنة في عمق نواة البويضة ، فينجذ بان بقوة من بعضهما

بعضاً ثم يحصل الانصهار ، وفي هذه اللحظة نفسها تتحد الخصائص الوراثية للمخلوق الجديد ،

شكل رقم (١٧)
يوضح مراحل إنقسام البويضة المخصبة
المصدر: (طيفور ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٦ و ٥٩)

وتسمى عند ذلك بـ البويضة المخصبة التي تسير نحو الرحم في رحلة أمدتها ثلاثة أيام ، حيث تنهياً لها بطانتها لتتغرز فيها هذه النطفة الأمشاج ، وتتعهدها بالنمو والتكاثر السريع بواسطة الانقسام إلى خليتين ، ثم أربع ، وهكذا تتوالى الانقسامات كل ١٢-١٥ ساعة . (طيفور ، ١٤١٢هـ ، ص ٥٧)

ولقد سمى الله عز وجل الرحم الذي تستقر فيه النطفة بالقرار المكين في قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة المؤمنون ، آية ١٣) و كلمة قرار لغوياً تعني :

السكون والطمأنينة والهدوء ، والقرار من الأرض : القاع المستدير الذي يستقر فيه الماء . (ابن منظور ، د.ت ، ج ٥ ، ص ٣٥٧٩)

و حين يحتضن رحم المرأة الجنين يصبح كالأرض القاع المستديرة يستقر فيها الجنين ، وينطبق عليه وصف القرآن له بالقرار المكين ، فسبحان الله تبارك العالمين الخالق المدبر الذي سخر للرحم كل الإمكانيات الممكنة التي تضمن للجنين الأمان والاستقرار إلى أن تتم ولادته في مكانة وشدة ، ومن أدوات الأمان للجنين داخل الرحم ثلاث جدار كما أوضحها كلُّ من البار (١٤٠٩هـ ، ص ٤٢٣) وحامد (١٤١٧هـ ، ص ٩٨) فيما يلي :

١ - الجدار العظمي المحيط بالرحم : الذي يمنع وصول تأثيرات الرضوض والصدمات

العنيفة التي قد تتعرض لها الأم الحامل أثناء الحمل ، وتسمى بعظام الحوض .

٢ - الأغشية المحيطة بالجنين : وهي ثلاث أغشية ، وهذا ما أشارت إليه الآيات القرآنية

الكريمة التي يقول فيها سبحانه : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ

مَنْ الْأَنْعَمِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ

ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ (سورة الزمر آية ٦) وقوله

جل من قال : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٥٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (سورة

المرسلات ، آية ٢٠-٢١) . هذه الأغشية هي :

أ - غشاء الأمنيوم أو السلي : وهو يحيط بالجنين مباشرة من كل جانب ، وهو يمنح

الجنين الغذاء والوقاية من الصدمات ، كما يسمح له بالحركة ، ويضبط له درجة

الحرارة .

ب - غشاء الكوريون : وهو الذي يتصل بالمشيمة لإمداد الجنين بالغذاء ، وبهذا

الغشاء زغابات وخملات كثيرة كما نرى في الصورة تنتقل بواسطتها الأغذية

والأكسجين من الأم إلى الجنين ، كما ينتقل غاز ثاني أكسيد الكربون والبولينا

من الجنين إلى دم الأم .

ج - الغشاء الساقط : هذا الغشاء يبطن الرحم وهو رقيق جداً ، وينمو هذا الغشاء نمواً

هائلاً بتأثير هرمون الحمل البرومسترون وسمي ساقطاً لأنه يسقط ويخرج مع

دم الولادة . وهو يعتبر كالمحفظة أو الكبسولة التي تغطي الجنين وتوفر له

الأمان .

كما وجد أيضاً أن للظلمة دوراً كبيراً في النمو ؛ فالضوء يعوق مراحل

النمو ، كما أنه قد يتسبب في إتلاف شبكية العين قبل اكتمال نموها التشريحي

والوظيفي .

٣ - الأمان الهرموني : لهرمون البروجسترون تأثير كبير على انقباضات عضلة

الرحم ؛ حيث إن ثبات منسوبه في الدم يرفع عتبة التقلصات الخاصة بعضلة

الرحم ؛ مما يؤدي إلى منع حدوث انقباض قوي قد يؤدي إلى الإجهاض .

وبعد أن تستقر النطفة في الرحم ما يقارب الأربعين أو ثنتي وأربعين ليلة ،

والتي أشار إليها مطلع حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه : " إذا

مكثت النطفة في رحم المرأة اربعون ليلة " وفي مطلع حديث آخر له يقول : " إذا مر بالنطفة ثتان

وأربعون ليلة " تتحول هذه النطفة إلى مرحلة ثالثة من مراحل خلق ذرية آدم عليه



السلام، وهي :

٣ - العلقة : تعني كلمة علق لغوياً

بالنشوب واللزوم ، والعلقه : دودة في الماء

تمتص الدم وتعلق بالبدن . (ابن منظور، د .

ت ، ج ، ٤ ، ص ٣٠٧١)

ويقول كل من البار (١٤٠٩هـ ، ص ٢٠١)

والجاعوني (٤١٣هـ ، ص ١٣٩) : بما أن العلقه

لفظ يطلق على كل ما ينشب وينغرز ، ويتعلق في

شكل رقم (١٨)
يوضح كيفية إنغراز العلقه في جدار الرحم
المصدر: (طيفور ، ١٤١٢هـ ، ص ٦٨)

جدار الرحم فهذا هو حال العلقة التي أشارت إليها الآية القرآنية التي تقول : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ (سورة العلق: آية ٢) .

تبدو هذه العلقة للعين المجردة مثل كتلة كروية صغيرة من الدم الغليظ ، وهي محاطة بدم جامد غليظ متخثر . إن هذه الكتلة الكروية الصغيرة التي تشبه ثمرة التوت تنغرس في جدار الرحم بواسطة زغابات آكلة، ويطلق عليها أيضاً خميلات ، وتتسم خلايا العلقة في هذه المرحلة بوجود ثلاث طبقات هي :

١ - طبقة خارجية : وبها مجموعتان من الاستطالات التي تميزها وظيفياً إلى نوعين من الخلايا ، الأولى : قارضة آكلة تمهد لانغراس النطفة الأمشاج في جدار الرحم ، والثانية : مغذية تحيط بالعلقة من جميع جهاتها ، مهمتها إيصال الغذاء الذي تمتصه من الخلايا الأولى إلى الجنين .

٢ - طبقة داخلية : ومنها يخلق الله سبحانه وتعالى الجنين وأغشيته بعد أن يمر بأطوار متعددة.

٣ - طبقة متوسطة : ثم وبتدبير ممن خلق فسوى ، وقدر فهدى ، تظهر طبقة ثالثة مخلقة جديدة تعرف بالطبقة الوسطى تأخذ مكانها بين الطبقة الداخلية والخارجية ، سيأتي توضيح دورها في مرحلة المضغة .

ومع نهاية الأسبوع الثالث من تكوين النطفة الأمشاج تتميز الطبقات المخلقة الثلاث التي أشير إليها سابقاً عن بعضها بعضاً ، حيث تبدأ بتكوين الأنسجة والأعضاء الخاصه بها ،

وتتحول من شكلها الكروي إلى الاستطالة ثم الشكل الكمثري ، بحيث يكون الجزء العريض منها ناحية الرأس ، والجزء الأصغر ناحية المؤخرة ؛ استعداداً لدخول المرحلة الرابعة من مراحل خلق نرية آدم عليه السلام مع بداية الأسبوع الرابع وهي مرحلة المضغة .

٤ _ **المضغة** : لقد ورد في لسان العرب تفسير المضغة بأنها : القطعة من اللحم لمكان

المضغ، وهي على قدر ما يلاك (ابن منظور ، د . ت ، ج ٦ ، ص ٤٢٢١) . وإلى هذه المرحلة ومل

يتم فيها من تخليق أشارت الآية القرآنية الكريمة التي تقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي

رَبِّ مِّنَ الْبَعْثِ فَاِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ

وَعَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ

لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ

عِلْمٍ شَيْئاً وَتَبَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَاذًا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ أَهْتَرَّتْ وَرَبَّتْ وَأُنبِتتْ مِنْ كُلِّ

رَوْحٍ بِهِيج ﴿ (سورة الحج ، آية ٥) .

وبعد أن تثبت الكرة الجرثومية بالرحم ، وتتكون الطبقات الثلاث التي أشارت إليها

الباحثة في مرحلة العلقه ، وتحولها إلى الشكل الكمثري ، تظهر كتل بندقية على جانبي محور

العلقه ، ويواكب ظهور الكتل البندقية ظهور عدد من الشقوق والنتوءات ، تجعل من ينظر إلى

الجنين من الداخل يراه وكأنه مقسم إلى قطع أو كتل داخلية ؛ حيث وجد أن أدق وصف ووصفت

به هذه المرحلة هي المضغة التي لاكتها الأسنان وتركت علامات بارزة عليها ، ويتراوح طول



المضغة من (٣ - ٥)

مليمتراً بنهاية الأسبوع

الرابع، فجلت قدرته

سبحانه وتعالى .

إن عملية الخلق

تنشط في هذه المرحلة ،

شكل رقم (١٩)

يوضح مرحلة المضغة

المصدر: (طيفور ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٠)

ويتغير شكل الحميل إلى درجة

كبيرة، ويصبح بالأمكان تمييز الملامح

الرئيسية للشكل الخارجي لجنين بشري .

وهنا يأتي دور آخر لكل طبقة من الطبقات الثلاث التي تكونت في مرحلة العلقة في

تكوين اعضاء الجسم المختلفة ، ذكرها كل من (حامد ، ١٤١٧هـ ، ص ١٠٧) و (البار ،

١٤٠٩هـ ، ص ٢٦٣) في التالي :

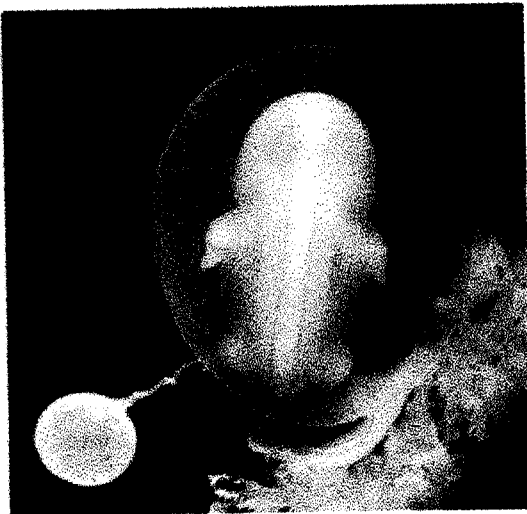
١ - الطبقة الخارجية : وتسمى بالطبقة

الخارجية للمضغة حيث ينشأ عنها

الأعضاء والتراكيب التي هي على اتصال بالعالم

الخارجي مثل :

أ - الجهاز العصبي بأقسامه ابتداء من



شكل رقم (٢٠)

يوضح ظهور الأعضاء والتراكيب

المصدر: (طيفور ، ١٤١٢هـ ، ص ٩٠)

المخ وانتهاءً بالنخاع الشوكي ، والأعصاب الرأسية والطفيفة ،
والفص الخلفي والأمامي للغدة النخامية ، والجزء النخامي من الغدة

الكظرية اللب .



بجـ — بشرة الجلد بما فيها من الشعر والأظافر ،

والغدد العرقية والدهنية ، وغدد الثدي .

جـ — النسيج الظاهري للفم والشففتين ،

والأنف ، وجذور الأسنان ،

والغدد اللعابية .

د — شبكية العين وعدستها والقرنية

والملتحمة ، وعضلاتها .

هـ — الأذن الداخلية .

و — غشاء قناة الشرج ، والجزء الأخير لقناة مجرى البول في الذكر ، وغشاء بصلة

المهبل وغدده للأنتى .

آ — الطبقة الوسطى : وينشأ عن هذه الطبقة المخلفة التالي :

أ — العظام والغضاريف والعضلات الإرادية واللاإرادية ، وهذا ما تشير إليه الجزئية

من الآية التي تقول : (فخلقنا المضغة عظماً) .

بجـ — القلب ، والدم ، والطحال ، والسائل للمفاوي ، واللوز .

شكل رقم (٢١)

يوضح مرحلة تكوين الفم والأنف ، والعين ، والأذن

المصدر: (طيفور ، ١٤١٢هـ ، ص ٨٩)

ج - الجهاز البولي والتناسلي .

ط - قشرة الغدة الكظرية .

هـ - أنسجة العين والأنف والأذن .

ز - الأغشية الزلالية الموجودة بالقرب من المفاصل ، واتصال أوتار العضلات بالعظام .

٣ - الطبقة الداخلية : وتتميز هذه الطبقة بتكون الأغشية المبطنة لأجهزة الجسم ، وهي

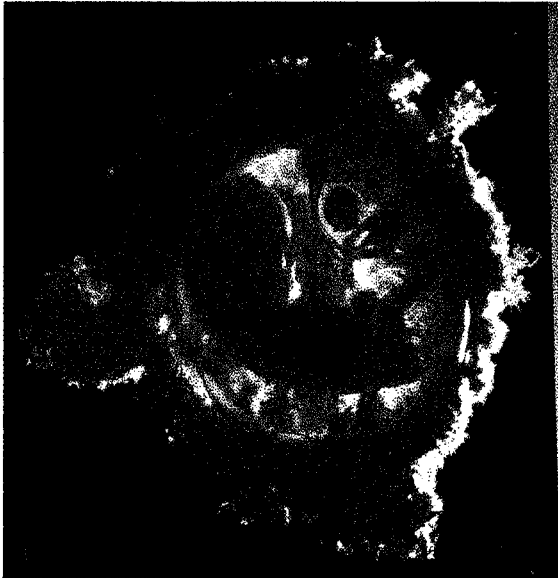
كالتالي :

أ - الغشاء المبطن للجهاز الهضمي ، مثل : غشاء الأمعاء ، والغدة الدرقية ، وجاراتها ،

والتيموسيه ، والبنكرياس ، والكبد .

ب - الغشاء المبطن للجهاز التنفسي ، مثل : غشاء الحنجرة ، والقصبه الهوائية ،

والشعب الهوائية ، والرئتين ، ماعدا الأنف .



ج - الغشاء المبطن للقناة السمعية

والبعومية ، مثل : الأذن الوسطى ،

غشاء طبلة الأذن ، والنسيج

الحشوي للوزتين .

هـ - الغشاء المبطن للمثانة والحالب .

و - العظام والأطراف : ويضيف

شكل رقم (٢٢)

يوضح تكوين العظام والأطراف

المصدر : (حامد ، ١٤١٧هـ ، ص ٢١٩)

الصاوي (١٤٢١هـ ، ص ٨) إلى أنه في هذا الطور يتشكل الجنين على هيئة مخصوصة ويكتسب صورة جديدة ، مع نهاية الأسبوع السادس حيث يتخلق الهيكل العظمي الغضروفي، فيتصلب البدن ، ثم يبدأ في الاستقامة والاعتدال، ويتميز الرأس من الجذع ، وتظهر الأطراف .

وهذا ما تدل عليه الآيات الكريمة التي يقول فيها جل من قال : ﴿ أَلَدَى

خَلَقَكَ فَسَوْنِكَ فَعَدَلُكَ ۝ ﴾ (سورة الإنفطار ، آية ٧) ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿

ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝ ﴾ (سورة

المؤمنون ، آية ١٤) .

ويضيف البار (١٤٠٩هـ) إلى إن نمو الأعضاء في جسم الإنسان يبدأ في

مرحلة مبكرة جداً من عمر الجنين ، حيث تنقسم هذه العظام إلى نوعين ، هما :

١ - عظام غضروفية : وهي التي تكونت أولاً من الغضاريف ، ثم امتلأت بالعظام

تدريجياً ، وتشمل معظم عظام الجسم ، مثل : الأطراف العليا والسفلى ، وعظام

الفقرات ، وجزء من قاع الجمجمة . حيث تكسى بعد ذلك باللحم ، ويأخذ الجنين

وضعه ، وقوامه ، وهيكله في الشهر الثالث الرحمي .

٢ - عظام غشائية : وهذه كانت أصلاً نسيجاً من الأغشية ثم بُني عليها العظم ، دون أن

تسبقه مرحلة نشوء غضاريف كما في مرحلة العظام الغضروفية ، مثل عظم

٥ - **الخلق الآخر** : بعد مرحلة تكون العظام والعضلات ينشيء الخالق جل وعلا كل

جنين خلقاً آخر ؛ وهو ما تشير إليه الآية الكريمة التي يقول فيها جل من قال : ﴿ ثُمَّ

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا أَلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا

الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿٦٦﴾ (سورة

المؤمنون : آية ١٤) ، وفي هذا يقول الرازي (د . ت ، ج ٢٣) في تفسير **الخلق الآخر**

بأنه : الخلق المبين للخلق الأول ، والذي تغير بقدرة الخالق إلى حيوان بعد أن كان

جماداً ، وناطقاً بعد أن كان أوكماً ، وسميعاً وكان أصماً ، وبصيراً بعد أن كان أكمأً ،

وأودع الخالق في كل عضو من أعضائه وفي كل جزء منه عجائب فطرة ،

وغرائب حكمة . ويضيف الرازي فيما يتعلق بتفسير فتبارك الله إلى إن البركة

يرجع معناها إلى الإمتداد والزيادة التي تحصل للإنسان ، في مراحل تطوره ، فجلت

قدرة الله الخالق المبدع . ص ٨٤ . وتختص هذه المرحلة بعدة خصائص أهمها :

١ - تطور ونمو أعضاء أجهزة الجنين ؛ وذلك لتهيئتها للقيام بوظائفها .

٢ - نفخ الروح .

بالنظر إلى هذه المرحلة نجد أنها تشهد تغيرات جسمية في أعضاء الجسم

المختلفة ، وهذه المرحلة يسميها علماء الأجنة بمرحلة الجنين والتي تبدأ بعد

نهاية الأسبوع الثامن وتنتهي بنهاية فترة الحمل ، ومن هذه التطورات

التالي:

أ - تبدأ أجهزة الجسم المختلفة في ممارسة وظائفها الجسمية ؛ مثل :

عضلات القناة الهضمية، الكبد ، الأمعاء ، الكليتين .

ب - تبدأ عملية تحول الغضاريف إلى عظام مع الأسبوع التاسع إلى

الأسبوع الثاني عشر.

ج - تظهر براعم الأسنان اللبنيّة ، ومواقع الأظافر ، الضلوع ،

وفقرات الهيكل العظمي.

د - يبدأ النخاع العظمي في تكوين خلايا الدم .

هـ - تتطور العضلات والأعصاب المغذية من الأسبوع الثامن ، حيث

يمكن رصد حركات الجنين وركلاته .

و - يزداد نمو حجم المخ ، حتى يصبح حجم الرأس نصف حجم الجسم

مع نهاية الأسبوع الثاني عشر .

ز - تظهر طبقتي الجلد ، التي تسمى بالبشرة وهي الطبقة الخارجية

للجلد ، والأدمة وهي الطبقة الداخلية للجلد كما سبقت الإشارة إلى

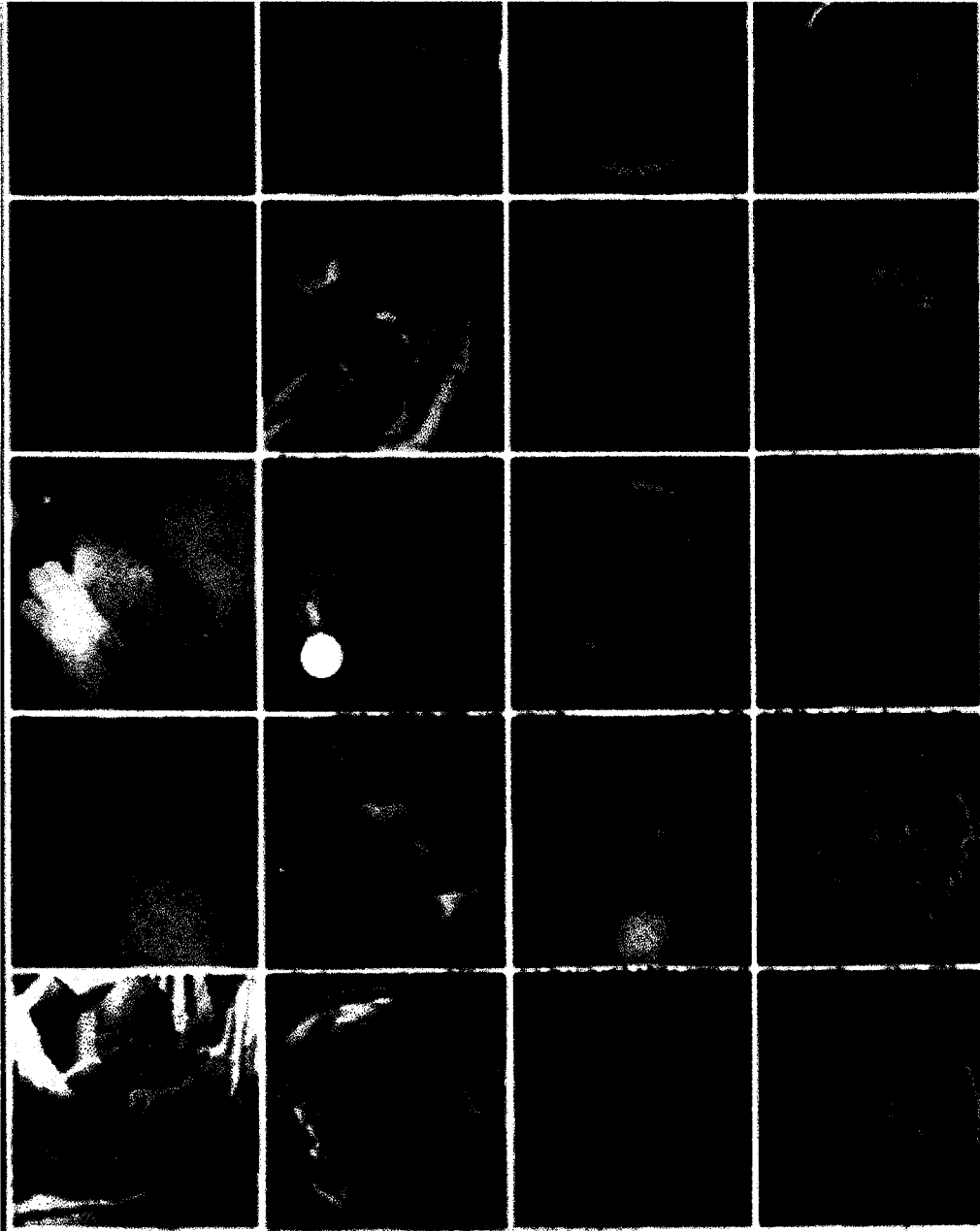
ذلك . (حامد ، ١٤١٧هـ ، ص ١١٧)

وهكذا يستمر نمو الجنين داخل رحم الأم إلى أن يضيف الخالق جل وعلا مصير استمراره ، أو

عدم استمراره ، تحقيقاً لإرادته عز وجل ، والتي ورد ذكرها في قوله جل من قال: ﴿ هُوَ الَّذِي

خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢٣﴾ (سورة الأنعام ،

آية ٢) .



شكل رقم (٢٣)
يوضح تطور المرحلة الجنينية
المصدر : (طيفور ، ١٤١٢ هـ ، صفحة الغلاف)

تلخيص : لقد تم في هذا الفصل عرض طوري خلق الإنسان البنائين – الإنشائيين – وقد اقتصرت الباحثة في هذا الفصل عليهما ؛ لأنهما الطورين اللذان يشكلان طبيعة النفس الإنسانية في مراحل خلقها وتخلقها ، فقد احتوى هذا الفصل على التالي :

١ – التعريف بمفهوم كلمة – طور –

٢ – تحديد الطورين البنائين ، اللذان يشكلان طبيعة النفس الإنسانية ، في ضوء

توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهما :

أ – الطور الأول : أصل الخلق . ب – الطور الثاني : المرحلة الجنينية .

٣ – أصل الخلق ، اشتمل على : أ – خلق آدم عليه السلام .

ب – خلق حواء .

ج – خلق نرية آدم عليه السلام .

٤ – المرحلة الجنينية ، واشتملت على :

أ – مرحلة الصلب والترائب . د – مرحلة المضغة .

ب – مرحلة النطفة . هـ – مرحلة العظام .

ج – مرحلة العلقة . و – مرحلة الخلق الآخر .

وبعد أن تكتمل مراحل خلق وتخلق الإنسان ، تأتي مرحلة خروجه إلى الحياة الدنيا ،

وتبدأ مطالبه وحاجاته الجسمية ، والعقلية ، والانفعالية ، والاجتماعية . هذه المطالب والحاجات

تحقق وتشبع وفق ضوابط وتوجيهات وضعها رب العزة والجلال للإنسان مصاحبة بتوجيهات

نبوية كريمة . لذا تعرض الباحثة في فصلي الدراسة القادمين الخامس والسادس الدوافع

والحاجات الإنسانية وبالتالي الانفعالات المصاحبة لإحساس الإنسان بهذه الدوافع ، والعوز

والافتقار الناشيء عنها .

الفصل الخامس

الحوافض في ضوء توجيهات القرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة

- مقدمة -

- تعريف الحافض -

- أقسام الحافض -

- دراسة لبعض أنواع الحوافض في ضوء

توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية

الدوافع في ضوء توجيهات القرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة

مقدمة :

إن مما أودع الله في النفس الإنسانية وطبيعتها الدوافع التي تدفع السلوك الإنساني وتوجهه لفعل ما ، ولا يُكتمل فهم وتفسير هذه الطبيعة الإنسانية مالم يُعرض موضوع الدوافع ، ودورها في توضيح معالم هذه الطبيعة . وكما اقتضت حكمة الله جل وعلا أن يتكون الإنسان من جانبين متقابلين ، كما عُرض ذلك سابقاً وهما :

١ - الجانب الترابي أو المادي أو الشهواني .
٢ - الجانب الروحي .

حيث يشترك الإنسان مع سائر المخلوقات ذات الأرواح في الجانب المادي ، ويختلف عنها في الأهداف ، والممارسات ، والتطبيقات . وفي هذا الجانب الروحي يكمن السمو بالسلوك الإنساني ، الذي يعد تطبيقاً من تطبيقات مبدأ حرية الاختيار هذا المبدأ الذي منحه سبحانه وتعالى للإنسان ، حرية في إطار توجيه و ضبط ، وسمو في الممارسات ، واعتدال في الإشباع .

إن هذه الدوافع يجب أن تحقق وتشبع امتثالاً لأمره جل وعلا ، وهذا هو مفرق الطريق بين تصور الإسلام لعملية إشباع الدوافع ، وبين تصور علم النفس الغربي لهذه العملية . فالإسلام يميز الإنسان المسلم بالنية في إشباعه ، وتوجيهه ، وضبط دوافعه ، كما يميزه بطرق خاصة في عملية الإشباع والتوجيه والضبط ، والتي منها على سبيل المثال وجوب تحري الحلال والحرام ، حتى لا تتحول الوسائل إلى غايات ؛ وحتى تبقى هذه الدوافع موجهة لخدمة

المقصد الكبير من خلق الإنسان .

وعندما ترتبط النفس بهذه المهمة تتساقط عندئذ مشاعر الحرمان والقنوط ، ويسمو السلوك الإنساني إلى مقام الإيمان والإحسان ، والتقوى ، والعبادة ، والتركية ، والعلم ... فتصل النفس إلى مرحلة الطمأنينة ، والسكينة ، والثبات ، والقوة في انتقاء وسائل عملية إشباع الدوافع .
(عز الدين ، ١٤٠٧هـ ، ص ٤٧٩)

تعريفه الدوافع : تعددت تعريفات الدوافع ، وهنا تذكر الباحثة بعضاً منها :

١ - " طاقة نفسية كامنة على شكل استعداد يدفعنا نحو سلوك معين يهدف إلى غاية معينة " .

(الهاشمي ، ١٤٠٢هـ ، ص ١٠٤)

٢ - " حالة داخلية جسمية أو نفسية ، فطرية أو مكتسبة ، تثير السلوك الإنساني وتحدد

نوعيته واتجاهه وتسير به نحو تحقيق أهداف معينة " . (السالموطي ، ١٤٠٤هـ ، ص ٩٠)

٣ - " قوة فطرية كامنة تحض الإنسان على فعل ما يجلب له المسرة واللذة ويشبع حاجاته

الضرورية ، أو يرد الخطر الذي يعود عليه بالحسرة والألم " . (الزعبلاوي ، ١٤١٤هـ ،

ص ١٩٥)

٤ - " الطاقة التي ترسم للكائن الحي أهدافه وغاياته لتحقيق التوازن الداخلي ، أو تهيئ له

أحسن تكيف ممكن من البيئة الخارجية " . (عبد الجابر ، ١٤١٠هـ ، ص ١٠٠)

في ضوء التعريفات السابقة خرجت الباحثة بتعريف شامل للدوافع وهو أن : الدافع

حالة نفسية جسمية ، تعمل على تنشيط وتوجيه واستدامة السلوك الإنساني ، نحو جلب منفعة ،

أو رد مفسدة ومضرة ، بما يحقق الهدف من عملية الإشباع في ضوء توجيهات الإسلام لهذه

العملية .

إذاً تعتبر الدوافع المحركات للسلوك الإنساني ، وهي التي تسببه وتكسبه صفة الغائية .
إن هذه المسببات ترتبط بحالة الإنسان الداخلية أثناء حدوث السلوك من جهة ، وبالمثيرات البيئية
الخارجية من جهة أخرى .

كما أن هناك العديد من المصطلحات التي تعتبر مراحل منطقية لحدوث عملية تحقيق
الدافع ومن أهمها : - الحاجات ، الحوافز ، البواعث ... ويمكن توضيح أثرها فيما يلي :

١ - **الحاجة** : " حالة من النقص والعوز والافتقار واختلال التوازن ، تقترن بنوع من التوتر
والضيق ، لا يلبث أن يزول متى ما قضيت الحاجة وزال النقص ، سواء كان هذا النقص
معنوياً أم مادياً ، داخلياً أم خارجياً " . (ناصر ، ١٤٠٩هـ ، ص ١٠٨) . وتعرفها (قنساوي ،
١٤١٩هـ) بأنها " كل ما يتطلبه الإنسان لسد ما هو ضروري من رغبات ؛ لتوفير ما
هو مفيد لتطوره ونموه " . ص ١١

٢ - **الحافز** : هو " المثيرات الداخلية والنواحي العضوية التي تبدأ بالنشاط ، وتجعل الكائن
الحي مستعداً للقيام باستجابات خاصة نحو موضوع معين في البيئة الخارجية ، أو البعد
عن موضوع معين " . (الكنانى وآخرون ، ١٤١٥هـ ، ص ٩٠)

٣ - **الباعث** : " هو عامل وجداني نزوعي - انفعالي ، حركي - من شأنه تحديد اتجاه سلوك
الفرد نحو غاية أو هدف ، سواء كان مستوعباً عن وعي أو دون وعي من جانب المرء " .
(رزوق ، ١٤٠٨هـ ، ص ٥٥)

كما أورد الكنانى وآخرون (١٤١٥هـ) تعريفاً للبواعث بأنها " الموضوعات التي

يهدف إليها الكائن الحي ، وتوجه استجاباته سواء تجاهها أو بعيداً عنها ، والتي من شأنها أنها

تعمل على إزالة حالة الضيق أو التوتر التي يشعر بها الفرد " . ص ٨٩

من خلال عرض المصطلحات التي تحدثت عن مفهوم — الدافعية — يمكن القول بأن الدافع يولد حاجة إلى الشيء وعوزاً وافتقاراً ، هذه الحاجة تجعل الإنسان نشطاً مستعداً للقيام بأنشطة سلوكية متعددة ، تسمى بالحافز أو الحوافز هذا النشاط تحكمه مجموعة البواعث النزوعية التي تساعده على تحديد الوجهة التي يجب أن يتخذها لتحقيق أو إشباع الدافع .

ثم إنه من خلال التسلسل المنطقي للمفاهيم التي تدور حول — الدافعية — يمكن التوصل إلى استنباط سمات للذوافع ، وما يدور حولها من مفاهيم ، تتمثل بعض تلك السمات في ما يلي :

١ — القوة : تختلف درجة قوة الدافع من دافع لآخر ، فهي ليست بدرجة واحدة ،

فمثلاً دافع الأمومة لا يعتبر في قوة دافع الجوع ، والعطش ، والجنس .

٢ — الفردية : تختلف طرق إشباع الذوافع من فرد لآخر تبعاً لمبدأ الفروق الفردية، فمثلاً

الحاجة إلى التقدير الاجتماعي قد تدفع بشخص إلى تحصيل العلم بتفوق وجد ؛ ليحصل على مكانة علمية عالية، بينما تدفع شخصاً آخر إلى التفوق في مجال النشاط الاجتماعي، ونفس الحاجة قد تدفع بشخص ثالث إلى التفوق في مجال الرياضة البدنية، وهكذا .

٣ — المرحلية : قوة الدافع وإحاحه تختلف من مرحلة عمرية لأخرى لدى نفس الفرد .

٤ — التعددية والتنوع : من الذوافع ماهو فطري ومنها ماهو مكتسب ، ومنها ماهو جسمي ،

ومنها ما هو نفسي ... فمثلاً : قد يتصدق شخص لعدة ذوافع متشابكة ، وفي هذه

الصدفة قد يكون مجبراً أو مضطراً، وقد يكون مختاراً عن طواعية ؛ طلباً للمثوبة،
وطلباً للمديح والثناء ، أو خوفاً من سلطة ، أو حبا في السيطرة .

٥ - النشاط : كلما كان الدافع قويا ازداد النشاط الذي يستهدف إشباعه ؛ فالدوافع

تتقل السلوك من حالة السكون إلى حالة الحركة ، أي أنها نزوعية حركية .

٦ - الاستدامة والدورية : إن إشباع الدوافع مرة واحدة فقط لا يكفي لإشباعها إلى الأبد

وزوالها ؛ إذ سرعان ما يعود إلحاح هذه الحاجة مرة أخرى بعد فترة من الزمن حسب

نوعية الحاجة وأهميتها ، فالدوافع تمر بدورة كاملة في الجسم تبدأ بالحاجة الشديدة ، ثم

الإشباع وخفض التوتر ، ثم الحاجة نفسها مرة أخرى .

٧ - المرونة والقابلية للتعديل في تنظيم عمليات الإشباع : ذلك أن الدافع طاقة عامة،

وإشباع هذه الطاقة يمكن تكيفه بما يناسب البيئة والثقافة .

٨ - الغرضية : حيث تؤدي الدوافع إلى توجيه السلوك نحو غرض معين ، أو غاية معينة ،

أو هدف معين .

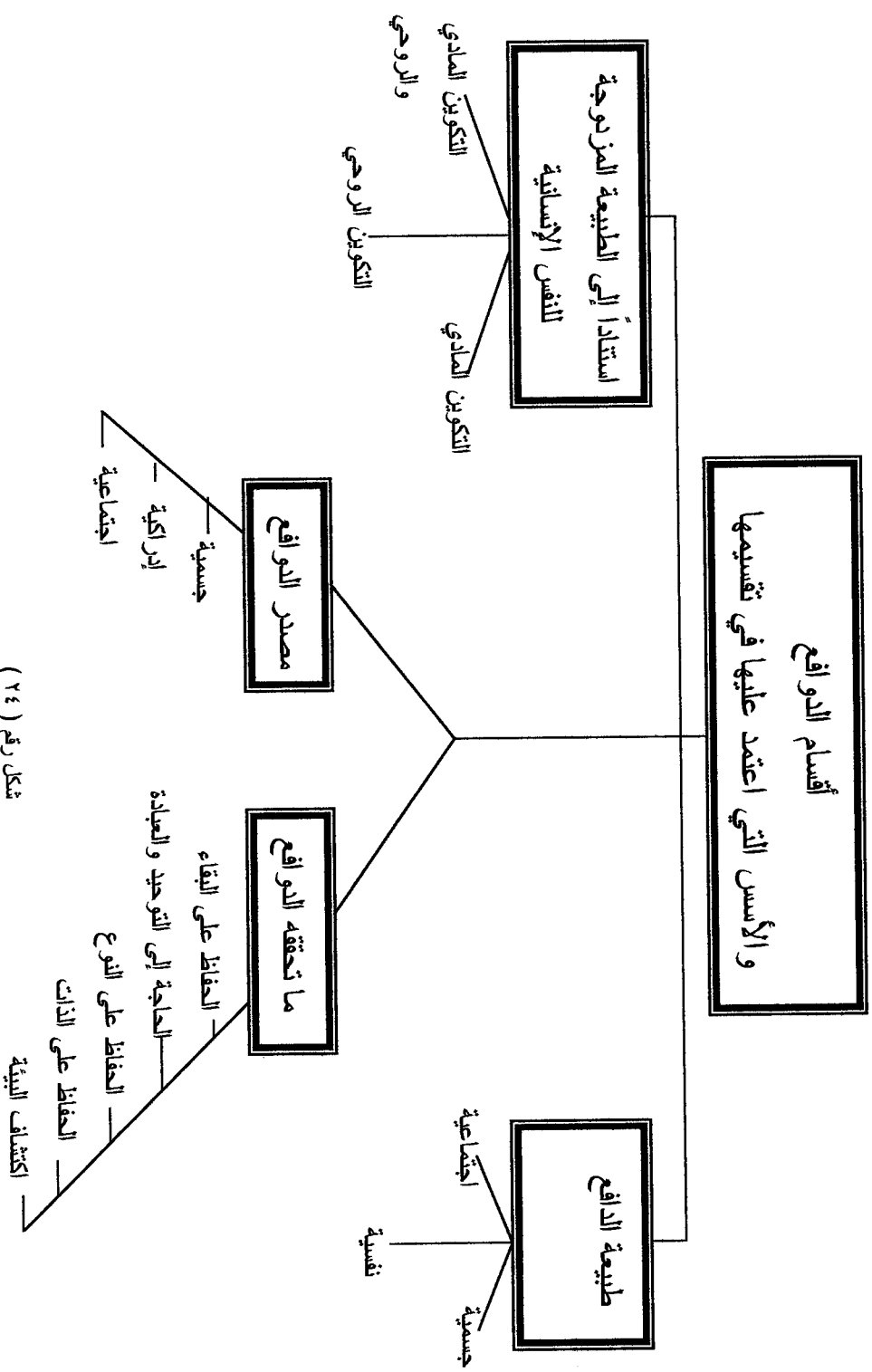
٩ - النسبية : تختلف قوة إلحاح الدافع من شخص إلى آخر ، حسب إحساس الشخص بها ،

وحسب حاجة الفرد لها ، كما وكيفاً .

١٠ - الوعي وغير الوعي : فمن الدوافع ما يتم إشباعه وتحقيقه بوعي وإرادة ، مثل إشباع

دافع الجوع والعطش ، ومنها ما يتم إشباعه وتحقيقه والتعبير عنه دون وعي وإرادة ،

مثل فلتات اللسان ، وزلات القلم .



شكل رقم (٢٤)
 يوضح أقسام الدوافع وأسس تقسيمها

أقسام الدوافع : بمراجعة أدبيات الدراسات التي تحدثت عن موضوع الدوافع نجد أن

هناك تصنيفات متعددة للدوافع ستعرض الباحثة بعضاً منها فيما يلي :

التقسيم الأول : وهو يعتمد على طبيعة الدوافع ، كما ذكرها السيد وآخرون (١٤١١هـ — ، ص

: (٤٢٤)

١ — دوافع جسمية ، مثل : دافع الجوع ، والعطش ، والجنس ...

٢ — دوافع نفسية ، مثل : الحاجة للنجاح ، للحرية ، للأمن ...

٣ — دوافع اجتماعية ، مثل : الحاجة للغنة ، الحاجة للضبط الاجتماعي ...

التقسيم الثاني : هذا التصنيف يعتمد على ما تحققه الدوافع للإنسان ، كما أورده السمالوطي

(١٤٠٤هـ ، ص ١٠٦) :

١ — دوافع تكفل الحفاظ على بقاء الفرد ، وتسمى بالحاجات العضوية أو

الفسولوجية ، كالجوع ، والعطش ، والتنفس ...

٢ — دوافع تتعلق بحاجة الفرد إلى التوحيد وعبادة الله سبحانه وتعالى ، وطلب

العون منه ، وهذا الدافع يظهر في كل وقت لدى المسلمين .

٣ — دوافع تكفل الحفاظ على النوع ، كالجنس ، والأمومة ، والأبوة ، والحنو ...

٤ — دوافع دفاعية ترتبط بالحفاظ على الذات ، كالقتال ، والهروب .

٥ — دوافع تمكن الإنسان من اكتشاف البيئة والتعامل معها ، مثل حب الاستطلاع.

التقسيم الثالث : وهو تصنيف الدوافع طبقاً لمصدرها ، ولقد أورده كل من السيد وآخرون

(١٤١١هـ ، ص ٤٢٥) وقناوي (١٤١٩هـ ، ص ١٤) :

١- دوافع الجسم : وتساهم في تنظيم الوظائف الفسيولوجية ، ويعرف هذا النمط

من التنظيم بالتوازن الذاتي .

٢- دوافع خاصة بالإدراك : من خلال مختلف العمليات العقلية وهي ما تؤدي إلى

مستوى تقدير الذات الذي يحترم الشخص نفسه في إطاره .

٣- دوافع اجتماعية : الخاصة بالعلاقات بين الأشخاص ؛ ودورها في ارتقاء

الشخصية .

التقسيم الرابع : من التصنيفات السابقة للدوافع ، توصلت الباحثة إلى تصنيف رابع للدوافع،

حيث استندت في هذا التصنيف على ما قامت به سابقاً من شرح لطبيعة النفس الإنسانية ، بأنها

طبيعة مزدوجة قائمة على قبضة الطين ونفخة الروح ، في ضوء هذه الازدواجية يمكن تقسيم

الدوافع إلى ثلاثة أقسام ، هي كالتالي:

١ - دوافع ناتجة عن التكوين المادي للإنسان .

٢ - دوافع ناتجة عن التكوين الروحي للإنسان .

٣ - دوافع ناتجة عن التكوين المادي ، والتكوين الروحي للإنسان ، أي ناتجة عن

امتزاج الطبيعتين السابقتين .

وترى الباحثة أن هذا التصنيف للدافع نظرياً فقط ، لكن في مجال التطبيق العملي على

السلوك الإنساني لا يمكن فصل منشأ الدافع ، أو إتجاهه ، أو طبيعته .

فمثلاً : عندما يختل توازن البيئة الداخلية في جسم الإنسان ، نتيجة لعوز ، أو افتقار

الجسم لحاجة ما ، فإن أجهزة جسم الإنسان تقوم بوظائف آلية تعمل على الحض على إشباع هذا

الدافع . عملية الإشباع هذه وطريقتها تؤديان إلى الحفاظ على بقاء الفرد من جهة ، وفي نفس

الوقت قد تسهم في تحقيق حاجة نفسية ، أو اجتماعية لذات الفرد من جهة أخرى . وعندما تكون

عملية إشباع الدافع نفسه تهدف إلى التوصل إلى عبادة الله عز وجل ، متتبعه الركائز الإيمانية ،

ومستتيرة بالتوجيهات الربانية ، والنبوية الشريفة ، فهذا فيه تحقيق لدوافع روحية .

إذاً لا فصل بين الدافع المادي المنشأ أو الروحي أو غيره ، عليه فالباحثة ستعرض تلك

الدوافع دون فصل عملي لها ، إنما ستكتفي بالإشارة إلى ذلك في شرحها لكل دافع على حدة :

دراسة لبعض أنواع الدوافع الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن

الكريم والسنة النبوية المطهرة :

أولاً : دافع الجوع : هذا الدافع الذي يولد الحاجة إلى الطعام ؛ حيث أن نقص المواد الغذائية

في الدم عامل أساسي لظهور الحاجة إلى الطعام ، وبالتالي الشعور بالجوع . فحينما تقل تلك

المواد الغذائية في الدم تحدث تقلصات في جدران المعدة ، ثم يزداد النشاط العام في الجسم ،

لرغبة في الطعام ، ثم يحدث التوتر المصاحب لحاجة الجوع ، فيكون البحث عن الطعام لإشباع

هذا الدافع (السيد وآخرون ، ١٤١١هـ ، ص ٤٢٦) . هذا الطعام يقوم بدور هام في تكوين الخلايا

الجديدة ، وإصلاح الخلايا التالفة ، وإعادة بنائها ، وزيادة مناعة الجسم ، ووقايتها من الأمراض،

كما أنه يعطي للجسم طاقة ؛ تجعله يحافظ على قواه الجسمية ، التي تعينه على أداء وظائف

متنوعة ، ومتباينة في يوم الإنسان وليلته . (عبد العال ، ١٤٠٥هـ ، ص ص ٨٤ - ٩٥)
أن الطاقة التي يمدّها الطعام للجسم تجعله قادراً على أداء وظائف العبادة المكلف بها على أكمل
وجه ، كما أنها تمكنه من تحقيق واجبات الخلافة المنوطة به .

ولأهمية هذا الدافع فقد أشارت إليه آية قرآنية كريمة على أنه ابتلاء من الله عز وجل ،
في الآية التالية : ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ

وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (سورة البقرة ، آية ١٥٥) . كما أشارت آية أخرى إلى أن

توفير الطعام للإنسان في هذه الأرض مئة مئة منة جل وعلا ، لما للطعام من أهمية في إحساس
الإنسان بالأمن والطمأنينة ، ولما للجوع من شدة تؤثر على أجهزة جسم الإنسان جميعها ؛

فلنتأمل (الآية ٤، سورة قريش) التي تقول : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّن

جُوعٍ وَعِآمَنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿١﴾ . وإلى إحساس الإنسان بالأمن في حالة توفر طعامه له ، يشير

عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي يقول فيه : " من أصبح منكم آمنًا في سربه ، معافى في

جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا " (الترمذي ، كتاب الزهد ، ج ٤ ، ص ٤٩٦) . كما تعودّ عليه

الصلاة والسلام من الجوع في حديثه الذي يقول فيه : " اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس

الضجيع " . (ابن ماجة ، كتاب الأطعمة ، ج ٢ ، ص ١١١٣)

كما أنه صلى الله عليه وسلم أشار إلى الجوع النوعي ، الذي يدفع الإنسان إلى تناول ما

ينقص الجسم من مواد غذائية معينة ، يفتقر إليها ذلك الجسم ، وذلك أثناء عيادته لرجل مريض

وقوله له : " ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي خبز بر . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من كان عنده خبز بر فليبعث

إلى أخيه ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : إذا اشتهى مريض أحدكم شيئاً ، فليطعمه . "

(ابن ماجة ، كتاب الطب ، ج ٢ ، ص ١١٣٨)

ولقد وضع رب العزة والجلال ، في كتابه العزيز ضوابط يجب على المسلم مراعاتها

عند إشباع هذا الدافع ، وكذا سنة نبيه عليه الصلاة والسلام التي أتمت هذه الضوابط وفسرتها

بتوجيهات نبوية كريمة تذكر الباحثة بعضاً منها فيما يلي :

أ - تحري الحلال الطيب المباح للإنسان من الرزق : فيقول جل من قال في كتابه

الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (سورة البقرة ، آية ١٦٨) . كما يقول سبحانه

وتعالى عن كل ما هو حرام في الآيات التالية : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ

﴿ وَاللَّحْمُ الْخَنِزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾^(١) وَالْمُنْخَنِقَةُ^(٢) وَالْمَوْقُوذَةُ^(٣) وَالْمُتَرَدِّيةُ^(٤)

﴿ وَالنَّطِيحَةُ^(٥) وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مَا إِلَّا ذَكَّيْتُمْ^(٦) وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ^(٧)

﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ... ﴾ (سورة المائدة ، آية ٣) . ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ

١- ملٌ معي الحيوان الميت بالدم وشبهه ، ثم الأكل منه .

٢- ما توجه به صاحبه لغير الله .

٣- التي تموت خنقاً .

٤- التي تضرب بعضاً أو حجر فتموت .

٥- التي تتردى من سطح جبل أو في بئر فتموت .

٦- التي تتطحها بهيمة فتموت .

٧- الفريسة لأي وحش ، ما لم تترك بالذبح وفيها روح (إلا ما ذكيتم)

٨- الذبح عند الأصنام ، والنضح عليها بدم الذبيحة .

لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٰلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٰلٌ

لَهُمْ... ﴿ (سورة المائدة، آية ٥) . إن هذا التحريم الذي نكر في الآيات السابقة له

حكمة ؛ فقد قرر العلم الإلهي أن هذه المطاعم ليست طيبة ، سواء وصل العلم البشري إلى حكمة التحريم أم لم يصل ، فالله جل وعلا لا يحرم إلا الخبائث ، ولا يحرم إلا ما يؤدي الحياة البشرية في جانب من جوانبها ، سواء علم الناس بهذا الأذى أم لم يعلموه ، فلا بد لنا من إمتثال أمره في كل صغيرة وكبيرة في حياتنا ، وهذا هو الدين الحق . (قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ٢ ص ٨٤٠)

هذا وحول تحريم أكل بعض الحيوانات على الإنسان يقول عليه الصلاة

والسلام : " حرم على أمي كل ذي مخلب من الطير ، وكل ذي ناب من السباع ،

والحمر الأهلية ، وخيلها وبغالها . " (داود ، كتاب الأطعمة ، ج ٣ ، ص ٣٥٦)

ويشير عبد الصمد (١٤١٣هـ ، ص ٨٣) : إلى أن علم التغذية قد أثبت ما

روي في الحديث أن الشعوب تكتسب بعض صفات الحيوانات التي تأكلها ؛ لاحتواء

لحومها على سميات ومفرزات داخلية تسري في الدماء ، وتنتقل إلى معدة الإنسان

فتؤثر في أخلاقياته وسلوكياته ، مثل :

١- الشراسة والميل للعنف .

٢- الفوضى الجنسية وانعدام الغيرة على الأهل .

٣- زيادة نسبة حامض البوليك الذي تفرزه أجسام هذه الحيوانات ، فتنتقل

بالتالي إلى جسم من يأكلها .

٤- ارتفاع نسبة الدهون في بعض هذه الحيوانات إلى عشرة أو تسعة أو سبعة أضعاف مما هو لدى لحوم الحيوانات غير المحرمة على المسلم ، وهذا يؤدي إلى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم .

ب- لا يتم تناول شيء لم يذكر اسم الله عليه أثناء الذبح حيث يقول جل من قال :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣١) وَمَا لَكُمْ أَلَّا

تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا

أَضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

بِالْمُعْتَدِينَ ﴾ (سورة الأنعام ، آية ١١٨-١١٩)

ج- الاعتدال في المأكل وعدم تجاوز الحد : ﴿ يَلْبَسِيْءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ

مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة

الأعراف ، آية ٣١) ، وإلى الاعتدال وعدم الإسراف في الأكل يقول عليه الصلاة

والسلام : " ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ،

فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه " . (الترمذي ، كتاب

الزهد ، ج ٤ ، ص ٥١٠) . وكذا حديثه عليه الصلاة والسلام الذي أورده

(الترمذي ، ج ٤ ، ص ٥٦٠) " عندما تجشأ رجل عنده عليه الصلاة والسلام فقال له :

كف عنا جشاءك ؛ فإن أكثر الناس شعباً في الدنيا أطولهم جوعاً يوم القيامة " .

٥ — الالتزام بآداب الطعام ، والتي منها :

١- غسل اليدين قبل الأكل ؛ ذلك أن اليدين تستخدم لأغراض كثيرة ؛ فقد تحمل

الجراثيم التي تنقل مصادر العدوى ، لذا يجب أن يعود الإنسان نفسه على

غسلهما ، عملاً بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام " حين سأله

سلمان ، قال : قرأت في التوراة أن بركة الطعام الوضوء قبله ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه

وسلم ، فقال : بركة الطعام الوضوء قبله ، والوضوء بعده " . (أبي داود ، كتاب

الأطعمة ، ج ٣ ، ص ٣٤٥)

٢ — البسمة عند بدء الطعام ؛ لأن في التسمية بركة تحل على الطعام ، وفي

حديث روته السيدة عائشة رضي الله عنها تأكيداً لهذه البركة التي تحل

على الطعام ، حيث قالت : " كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يأكل طعاماً

في ستة من أصحابه ، فجاء أعرابي فأكله بقمين ، فقال رسول الله ، صلى الله

عليه وسلم : أما إنه لو سمي كفاكم " . وفي حديث آخر أيضاً ترويه السيدة عائشة

رضي الله عنها قالت : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : إذا أكل أحدكم طعاماً

فليقل بسم الله ، فإن نسي في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره " . (الترمذي ، كتاب

الأطعمة ، ج ٤ ، ص ٢٥٤) .

٣- الجلسة الصحيحة عند تناول الطعام ، فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن

الأكل في وضع الانبطاح ، كما نهى عن الاتكاء أثناء تناول الطعام ، حيث

يقول عليه الصلاة والسلام في ذلك " إني لا آكل متكاً " . وقوله : " لا

آكل وأنا متكئ " . (البخاري ، كتاب الأطعمة ، ج ٩ ، ص ٤٥١) . وهذا

ما يشير إليه الطب بأن الجلسة غير الصحيحة في الأكل تجعل الطعام لا

ينحدر في مجاريه سهلاً فيتأذى الإنسان من ذلك ، كما أن هناك أدباً نبوياً

للجلسة الصحيحة عند الطعام وعدم الاتكاء أو الانبطاح ، ألا وهو التواضع

للله ، وإلى ذلك يشير حديثه عليه الصلاة والسلام : " حينما أهديت له شاة ،

فجثى رسول الله عليه الصلاة والسلام على ركبتيه يأكل ، فقال له أعرابي : ما هذه الجلسة ؟

فقال : إن الله جعلني عبداً كريماً ، ولم يجعلني جباراً عنيداً " . (ابن ماجة ، كتاب

الأطعمة ، ج ٢ ، ص ١٠٨٦)

٤ - الأكل باليمين ، ذلك أن الشيطان يأكل بشماله ، وفي هذا تشبه به ، بالإضافة

إلى أن التيامن من مكارم الأخلاق والسيره الحسنه ، وإلى ذلك رغب الرسول

عليه الصلاة والسلام ، في حديثه الذي يقول فيه : " ليأكل احدكم بيمينه ،

وليأخذ بيمينه ، وليأخذ بيمينه ، وليعط بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ، ويشرب بشماله ،

ويعطي بشماله ، ويأخذ بشماله " . (ابن ماجة ، كتاب الأطعمة ، ج ٩ ، ص ٤٣١)

٥ - الأكل مما يلي الإنسان ، ولقد ورد في (البخاري ، كتاب الأطعمة ، ج ٩ ،

ص ٤٣١) شرح أدب الأكل مما يلي الإنسان بأن : كل واحد يعتبر كالحائز

لما يليه من الطعام ، فأخذ الغير له تعد عليه ، مع ما فيه من تقزز النفس مما

خاضت فيه الأيدي ، ولما فيه من إظهار الحرص والنهم . يقول عليه

الصلاة والسلام في حديثه الذي يوضح فيه هذا الأدب في المأكل ، ويندب

إليه في حديث عمر بن أبي سلمة ، يقول : " كنت غلاماً في حجر رسول الله

صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله : يا غلام ،

سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك . فما زالت تلك طعمتي بعد " .

٦ - الاجتماع على الطعام : لما فيه من البركة ، والإحساس بالدفء ، والمشاركة

الاجتماعية ، فيقول عليه الصلاة والسلام حين سئل عن ذلك ، حين

قالوا له : " يا رسول الله : إنا نأكل ولا نشبع . قال : فاعلمكم تأكلون متفرقين ؟ قالوا :

نعم . قال فاجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه " . (ابن ماجة ،

كتاب الأطعمة ، ج ٢ ، ص ١٠٩٣) .

٧ - إنهاء الطعام بحمد الله على ما أفاضه من النعم ، وفي ذلك يروى عن النبي

عليه الصلاة والسلام أنه قال : " من أكل طعاماً فقال : الحمد لله الذي

أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه " (ابن

ماجة ، كتاب الأطعمة ، ج ٢ ، ص ١٠٩٣) .

٨ - غسل الفم بعد الطعام ، وإلى ذلك يشير حديث الرسول عليه الصلاة

والسلام الذي يرويه سويد بن النعمان ، فيقول : " خرجنا مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم . إلى خير ، فلما كنا بالصهباء دعا بطعام فما أتى إلا بسويق فأكلنا ، فقام

إلى الصلاة فتضمن ومضمنا " (البخاري ، كتاب الأطعمة ، ج ٩ ، ص ٤٨٩) . وهذا

أيضاً ما يدعو إليه أطباء الأسنان ، في نصيحتهم بغسل الأسنان والفم بعد كل

وجبة ؛ وقاية من أمراض التسوس وغيرها .

ثانياً : دافع العطش : وهو الدافع الثاني المهم الذي يساعد على بقاء الفرد ، فبدونه لا

يستطيع الإنسان العيش إلا لأيام قليلة ، بينما يستطيع أن يعيش عدة أسابيع بدون طعام .

ولقد أثبتت الدراسات العلمية أن الماء يشكل ثلثي وزن الجسم تقريباً ، أي حوالي ٦٦% من

أعضاء الجسم ، كما أن أغلب التفاعلات الكيميائية التي تحدث داخل الجسم وخارجه تتطلب

وجود الماء . (الشريف ، ١٤١٥هـ ، ص ١٠٣)

والماء يدخل في تركيب أنسجة الجسم بما فيها العظام ، وهو ضروري لحدوث

العمليات الحيوية في الجسم ، مثل : الهضم والامتصاص ، كما يساعد على تخلص الجسم من

الفضلات الزائدة عن حاجة الجسم على شكل عرق أو بول ، فضلاً عن أن له دوراً هاماً في

تثبيت درجة حرارة الجسم ، صيفاً وشتاءً عند (٣٧) درجة مئوية ، أي أنه يعمل بمثابة مكيف

للجسم . (محمد ، ١٤١٦هـ ، ص ١٤٠)

ويقوم دافع العطش بعملية تنظيم وضبط دخول الماء إلى جسم الإنسان ؛ بحيث يحافظ

على نسبة ثابتة منه ، فكلما انخفضت نسبة الماء في جسم الإنسان جفت أنسجة الفم والحلق . هذا الجفاف ينبه الأطراف العصبية التي تؤدي إلى الإحساس بالعطش .

إذا الماء يعني الحياة ، وإلى ذلك أشارت الآية القرآنية الكريمة التي تقول : ﴿ وَجَعَلْنَا

مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾ (سورة الأنبياء ، آية ٣٠) . ويقول جل وعلا في آياته الكريمات

التاليات عن دافع العطش لدى الإنسان : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ

الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ

رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ (سورة البقرة ، آية ٦٠) . وقوله تعالى : ﴿ فَكُلِي

وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ (سورة مريم ، آية ٢٦) .

ولإشباع هذا الدافع وردت آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية فيها أوامر، وتوجيهات،

وآداب يجب الالتزام بها عند عملية إشباع دافع العطش ، من تلك الأوامر والآداب ما يلي :

أ - تحريم شرب الخبائث المحرمة والضارة بالصحة الجسمية والعقلية ، كالخمر

والمخدرات وما في حكمهما ، فيقول جل من قال في ذلك : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي

الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴿٦٢﴾ ﴿

(سورة المائدة ، آية ٩٠-٩١) . ذلك أن الخمر تفقد الوعي ، وتذهب بالعقل ، وفقدان الوعي ينافي اليقظة التي يفرضها الإسلام على قلب المسلم ؛ ليكون موصولاً بالله في كل لحظة، كما أن الذهاب بالعقل منافي للنهوض بالتكاليف المفروضة على المسلم ، إضافة إلى نشوة الخمر التي تجعل من الفرد يبعد في تصوراته عن واقع الحياة وحقاتها ، إلى الأوهام والتصورات المفسدة لحياته ، والإسلام ينكر كل ذلك ، ويسعى إلى تربية إرادة الإنسان وعزيمته القوية، فلا هروب من الواقع، ولا تصورات وتخيلات ، واعمال غير مسئولة . (قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ٢ ، ص ٩٧٧)

ولقد أتم الرسول عليه الصلاة والسلام تحريم حُكم شرب الخمر ببيانه لعقوبة شارب الخمر في الآخرة ، تأكيداً منه وحرصاً على أمته من العقاب ، فيقول عليه الصلاة والسلام : " من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حُرِمَها في الآخرة " . (البخاري ، كتاب الأشرية ، ج ١٠ ، ص ٣٣)

هـ — تحريم الشرب في آنية الذهب والفضة : وفي ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : " الذي يشرب في إناء الفضة إنما يُجرجر^(١) في بطنه نار جهنم " وقال أيضاً : " لا تشربوا في آنية الذهب والفضة " . (البخاري ، كتاب الأشرية ، ج ١٠ ، ص ٩٦)

و — الإرشاد إلى آداب الشرب ، التي وردت في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام

١- يُجرجر : صوت يردده البعير في حنجرته إذا هاج ، أو هو صوت وقوع الماء في الجوف عند شدة الشرب .

والتي منها :

١- نهيه عليه الصلاة والسلام من " أن يُشرب من في السقاء ."

(البخاري ، كتاب الأشربة ، ج ١٠ ، ص ٩٣) . لما قد يقع في إناء حفظ الماء من اللعاب فيعافه الشارب بعد ذلك ، ويتقذره ، كما أنه طريق من طرق انتقال العدوى .

٢- النهي عن التنفس في الإناء أثناء الشرب ، فيقول عليه الصلاة والسلام : " إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء " . (البخاري ، كتاب الأشربة ، ج ١٠ ، ص ٩٥)

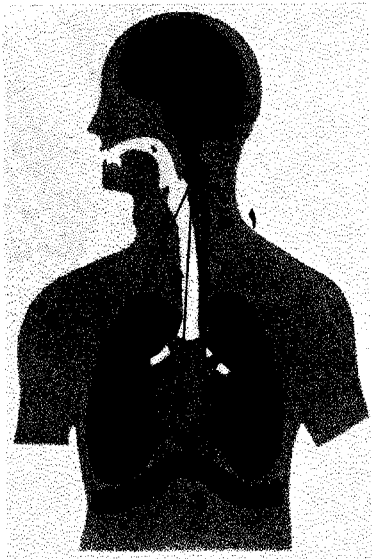
٣ - الشرب بنفسين أو ثلاثة ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي يقول فيه : " أن النبي . صلى الله عليه وسلم . كان يشرب في ثلاثة أنفاس ، إذا أدنى الإناء إلى فيه ، فإذا أخرج حمد الله ، فعل ذلك ثلاثاً " . ويشرح البخاري سبب الشرب بنفسين أو ثلاثة بعد روايته للحديث بأنه : أقمع للعطش ، وأقوى على الهضم ، وأقل أثراً في ضعف الأعضاء ، وبرد المعدة ، ويقول أيضاً : قيل أن شرب الشيطان النفس الواحد . (البخاري ، كتاب الأشربة ، ج ١٠ ، ص ٩٦)

ثالثاً : حاجع التنفس : وينشأ عن حاجة الجسم إلى الأكسجين ، فإذا نقص الأكسجين في

الجسم شعر الإنسان بدافع قوي يدفعه إلى استنشاقه عن طريق التنفس ؛ ذلك أن توقف الإنسان

عن التنفس لمدة (٣) دقائق قد يؤدي إلى تلف حقيقي في المخ ، فيفقد السيطرة على نفسه ، فتتعطل الذاكرة وتضعف الحواس ، وبالتالي قد يحدث الشلل وخاصة في الأرجل . (محمد ، ١٤١٦هـ ، ص ١٤٢)

إن التنفس عملية آلية تتم عندما نكون في حالة اليقظة أو المنام ، وعندما نتوقف عن التنفس لفترة معينة تستيقظ منطقة معينة في المخ دورها مراقبة أعمال الجسم الحيوية ، فتخرج فوراً منبهات عصبية من الحبل الشوكي إلى الحجاب الحاجز^(١) وإلى العضلات بين الأضلاع وتأمرها بالتقلص ، فيكبر حجم القفص الصدري ، وينساب الهواء داخل الرئتين لملاء النقص الذي حدث في عملية التنفس .



- مركز التنفس في المخ .
- ١ - جسم الباني ، يقيس مستوى الأوكسجين بالدم .
- ٢ - رنتان .
- ٣ - قياس مستوى ثاني اكسيد الكربون في الدم .
- ٤ - الحجاب الحاجز .

شكل رقم (٢٥)
يوضح دورة عملية التنفس
المصدر: (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٨)

ويتحرك الحجاب الحاجز حوالي

(١،٥) ملم في عملية التنفس الهادئ،

أما في عملية التنفس العميق

فيمكنه أن يتحرك إلى أسفل

حوالي (٧،٥) ملم . وتتغير كمية

الهواء الذي نتنفسه تبعاً لنوعية النشاط

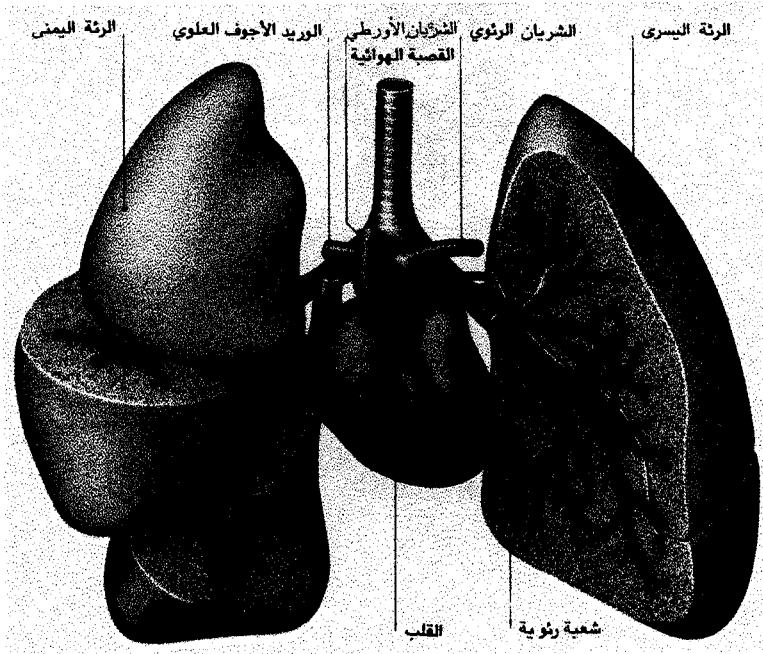
الذي نقوم به ، لكن في المتوسط نتنفس

حوالي (١٠ - ١٤) مرة في كل دقيقة ،

١- الحجاب الحاجز هو شريط قوي مصنوع من طبقات عضلية متقاطعة ، يفصل الحجاب الحاجز الأعضاء الموجودة في القفص

الصدري - القلب والرنتان - عن الأعضاء الموجودة في البطن .

كما أن معدل التنفس وعمقه يتحددان بعملية كيميائية ، فمثلاً عندما نبذل جهداً جسمانياً كبيراً تضاعف العضلات من إنتاج ثاني أكسيد الكربون ، فيبدأ بالتراكم في الدم ، هذا التراكم يميزه مركز المراقبة في المخ ، فيضاعف من معدل التنفس وعمقه ، كما أن هناك جهازاً آخر يقيس أيضاً مستوى الأكسجين في الدم بمساعدة عنصر كيميائي يوجد في العنق ، يقوم بنقل الإشارات العصبية إلى المخ ويأمر بإسراع أو تخفيف معدل التنفس . إذاً فجهاز التنفس لدى الإنسان يعمل مثل مضخة هوائية بسيطة ، يلعب الحجاب الحاجز دور المضخة ذات المكبس ، وتلعب الأضلاع دور الغلاف الخارجي لهذه المضخة .



شكل رقم (٢٦)
يوضح الرئتين واتصالهما بالقصبة الهوائية
المصدر: (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ٨)

وتحتاج كافة الخلايا في الجسم إلى الأكسجين لتستطيع العيش والنمو ، وعليه فيعتبر الجهاز التنفسي أحد أجهزة الحياة الهامة في الجسم ، فهو يضم الرئتين اللتان تتصلان بقنوات هوائية متشعبة تتصل بالفم والأنف ، وتصل للرئتين كمية كبيرة من الدم ، هذه الكمية تشكل نصف

كمية الدم المتدفق من القلب تقريباً إلى الرئتين لجمع الأكسجين . (فارد ، ١٤٠٨هـ ، ص ٨)

وإلى نقص كمية الأكسجين وأثرها على جسم الإنسان ، اشارت الآية القرآنية التي وردت في سورة الأنعام إلى العلاقة بين ضيق الصدر وانشراحه وبين نقصان الأكسجين في الجسم ، وهي حالة نفسية تجسم في حالة حسية ، من ضيق النفس وكربة الصدر ، والتعب عند الصعود إلى الطبقات العليا من الجو ، حيث تقل نسبة الأكسجين حتى تتعدم تماماً ، وهناك يصبح الصدر ضيقاً لا يستطيع فيه الإنسان التنفس (محمد ، ١٤١٦هـ ، ص ١٤٢) .

إن الآية الكريمة التي يقول فيها الحق جل وعلا : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ (سورة الأنعام ، آية ١٢٥) شبيهاً حالة انقباض الصدر وضيقه الذي يحصل لمن لا يدخل الإسلام قلبه ، وأثار حالة الضيق هذه على النفس من عسرة وانقباض ، بمن يصعد إلى السماء وما يشعر به من شدة وكرب . (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج ٢ ، ص ٣٣٩)

وابتغياً : حاجع النوم : ويعتبر النوم استجابة فطرية لإشباع حاجة الجسم إلى الراحة ، وهو لازم لتجديد طاقة الإنسان ، فعندما يعمل الشخص ويبذل جهداً كبيراً في نشاطه اليومي ، يشعر بالحاجة إلى الراحة ، وإذا حصل عليها عاد إليه اتزانه الداخلي ، وبالتالي يسترد نشاطه وحيويته.

والذين يرهقون أجسامهم بكثرة العمل ، مع قلة الخلود للراحة والنوم يكونوا أكثر عرضة للمرض الجسدي والنفسي ، ولقد ثبت أنه إذا استمر الإنسان في حالة اليقظة لمدة (٧٢)

ساعة فإن مناشطه واستجاباته تصبح ضعيفة ، فنقل طاقته الإنتاجية كما نقل قدرته على التركيز جسماً ، وعقلياً ، ويصبح سريع الاستثارة انفعالياً ، غير قادر على التفاعل الاجتماعي بسبب عصبية الزائدة عن معدلها الطبيعي . (عبود و عبد العال ، ١٤١١هـ ، ص ٣٨٣)

وكما يؤثر النوم على الصحة الجسمية والنفسية للإنسان ، فإن الصحة النفسية هي أيضاً تؤثر على النوم ؛ فالشخص المتمتع بصحة نفسية نجده ينام نوماً عميقاً ، ويأخذ قسطاً كافياً من الراحة ، ويستيقظ منشرح الصدر ، بينما الشخص المضطرب والذي يعاني من حالة توتر ، أو قلق ، أو خوف ، أو غضب ... ، نجده لا يحصل على الراحة الكافية أثناء نومه ، فيكون نومه متقطعاً خفيفاً ، فيستيقظ خاملاً ، كسولاً ، مكتئباً ، ليست لديه القدرة على مزاولة نشاطه اليومي ، الأمر الذي يضعف إنتاجيته ، وبالتالي يؤثر ذلك على صحته الجسمية والنفسية . (محمد و مرسي ، ١٤٠٦هـ ، ص ٨٤)

وكما ذكر سابقاً بأن النوم استجابة فطرية ، إلا أن الإنسان يتعلم كيف ينام ؟ ومتى ينام ؟ فطريقة النوم التي قد تكون مثلاً على سرير ، أو على الأرض أو غيره ، وكذا النوم مبكراً ، أو متأخراً ، النوم وقت القيلولة ، قلة أو زيادة ساعات النوم عن المعدل الطبيعي ، هذه جميعها تعتبر طرقاً متعلمة ، مكتسبة من البيئة .

وهناك عدد من العوامل التي تؤثر على حاجة الإنسان إلى النوم والراحة ، منها : السن ، الحالة الصحية والمزاجية للفرد ... ، فالأطفال يحتاجون إلى مدة أطول للنوم عن الراشدين ، والمرضى يحتاجون له أكثر من الأصحاء ، هذا ويضيف كلاً من محمد و مرسي (١٤٠٦هـ ، ص ٨٤) إلى أن الدراسات بينت عدد الساعات التي يحتاجها الإنسان للنوم ، بحسب اختلاف

مراحل النمو التي يمر بها ، وهي كالتالي :

— في مرحلة الحضانة ينام الطفل يومياً من ١٨ — ٢٠ ساعة .

— في مرحلة ما قبل المدرسة يجب أن ينام الطفل من ١٠ — ١٤ ساعة .

— في المرحلة الابتدائية من ١٠ — ١٢ ساعة نوم .

— في المرحلة المتوسطة من ٩ — ١١ ساعة نوم .

— في المرحلة الثانوية من ٧ — ١٠ ساعة نوم .

— في مراحل الحياة التالية من ٦ — ٩ ساعة نوم .

إذاً يتبين لنا مما سبق أن الطفل حديث الولادة يحتاج إلى ساعات أطول للنوم ، وتقل عدد ساعات نومه كلما زاد عمره الزمني ، إلى أن تستقر عدد ساعات النوم التي يحتاجها الإنسان العادي تقريباً ، فتصل في المتوسط إلى سبع ساعات يحتاجها يومياً للنوم ، أي أن العلاقة عكسية بين التقدم في مراحل العمر وبين ساعات النوم ، فنرى مما ذكره (محمد و مرسي) حول ساعات النوم ومراحل النمو عند الإنسان ، والتي حدداها بمراحل التعليم المختلفة. أي أن كل مرحلة تعليمية وعملية تقابلها مرحلة من مراحل النمو الزمني عند الإنسان تتمثل في التالي:

— مرحلة الرضاعة سني المهد تقابل مرحلة الحضانة .

— مرحلة الطفولة المبكرة تقابل مرحلة رياض الأطفال ، وتبدأ من (٢ — ٦)

سنوات .

— مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة تقابل المرحلة الابتدائية ، وتبدأ من (٦ —

(١٢) سنة .

— مرحلة المراهقة المبكرة والمتوسطة تقابل مرحلتي الإعدادية والثانوية ، وتبدأ

من (١٢ — ١٧) سنة .

— مرحلة المراهقة المتأخرة تقابل المرحلة الجامعية ، وتبدأ من (١٧ — ٢٢) سنة.

— مرحلة الرشد واكتمال النضج ، تقابل سنوات العمل ، وتبدأ من (٢٢ — ٦٠)

سنة .

— مرحلة الشيخوخة ، وتقابل سن التقاعد عن العمل ، وتبدأ من (٦٠) وحتى نهاية

حياة الإنسان (الممات) . (عقل ١٤١٥هـ ، ص ٨٧) .

وبالمزاوجة بين مراحل التعليم المختلفة ، وعدد ساعات النوم التي حددها مسبقاً كل من

(محمد ومرسي ، ١٤٠٦هـ) ومراحل النمو الإنساني التي نكرها (عقل ، ١٤١٥هـ) نستطيع أن

نصل إلى العلاقة العكسية بين التقدم في العمر الزمني للإنسان ، وقلة ساعات النوم التي يحتاجها

يوميةً .

وترى الباحثة أنه بالنظر إلى هذه العلاقة العكسية وربطها بتكاليف الإسلام ، يتضح أن

عملية التدريب على التكليف في الإسلام تبدأ في سن السبع سنوات كما في الصلاة ، وكذلك

التدريب على الصيام قبل مرحلة البلوغ ، وهذا يدل على أن الجسم قبل تلك المرحلة يكون غير

مهياً لتحمل مشقة التكليف ، فهو يحتاج إلى الراحة لمدة طويلة ، ثم مع التدريب في سن

السابعة، واقتطاع أوقات الراحة تزداد ساعات العمل المطلوبة لأداء التكليف ، إلى أن تصبح

ساعات إجبارية فيها حساب وجزاء وعقاب في سن البلوغ أو ما يسمى بسن التكليف ، فتقل

عندئذ تدريجياً ساعات الراحة وتزداد ساعات العمل ، وزمن القيام بحق الطاعات والعبادة المناطة بالإنسان المسلم ، وهكذا نقيس عليها بقية التكاليف ونفسرها بالعلاقة العكسية المشار إليها سابقاً .

هذا ولقد جعل رب العزة والجلال الليل سكناً للإنسان يخد فيه للراحة والنوم، حيث تسكن جميع مخلوقاته جل وعلا ، وإلى ذلك تشير الآيات الكريمة التالية التي تقول : ﴿

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ ﴾ (سورة النبأ،

آية ٩- ١١) . وفسر الرازي (د.ت ، ج ١٦) السُّبَات : بأنه النوم المتقطع لا الدائم ، والذي يكون بمقدار حاجة الجسم إليه، يكون أنفع من النوم المتواصل الذي يضر بالجسم ، فالإنسان إذا تعب نام ؛ فيزيل عنه ذلك النوم التعب ، لذا سمي سبباً أي قطعاً للتعب ، وجعل ذلك القطع في الليل الذي أشير إليه باللباس مجازاً ، فاللباس (الملابس) يزيد من جمال الإنسان ، وكذا يدفع عنه أذى الحر والبرد . وكذا لباس الليل الذي يحصل فيه النوم حيث يزيد في جمال الإنسان نتيجة لراحته ، فتزداد طراوة أعضائه ، وتتكامل قواه الحسية والحركية ، ويذهب عنه أذى التعب الجسمي والنفسي ، الذي يحدث للإنسان أثناء النهار ، والذي أشارت إليه الآية بالمعاش أي التقلب في الحوائج والمكاسب الدنيوية والأخروية .

كما دلت توجيهات النبي عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ، إلى ضرورة توفير السكن والطمأنينة النفسية عند لجوء الإنسان إلى مضجعه ، هذه السكينة تأتي عن طريق مجموعة من الأدعية والأنكار ، تقرب الإنسان من الله عز وجل ، وتجعله يسلم زمام أمره إلى خالقه ، متوكلاً عليه ، طالباً إياه جل وعلا المغفرة ومحو ما ارتكبه من أخطاء خلال يومه ،

فينام قريراً ، هاديء البال من كل ما يقلقه ، ويقطع عليه لباس الليل ، فإذا حصل هذا النوم الهادئ استرخى جسم الإنسان وارتاحت نفسه ، فينهض في يومه التالي بكامل نشاطه وقوته ؛ ليؤدي ما كلف به في قوة وهمة عالية ، من هذه التوجيهات التي وردت في أقواله وأفعاله عليه الصلاة والسلام :

قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل : اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وأجأت ظهري إليك ، آمنت بكابك الذي أنزلت ، وبنيك الذي أرسلت ، فإن مت مت على الفطرة ، فاجعلن آخر ما تقول " . (البخاري ، كتاب الدعوات ، ج ١١٢ ، ص ٨٠)

أيضاً ما روي عن طريقة نومه عليه الصلاة والسلام فقيل : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول : اللهم باسمك أموت وأحيا ، وإذا أستيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا ، وإليه النشور " . (البخاري ، كتاب الدعوات ، ج ١١ ، ص ١١٨) . وهذا حديث السيدة عائشة رضي الله عنها ، الذي تقول فيه : " أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان إذا أخذ مضجعه نث في يديه ، وقرأ بالمعوذات ، ومسح بهما جسده " . (البخاري ، ، كتاب الدعوات ، ج ١١ ، ص ١٢٩) . وكذا في قوله صلى الله عليه وسلم : " إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخله إزاره ، فليتنفض بها فراشه ، وليسم الله فإنه لا يعلم ما أخفاه بعده على فراشه ، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن " . (مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، ج ٨ ، ص ٧٩)

من الأحاديث النبوية السابقة يمكن إستنباط عدة توجيهات تختص بالنوم ، يستحب على المسلم القيام بها ، هي :

أ - الوضوء عند إرادة النوم ، وهذا هو حال المسلم الحق الذي عليه الالتزام بالطهارة والنظافة عند كل عمل ، وأيضاً مخافة أن يموت الإنسان في ليلته فإن نام على طهارة ، مات عليها . وكذا الطهارة تؤكد صدق الرؤيا أثناء المنام ، كما أنها تبعد الإنسان عن تلاعب الشيطان به في منامه وترويجه له .

ب - النوم على الشق الأيمن ؛ لأنه عليه الصلاة والسلام كان يحب التيامن ، ولما للاضطجاع على الجانب الأيمن من فوائد ، منها كون الإنسان أسرع إلى الانتباه حينما يكون مضطجعاً على جانبه الأيمن ، كما أن النوم على الجانب الأيسر يضر بالقلب ويضيق النفس ، وهذا ما أثبتته الدراسات الطبية .

ج - جعل خاتمة أعمال الإنسان ذكر الله تعالى ، واللجوء إليه والتوكل عليه ، فتطمئن النفس الإنسانية وتهدأ في نومها .

د - مسح الفراش قبل النوم عليه ، على أن تكون يد الإنسان مستورة بإزار خوفاً من وجود ما يؤذي .

خامساً : دافع الجنس : على الرغم من أن الحاجة الجنسية فطرية عند الإنسان ؛ فإن إشباعها يتم بسلوك متعلم ، يختلف من مجتمع إلى آخر ، ومن زمن إلى آخر باختلاف العقائد الدينية ، لذا يحرص الآباء والمربون على إكساب أبنائهم السلوك المقبول لإشباع هذا الدافع من

خلال عملية التنشئة . (حمزة ، ١٤٠٣هـ ، ص ٧٨)

وهناك عاملان يعملان على استثارة الدافع الجنسي لدى الإنسان ذكرهما كل من

عس و توك (١٤٠٧هـ ، ص ١٣٨) ، هما :

١ - عامل داخلي : يتمثل في هرمونات الغدة النخامية الموجودة أسفل المخ ؛ فقد

تبين أن هرمونات هذه الغدة تعمل على تنبيه الغدد التناسلية ، وتدفعها إلى

إفراز هرمون الجنس .

٢ - عامل خارجي - بيئي - : يتمثل في ظروف التنشئة الأسرية ، وثقافة

المجتمع ، وقيمه ، ومعتقداته .

وعليه فإنه تجنباً لعامل الاستثارة البيئي لهذا الدافع أكد الإسلام على ضرورة الأخذ بعدد من

الاعتبارات يجب تحقيقها في حياتنا اليومية ، منها ما يلي :

أ - الأمر بالاستئذان عند الدخول إلى المنازل ، مع تحديد سن الاستئذان ببلوغ الحلم ؛

ففي المنزل تتكشف العورات ، ورؤية من بلغ الحلم لهذه العورات فيها استثارة لشهوات النفوس ،

والقرآن الكريم يضع علاجاً وقائياً يمنع هذه الاستثارة ، فيقول جل من قائل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن

قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِنَ الْبُعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ

لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوْفُوتٌ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا

كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

(سورة النور ، آية ٥٨ - ٥٩) .

هـ - المطالبة بغض البصر ، بعد الانتهاء من الاستئذان عند الدخول على البيوت ،

وهذا إجراء وقائي وأدب نفسي ، ومحاولة للاستعلاء على الرغبة ، وإغلاق للنافذة الأولى من

نوافذ الفتنة والغواية ، من أجل إقامة مجتمع نظيف لا تستثار فيه الشهوات (قطب ، ١٣٩٨ هـ - ،

ج ٤ ، ص ٢٥١٠) . وفي ذلك يقول جل وعلا : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ

أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّبِيعِينَ غَيْرِ أُولَى الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ

عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٥٩﴾ (سورة النور ، آية ٣١) .

ج - التفريق بين الأولاد في المضاجع ، أي بين الإخوة الفتيان والفتيات ، وتلك

وقاية نبوية يجب اتباعها منعاً ، وإعاقة للعامل البيئي المشار إليه ، هذه الوقاية تمثلت في حديثه

عليه الصلاة والسلام الذي يأمر بالتفريق بين الذكور والإناث من الإخوة في أماكن النوم إذا قاربوا سن البلوغ ، " مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع " . (داود ، كتاب الصلاة ، ج ١ ، ص ١٣٣)

ط — على الأم أو الأخوات المسلمات أن لا يتعرين أمام أبنائهن وإخوانهن باللبس الفاضح وغير المستور ، ويستتل على ذلك ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما " أنه كان إذا بلغ بعض ولده الحلم لم يدخل عليه إلا بإذن " وأيضاً " سؤال رجل لحذيفة : أستاذن على أمه ؟ فقال : إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره " . وأيضاً : " سئل ابن عباس السؤال التالي : " أستاذن الرجل على أخته ؟ فقال : نعم ، فقال له السائل : إنها في حجري ، قال : أتحب أن تراها عريانة " (مسلم ، كتاب الاستئذان ، ج ١١ ، ص ٢٧) .

ولما لإلحاح هذا الدافع الجنسي من تأثير كبير على السلوك الإنساني سويماً كان أم منحرفاً . فقد نظم الإسلام وسيلة إثباعه ، ألا وهي (الزواج) وبيّن ما لهذه الوسيلة من حقوق وواجبات ، وحد لها الحدود ؛ لتسير سفينة الإنسان المسلم سيراً راضياً لا يُسمع فيها لاغية . هذا الزواج يحقق عدداً من الوظائف لهذا لإنسان ، والمجتمع المسلم ، والأمة المسلمة ، من هذه الوظائف أنه :

أ — تطبيق من تطبيقات السننية الإلهية التي يجب أن تقوم على وجه الأرض ، من هذه السننية (الزوجية) التي تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض . (قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ٦ ، ص ٣٣٨٥) . والي ذلك تشير الآية الكريمة التي يقول فيها الحق جل وعلا: ﴿ وَمِنْ كُلِّ

شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ (سورة الذاريات ، آية ٤٩) .

٢ - تحقيق سنة محكمة البنيان وطيدة الأركان ، هذه السنة أشار إليها الرسول عليه الصلاة والسلام على أنها من سنن المرسلين عليهم السلام في حديثه الذي يقول فيه : " أربع من سنن

المرسلين : الحياء ، والتعطر ، والسواك ، والنكاح " . (الترمذي ، كتاب النكاح ، ج ٣ ، ص ٣٩١)

٣ - تحقيق مشيئة الله تعالى في تعميم الأرض والخلافة فيها ، وإلى ذلك تشير الآية

الكريمة التي يقول فيها عز وجل : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾

(سورة هود ، آية ٦١) .

٤ - تحقيق وظيفة تربية ، تكمن في التحصن وترقية النوع الإنساني ، هذه الترقية التي تفرق

بين الإنسان والحيوان في تحقيق هذه الوظيفة ؛ فالحيوان والإنسان يتناسلان ليتكاثرا

ويحافظا على بقاء النوع ، لكن التكاثر لدى الإنسان يقوم على أسس دينية ، تربية ، إلى

أن يرث الله الأرض ومن عليها (زريق ، ١٤٠٨هـ ، ص ٣٣) . وإلى هذا التكاثر أشار

حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي قال فيه : " تزوجوا فإنني مكاثركم الأمم " (ابن ماجه ،

كتاب النكاح ، ج ١ ، ص ٥٩٢)

٥ - تحقيق وظيفة اجتماعية ، تتمثل في بناء الأسرة ، والأسرة تتكون من مجموعة أفراد ،

يرعى كل فرد منهم مصلحة أسرته ، وبالتالي مصلحة المجتمع ، باعتبار أن الأسرة

مجتمع صغير داخل المجتمع الكبير ، وإذا صلح المجتمع صلحت الأمة ، (يالجن ،

١٤٠٨هـ ، ص ٥) . ولقد ورد ذكر الوظيفة الاجتماعية للزواج في القرآن الكريم في قوله

سبحانه وتعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (سورة النساء ، آية ١) . ففي الآية إشارة إلى تكوين الأسرة من

زوجين ، ثم الأبناء ذكورا وإناث ، ثم تتضاعف الوشائج فتصل إلى الأرحام ، ثم المجتمع .

(قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ١ ، ص ٥٧٤)

٦- تحقيق وظيفة نفسية ، تتمثل في السكن والطمأنينة ، والراحة النفسية ، حيث تنشأ من تلك

الطمأنينة عواطف المحبة ، والرحمة ، والمودة بين الزوجين ، هذه الصلة فيها سكن للنفس

والعصب ، وراحة للجسم والقلب ، واستقرار للحياة والمعاش ، وأنساً للأرواح والضمائر ،

واطمئنانا للرجل والمرأة ، كما يلبي هذا السكن دافع فطري آخر هو دافع الوالدية .

فيعمل كل من الوالدين ضمن اختصاصه من رعاية للجيل الجديد ، وكسب للمال ، وحماية

للأسرة من عوادي الزمن ، وتثمر هذه الرعاية بإنشاء أولاد صالحين مسلمين وبالتالي

جيل مسلم . (علوان ، ١٤٠٦هـ ، ج ١ ، ص ٣٥) و (قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ٥ ، ص ٢٧٦٣)

وفي ذلك يقول جل من قال : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴿

(سورة الروم ، آية ، ٢١) ، ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ

النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ وَالْأَنْعَامَ

وَالْحَرْثَ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿٧٤﴾ (سورة آل عمران،

آية ١٤) ويقول أيضاً عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا

قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (سورة الفرقان ، آية ٧٤) .

كما قال عليه الصلاة والسلام : " إنما الدنيا متاع ، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من

المرأة الصالحة " ، وورد في حديث آخر " الزوجة الصالحة " . (ابن ماجه ، كتاب النكاح ، ج ١ ، ص ٥٩٦)

V — تحقيق وظيفة صحية ، ففي حالة شيوع إشباع الغريزة الجنسية فإنه تهدد صحة الفرد ،

وبالتالي سلامة المجتمع وصحته ، الأمر الذي يؤدي إلى انتشار ما أشارت إليه آيات

القرآن الكريم بالفاحشة من مثل : الزنا ، اللواط ، السحاق ... ، هذه الفواحش إذا ما

ارتكبت ؛ تؤدي إلى ما كشفت عنه نظريات الطب الحديثة . من أمراض خطيرة ،

كالإيدز ، والزهري ، وغيرهما من أمراض يقضى عليها وعلى انتشارها بالزواج .

ولتحقيق هذه الفوائد المشار إليها من أمن ، وسلامة صحية ، نفسية ، واجتماعية ،

وتربوية ، فقد ضبط الإسلام ووجه هذه الغريزة ، التي لم يحقرها كما فعل بعض علماء الغرب ،

ولم يطالب بكبتها كما تطلب بعض نظريات علم النفس الحديثة ، كما أنه لم يجعل طرق إشباعها

مباحة بكل الوسائل ، بل وضع ضوابط وتوجيهات لهذه الطرق ، مستخدماً أساليب الإثابة

والعقاب مرة ، والتشويق والتفجير مرة أخرى ... ، وستشير الباحثة هنا إلى بعض من هذه

التوجيهات التي ترغب في الزواج وتحبب فيه ، والتي تنفر من إشباعه بالطرق المحرمة ، مع بيان الحد الذي يجب أن يقام على الإنسان إذا ما ارتكب ذلك الخطأ :

أ - الإشارة إليه على أنه سكن وطمانينة ، وأمن ، ورحمة ، ومودة . وذلك في

قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا

لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا... ﴾ . وقوله جل من قال : (سورة الأعراف ، آية ١٨٩) ﴿ وَمِنْ

آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ

مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الروم ، آية

. (٢١)

هـ - الإشارة إليه على أنه متاع وترويح للنفس وفي ذلك يقول رب العزة والجلال :

﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ

لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا

أَسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا

تَرَاضِيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة

النساء ، آية ، ٢٤) . وإلى نوعية ذلك المتاع يشير النبي عليه الصلاة والسلام

فيقول : " إنما الدنيا متاع ، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة " . (ابن ماجه ،

كتاب النكاح ، ج ١ ، ص ٥٩٦)

ج - جعل الشرع في إشباع هذه الغريزة عن طريق الزواج أجر ، ويستدل على ذلك

بحديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه : " ولك في جماع زوجتك

أجر ، قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ، قال : أرأيتم لو أشبعها من

حرام أكان عليه وزر ، قالوا : بلى ، قال : كذلك إذا وضعها في حلال " . (مسلم ، كتاب

النكاح ، ج ٤ ، ص ١٢٨)

د - تحديد من أبيح الزواج بهن ، من مثل ما أشارت إليه الآيات الكريمة التالية

التي يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ

النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ

عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ

وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ

وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم

بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ

أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ

سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ (سورة النساء ، آية ٢٢ - ٢٣) .

هـ - وجوب تحري الحلال والحرام في طرق إشباع هذه الغريزة ؛ وذلك بالبعد عن

الزنا ، واللواط ، والسحاق ، ولذا فرضت العقوبة على مرتكبيها دون تهاون

أو تسويف ، حيث يقول جل وعلا : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ

مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ (سورة النور ،

آية ٢) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا

سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن

دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٦٩﴾ (سورة الأعراف ، آية ٨٠ -

(٨١) .

وإلى بعض من تلك الحدود وآدابها يشير حديث الرسول عليه الصلاة

والسلام الذي يقول فيه : " من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به " .

(الترمذي ، كتاب الحدود ، ج ٤ ، ص ٤٧) . كما يقول عليه الصلاة والسلام " لا

ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة ، ولا يفضي الرجل إلى الرجل

في الثوب الواحد ، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد " . (الترمذي ، كتاب

الأدب ، ج ٥ ، ص ١٠١)

✽ — الاستعفاف والضبط لمن لا يستطيع إشباع هذه الغريزة بالطرق المباحة شرعاً،

وفي ذلك يقول عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ

نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١٠﴾ (سورة النساء ،

آية ٣٣) . وكذلك يقول صلى الله عليه وسلم : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة

فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " . (البخاري ، كتاب النكاح ،

ج ٩ ، ص ١٠)

ويقول المطرودي (١٤١٣هـ ، ص ٢٧٤) أن للصوم فوائد كثيرة منها

إحساس الإنسان بمراقبة الله عز وجل له ، فيطمئن لتلك المراقبة التي تمنحه

الرضا والسعادة لأوامر الله ، ويجتنب معاصيه ، كما أن الصوم يعمل على

إضعاف هذا الدافع ؛ لأنه يستنفذ الطاقة الجسمية المخزونة ، ويكون دافع

الجوع هو الأقوى إلحاحاً من الدافع الجنسي ، فينشغل الإنسان عن التفكير في

هذا الدافع .

سادساً : دافع الوالدية : يعتبر هذا الدافع من الدوافع الفطرية الذي شاعت فيه مشيئة الله

جل وعلا أن يكون وجوده فطرياً لدى الرجل والمرأة على حد سواء ، مع اختلاف وتفاوت

درجة الوجود هذه عند الرجل منها لدى المرأة ، ومن شخص إلى آخر ، أي أن المقدار يتفاوت

بين الناس .

هذا الوجود الفطري لدافع الوالدية يحقق مشيئته عز وجل وحكمته في بقاء النوع

الإنساني ، والاضطلاع بمهام الرسالة المكلف بها الإنسان ؛ لذا نجد الأم تتحمل مشاق الحمل والولادة والرضاع عن رضا وقناعة وحب . (نجاتي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٨)

وكذلك الأب فإنه يتحمل مشاق العمل والكدح على أبنائه من أجل توفير السكن المريح ، والمأكل النظيف ، والملبس ... إلى أن يصبحوا قادرين على رعاية أنفسهم .

ويرتكز دافع الوالدية على شبكة من العلاقات الإنسانية الفردية والاجتماعية ، والدنيوية والأخروية ، ويعتمد عليه علاقة النسب الوراثي ، كما يتوثق تطبيقه بوحدة العقيدة . (عبد الجابر ، ١٤١٠هـ ، ص ١٢٠)

ولحسن تطبيق هذا الدافع فقد جاءت توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية توضح طرق ووسائل إشباع هذا الدافع ، وكيفية التعامل معه ، من هذه التوجيهات والإرشادات :

أ - الإشارة إلى أن الأبناء قررة أعين آبائهم ، يسر الفؤاد بمشاهدتهم ، وتبتهج النفس

بمحادثتهم ؛ لأنهم زينة الحياة الدنيا ، قال تعالى : ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ

وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ

ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿٤٤﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٤) .

وقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا

لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ (سورة الفرقان ، آية ٧٤) .

ويفسر قطب (١٣٩٨هـ) كلمة زين للناس إلى أن هذه الزينة من الدوافع الفطرية

الطبيعية المكلف بها الإنسان من خالقه عز وجل ؛ لتؤدي للبشرية دوراً أساسياً في حفظ الحياة ،

وامتدادها ، ونموها ، واطرادها ، فحب البنين شهوة مستحبة مستلذة ، لا مستقنرة ولا مكروهة ، لكن على الإنسان المسلم تحقيقها في غير إستغراق^(١) ولا إغراق^(٢) لأن ما عند الله من متاع خير وأحسن من ذلك الاستغراق . ص ٣٧٣

كما يفسر الرازي (د.ت ، ج ٢٤) كلمة قرة أعين بأنها مصادفة الفؤاد لما يحبه ، فيحصل الرضا والسرور بتلك المصادفة ، ويقول في وجه من أوجه شرح هذه الآية : أن المؤمنين سألوا أزواجاً ونزيرة في الدنيا يشاركونهم ، فأحبوا أن يكونوا معهم في التمسك بطاعة الله عز وجل ، وبذلك يقوى طمعهم في الحصول على الجنة ، ويتكامل سرورهم في الدنيا بهذا الطمع في الآخرة ، بلحوق أزواجهم ونزيرتهم بهم في الجنة . ص ١١٤

هـ — التحذير من الافتتان بالأولاد ، إلى الدرجة التي تبعد عن طاعته وتكون ملهاة عن ذكره عز وجل ، فيكونون دافعاً للتقصير في تبعات الإيمان ، عندما يسعى الوالدان في توفير الأمن والقرار والمتاع والمال للأبناء ؛ لذا أثارت الآية انتباه الوالدين وحذرتهما من البعد عن طاعة الله جل وعلا . (قطب ، ١٣٩٨ هـ ، ج ٦ ، ص ٣٥٨٩)

فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

(سورة التغابن ، آية ١٥) ، وإلى تلك الفتنة أشار سيد البشرية محمد ابن عبد الله عليه الصلاة والسلام محذراً في قوله : " فتنة الرجل في أهله وماله وجاره ، تكفرها الصلاة والصيام والصدقة " .

(البخاري ، كتاب الصوم ، ج ٤ ، ص ١٣٢) ويروى له حديث آخر صلى الله عليه وسلم : " أنه كان

١- الإشتغال واللهو عن الشيء .

٢- الغلو والإفراط وتجاوز الحد .

يخطب إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ، ثم قال : صدق الله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما " . (الترمذي ، كتاب المناقب ، ج ٥ ، ص ٦١٦)

ج — أن يكون الوالدان قنوة صالحة للأبناء ، في طاعة الله ، واتباع ما أمر به جل وعلا واجتباب ما نهى عنه وزجر ، وإلى ذلك تشير الآية الكريمة التالية : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ . (سورة الطور ، آية ٢١)

ومن أوجه تفسير الرازي (د . ت ، ج ٢٨) لهذه الآية : أن الولد الصغير إذا وجد في والده الأبوة الحسنة ولم يجد العكس ؛ يلحق الله الولد بالوالد في الإسلام في دار الدنيا عند الصغر ، لكن إذا كبر الولد استقل فإن كفر ينسب إلى غير أبيه ، أي إنه بوجود الإيمان لدى الأب وكونه القنوة الصالحة يصير ولده من أهل الجنة ، بدليل أن الأب إن ارتكب كبيرة أو صغيرة لا يعاقب عليها الابن ، وربما يدخل الجنة الابن قبل الأب ، لكن العكس يحدث إن ارتكب الابن إثما ، بدليل أن من أسلم من الكفار حكم بإسلام أولاده ، ومن ارتد من المسلمين لا يحكم بكفر ولده . ص ٢٥٠-٢٥١

من هنا أتى حض الإسلام على اختيار الزوج والزوجة الصالحة ، تمثل ذلك في أمره عليه الصلاة والسلام بالاختيار في الزواج فقال : " تخيروا لنطفكم أنكحوا الأكفاء أنكحوا إليهم " . (ابن

ماجة، كتاب النكاح ، ج ١ ، ص ٦٣٣ .

وكننتيجة من نتائج القدوة الصالحة للوالدين ، يكون الابن صالحاً ، وصلاح الابن يمتد إلى الوالدين إلى ما بعد وفاتهما ، حيث يقول عليه الصلاة والسلام في ذلك : " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ، علم يُنتفع به ، أو صدقة تجرى له ، أو ولد صالح يدعو له " (الدارمي ، المقدمة ، ج ١ ، ص ١٠١)

سابعاً : دافع التملك : هذا الدافع غريزة فطرية لدى الإنسان ، يثير هذه الغريزة الحاجة إلى الطعام ، والشراب ، والأولاد ... فينزع الإنسان إلى حيازة وتملك ما يسد به هذه الحاجات ، ويشبع هذه الدوافع عن طريق تملك مشبعات هذه الحاجات من مال ومتاع ، وذهب وفضة ، ونساء وبنين ، وإلى ذلك تشير الآيات القرآنية التي يقول فيها جل من قال : ﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٤) . وقال جل من قال : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (سورة العاديات ، آية ٨) .

ولقد فسر كل من الرازي (د . ت ، ج ٣٢) وقطب (١٤٠٧ هـ ، ج ٦ ، ص ٣٩٥٨) الخير بأنه المال ، وحب فطرة وطبع في الإنسان ، مالم يخالط قلبه الإيمان ، فيغير من تصوراته وقيمه وموازنه حول حب التملك ، ويحيله إلى قيم حقيقية عليا في الجمع وفي الإنفاق . ودافع التملك من أشد الدوافع الفطرية الميسرة للاكتساب حاجة إلى التنظيم والتوجيه ؛

لأنه من الدوافع الفردية الاجتماعية في وقت واحد ، حيث يعمل على إشباع وتغذية معظم الدوافع الجسمية والروحية الموجودة لدى الإنسان والمجتمع ، فتحدث التداخلات أثناء الإشباع بين إعراض الفرد وحاجته إلى ما أشارت إليه الآيات القرآنية السابقة من جهة ، وبين حاجات المجتمع من جهة أخرى . (عبد الجابر ، ١٤١٠هـ ، ص ١٣٣)

والإسلام يضبط وينظم هذا التداخل ويوجهه ، فيعترف بحق النفس في جمع المال وحب التملك؛ لأن ذلك طبيعة بشرية ، لكن هذا الاعتراف لا يعني أن ينصرف الإنسان إلى إشباع هذا الدافع بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة من سرقة ونهب وغش وتفتير وبخل ، بل وجهه إلى جمع المال بالمجالات المشروعة المباحة ، ثم فرض عليه فيه حق يدفعه إلى مصارف معينة، وندبه إلى ذلك في مواقف أخرى . (المقري ، ١٤٠٩هـ ، ص ٨٣)

ومن توجيهات القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة لهذا الدافع ما يلي :

أ - الاعتراف بوجود هذا الدافع لدى الإنسان ، وعدم محاربته ، فيقول سبحانه

وتعالى : ﴿ أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ

عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (سورة الكهف ، آية ٤٦)

فالمال والبنون أشارت إليهما الآية على أنهما زينة لا قيمة ، والإسلام لا

ينهى عن المتاع بالزينة في حدود الطيبات ، فلا يوزن بهما الناس ، ولا

يقدروا على أساسهما في الحياة الدنيا ، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات

من الأعمال والأقوال والعبادات التي تنتج عن ثمار هذه الزينة . (قطب ،

١٤٠٧هـ ، ج ٤ ، ص ٢٢٧٢)

ويشير حديث الرسول عليه الصلاة والسلام إلى وجود دافع حب المال والتملك لدى الإنسان الذي يقول فيه: "يكبر ابن آدم ويكبر معه اثنتان:

حب المال ، وطول العمر". (البخاري ، كتاب الرقاق ، ج ١١ ، ص ٢٤٣)

بجـ - إضافة الأموال التي تشبع دافع التملك لدى الإنسان إلى الله عز وجل مرة

وإلى الناس مرة أخرى ، وهذا نوع من أنواع تهذيب النفس وضبطها في عملية جمع المال ، وإنفاقه ، أو الشح فيه ، فهو متوقف على رزق الله سبحانه وتعالى ، كما هو متوقف على سعي الإنسان في الأرض ووسائل كسبه فيه ، من هذه الآيات قوله عز وجل : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (سورة المائدة ، آية ١٢٠) ﴿

وَلَيْسَتَعْفِيفِ الدِّينِ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ

يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا

وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْنَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيِّبْتُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ

أَرَدْنَ مُحْصَنَاتٍ لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ

إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة النور ، آية ٣٣) ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ

وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ (سورة الحديد، آية ٧) .

ج - وجوب تحري الحلال في وسائل كسب المال ، عن طريق البيع ، والهدية ،

والهدية ، والتجارة ... وفي ذلك يقول عز وجل : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ

مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ (سورة البقرة ، آية ٢٧٥) . ويقول جل

من قال : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ إِلَّا

أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ

رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ (سورة النساء ، آية ٢٩) . ويقول رب العزة والجلال : ﴿وَيْلٌ

لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ

وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٥﴾ (سورة المطففين ، آية ١- ٣) .

د - الإشارة إليه على أنه ابتلاء مرة ، وجزاء مرة أخرى ؛ وذلك تنبيه للإنسان كي

لا يطغى إن أصابته النعمة والخير الكثير ، ولا يقنط إن حرم منها ، ولا ينسى

شكر الله عز وجل في كلتا الحالتين، وفي ذلك يقول جل من قال : ﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ

بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ (سورة البقرة ، آية ١٥٥) .

ولنا في قصة الرجلين والجنيتين نموذجان واضحا من الابتلاء ؛ الرجل
الثري الذي أثمرت جنتاه ، فامتلاً بطراً واختال غروراً وتعالى على صاحبه
الفقير بما امتلك في جنتاه ، ونسي الله وشكره ، فأنت النتيجة أن تحول النماء
والازدهار إلى نمار وبور ، وتحول البطر والاستكبار إلى الندامة والأسف .

(قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ٤ ، ص ٢٢٧)

ويقول الحق جل وعلا في آياته الكريمة عن تلك القصة التالي : ﴿ وَأَضْرِبْ

لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَحَفَقْنَهُمَا بِنَخْلٍ

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿١٥٦﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ

شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَلَهِمَا نَهْرًا ﴿١٥٧﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿١٥٨﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ

لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿١٥٩﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ

رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأُجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿١٦٠﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا

﴿٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ
 قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنَّ تَرَنُّنًا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٩﴾
 فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ
 فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿١٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ
 طَلَبًا ﴿١١﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِحْ يُّقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَيَّ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ
 خَاوِيَةٌ عَلَيَّ غُرُوشًا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ
 لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿١٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ
 الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٤﴾ (سورة الكهف ، آية ٣٢ - ٤٤) .

هـ — التأكيد على أن الإسلام لا ينتزع من الفرد ما آتاه الله ، ولكنه لا يملك شيئاً
 دون رد بعضه إلى أصله مثل : الزكاة ، الصدقة ، الجهاد بالمال ، تحرير
 رقبة مؤمنة ، فداء الأسرى ، الكفارات ... ، وهذا الرد فيه نماء وزيادة ،
 وتطهير وتنقية لما كسبه الفرد وتملكه ، كما أن فيه من الطاعات والعبادات
 التي تقوي بعضها بعضاً . (عبد الجابر ، ١٤١٠هـ ، ص ١٣٧)

فيقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا
 لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة

البقرة، آية ١١٠) . ويقول تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ

بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة

التوبة ، آية ١٠٣) . ويقول عز وجل : ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ أَطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ

مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ

فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة المائدة ، آية

. (٨٩

وعن عقوبة مانع الزكاة يوم القيامة يقول الرسول عليه الصلاة

والسلام في حديث : " من آتاه الله مالاً . فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له

زبيبان ، يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذ بلهزمتيه . يعني شذقيه . ، ثم يقول : أنا مالك ، أنا كزك .

ثم تلا (ولا يحسن الذين يبخلون) " . (البخاري ، كتاب الزكاة ، ج ٣ ، ص ٣١٥)

ثامناً : دافع العدوان والمقاتلة : وهو سلوك يقصد به المعتدي إيذاء الشخص الآخر أو

تحطيم الممتلكات ، وهو عبارة عن دافع يرتبط مع الإحباط الناجم عن عدم القدرة على تلبية

الحاجات ، فيؤدي العدوان إلى خفض التوتر الناجم عن هذا الإحباط .

والعدوان نوعان :

١- عدوان هجومي : يقصد به إيقاع الأذى ، والألم على الآخرين .

٢- عدوان وسيلي : ويقصد من ورائه الحصول على شيء مرغوب فيه ،

أو تجنب موقف غير مرغوب فيه . (عدس ، توق ، ١٤٠٧هـ ، ص ٢٠١)

كما أورد عقل (١٤١٧هـ) تعريفاً للسلوك العدوانى أيضاً بأنه : استجابة غير سوية

تهدف إلى إيذاء الآخرين وإلحاق الأذى بهم ، سواء كان هذا الأذى جسماً أم نفسياً ، وينطوي

العدوان على رغبة في التفوق والتسلط على الآخرين ، أو قد يكون مظهراً للقوة ، أو قد يكون

استجابة للإحباط وتعبيراً عن الحرمان . ص ٢٢٥

كما يقول الهاشمي (١٤٠٤هـ ، ص ١٢٩) بأن العدوان يهدف إلى :

١ - تحطيم عائق .

٢ - دفع مخاطر .

٣ - تحقيق طموح شديد .

والإسلام يعالج الدافع إلى العدوان والمقاتلة بالتهذيب والتوجيه والتقويم ؛ ليحول دون

التورط في مظاهر السلوك العدوانى ، بل ويفرض عقوبة على كل معتد طاغ منحرف ، وإلى

ذلك تشير الآيات الكريمة التالية :

﴿ وَإِنْ طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ

فَقْتُلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۗ

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ (سورة الحجرات ، آية ٩) . ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ (سورة المائدة ، آية ٣٣ - ٣٤) .

فكما نرى في الآيات السابقات العقوبة على من يعتدي . وفي هذه العقوبة منهج علاجي نهائي للمعتدي في الدنيا والآخرة ، أيضاً يوضح قوله تعالى : (إلا الذين تابوا من قبل) منهجاً تقويمياً يتعامل مع الطبيعة الإنسانية بكل ما بها في إسقاط العقوبة على من ارتدع وتوقف عن الاعتداء قبل أن تتاله يد السلطان وهو ما يزال في قوته ، وفي إسقاط هذه العقوبة على تلك الفئة هدفان تربويان إسلاميان هما :

أ - تقدير التوبة لهذه الفئة مع أنهم يملكون القدرة على العدوان ، واعتبارها دليل إصلاح وهدى .

ب - تشجيعهم على التوبة مع إنكاء بذرة الخير ، وتزوية نبتة الشر في النفس الإنسانية؛ بتربية القلب والروح وتقويم الطبع وكفه عن الانحراف . (قطب ، ١٣٩٨هـ - ج ٢ ، ص ٨٨٠)

والذي تظهره تنمة الآيات السابقة في (سورة المائدة ، آية ٣٥ - ٤٠) والتي يقول

فيها جل من قال : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ

وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَآتَتْ لَهُمْ مَاءً
 فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقْبَلُ
 مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ
 بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٥٢﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
 أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ
 ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ
 مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٥﴾ .

ونتيجة لوجود هذا الدافع لدى فئة من الناس ، وعلاجاً إسلامياً تربوياً له ، فقد فرض
 الإسلام القتال على المسلمين بكل أنواعه وصوره ، سواء كان قتالاً مادياً أم معنوياً ؛ لرفع الظلم
 وإعلاء كلمة الله ، وحماية للنفس الإنسانية مما يعتريها من انحراف ، لذا أتى دافع آخر ألا وهو
 دافع حماية النفس الإنسانية — الذي ستشير إليه في الفقرة التالية .

تاسعاً : دافع حماية النفس : هذا الدافع يعتبر ضرورة اجتماعية جدها القرآن الكريم
 بحدود ، وفرضها عز وجل على المؤمنين وأوجبها ؛ ليدفعوا عن أنفسهم اعتداء الكافرين ،
 والظالمين ، والمفسدين ، والبالغين ... بهدف منع الشر ، والإباحية ، وفساد العقيدة ، وسلب

الأموال ، وانتهاك الأعراض ، والشرف ، والكرامة ... وفي ذلك يقول عز وجل : ﴿ كُتِبَ

عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا

وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (سورة البقرة ، آية ٢١٦) .

فالقرآن أقر دافع القتال رغم أنه مكروه ، إلا أنه ضرورة من الضروريات تباح في

حالات ، منها مثلاً :

أ — عند إعلاء كلمة الله في الأرض ، يقول جل وعلا : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (سورة

البقرة ، آية ١٩٠) .

ب — عند رد الاعتداء الذي يحصل على النفس أو المجتمع المسلم : ﴿ أَلَشَّهْرُ الْحَرَامِ

بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ قِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ

بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة

البقرة ، آية ١٩٤) .

ج — عند الدفاع عن المظلومين والمستضعفين في الأرض الذين تشير إليهم الآيات

الكريمات التالية : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا

اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدِمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ

وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ

لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ (سورة الحج ، آية ٤٠) . ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ

اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا

مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ

لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ (سورة النساء ، آية ٧٥) .

ط — عند قمع وردع الفساد في الأرض ؛ لأن من فسدت فطرتة فسد في الأرض

وسعى بالتالي في خرابها ، والفساد في الأرض يحمل كل سمات العدوان

وأشكاله، وسنستدل على بعض من أشكاله بالآيات القرآنية الكريمة التالية :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٠﴾ يُخَدِّعُونَ

اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٨١﴾ فِي قُلُوبِهِم

مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿٨٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا

أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا

لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا

نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا
 مُهْتَدِينَ ﴿١٣﴾ ﴿ (سورة البقرة ، آية ٨ - ١٦) . ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ
 فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ
 سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ
 ﴿١٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ
 ﴿١٦﴾ ﴿ (سورة البقرة ، آية ٢٠٤ - ٢٠٦) .

ولردع العدوان حتى لا يقع ، وتحقيقاً لحماية النفس الإنسانية ، فقد وضع القرآن
 الكريم، إرشادات ترمي إلى ضبط هذا الدافع - العدوان - سلوكاً وهدفاً ، من تلك التوجيهات
 ما يلي :

أ - دفع عدوان الجاهلين عن طريق الإعراض عنهم ، فيقول جل وعلا في ذلك :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿٣١﴾ (سورة الأعراف ، آية

. (١٩٩)

ب - المعاملة بالحسنى وتوجيه الخطاب اللطيف لهم دون فحش في القول ، حيث يقول

جل وعلا في ذلك : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا

خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا ﴿٦٣﴾ (سورة الفرقان ، آية ٦٣)

تلخيص : هذا الفصل قدم موضوع الدوافع التي تدفع السلوك الإنساني وتكمن خلفه حيث تم

استعراض التالي :

— تعريف الدافع والمصطلحات المرحلية التي تدور حوله .

— سمات الدوافع .

— أقسام الدوافع .

— دراسة لبعض الدوافع في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية .

وما بين إلحاح هذه الدوافع على الإنسان وطرق إشباعه لها ، أو وسائل تحقيقها تظهر

مظاهر سلوكية على السلوك الإنساني ، هذه المظاهر تصاحب الدوافع كما تعتبر طريقة من

طرق التعبير عنها . في حداثها أو هذونها ، ويختلف التعبير عنها من فرد لآخر ومن أمة

لأخرى. تسمى هذه المظاهر بالانفعالات ، والتي سيتحدث عنها الفصل التالي من فصول

الدراسة .

الفصل السادس

الانفعالات في ضوء توجيهات

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة

— مقدمة —

— تعريف الانفعالات —

— أسباب الانفعالات —

— أثر الانفعالات على السلوك —

— دراسة بعض الانفعالات في

ضوء توجيهات القرآن الكريم

والسنة النبوية

الانفعالات في ضوء توجيهات القرآن الكريم

والسنة النبوية المطهرة

مقدمة :

إن حياة الإنسان على وجه الأرض لا تسير على وتيرة واحدة أو نمط واحد ، بل هي حياة مليئة بالمتغيرات المتعددة والتجارب المتنوعة ، هذه المتغيرات والتجارب تحمل في ثناياها مواقف وخبرات تتراوح ما بين خوف وطمأنينة ، غضب ورضا ، كره وحب ، حسد وغبطة ، حزن وفرح... وغير ذلك.

هذه الحالات المتنوعة المتعددة التي يمر بها الإنسان تصاحب بإحساسات وجدانية عاطفية تسمى الانفعالات هي التي تجعل حياة الإنسان في تقلب مستمر وتغير دائم ، وبدون هذه الحالات الوجدانية والانفعالات المختلفة تصبح حياة الإنسان مملة شبيهة بحياة الجماد الذي لا يحس ولا يشعر ولا يتعاطف مع شيء حوله .

فما هي هذه الانفعالات المسؤولة عن تنوع سلوكنا كبشر نعيش على هذه البسيطة ؟

تعريف الانفعال : - ورد في أدبيات الدراسات تعاريف متعددة للانفعالات تذكر الباحثة الشائع منها ، والأكثر استخداماً :

أ - " حالة جسمية نفسية يصاحبها توتر شديد مع اضطرابات عضوية تغشى أجهزة

الإنسان الدموية والتنفسية والعقلية والغدية والهضمية مع كيانه العصبي عموماً "

(الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٦٦)

٢ - " حالة اضطراب وتغير في الكائن الحي مصحوبة بإثارة وجدانية تتميز بمشاعر

قوية واندفاع نحو سلوك ، ذات شكل معين " (المليجي ، ١٣٩٤هـ ، ص ١٥٤)

من التعريفين السابقين للاندفاع يتضح أنه حالة من التوتر والاضطراب ، هذا التوتر

والاضطراب يكمن وراءه دافع يستثيره بقوة ويؤثر على جميع أجهزة جسم الإنسان . ويتوقف

نوع الانفعال وحدته على نوع العوامل الدافعة له في لحظة معينة .

إذاً هناك أسباب تدفع الفرد إلى الانفعال في ظروفه ومواقفه معينة

منها أننا نفعّل :

١ - حينما تكون الدوافع قوية وشديدة : نجد أن الاستجابات التي تصدر عن هذه

الدافعية انفعالية ؛ حيث يحشد الإنسان كل طاقاته الجسمية لهذه الاستجابة ، فيشعر

بالقوة والسيطرة على الموقف والتمكن من زمام الأمور ، والقدرة على التوصل إلى

طرق لإشباع إلهام هذه الدوافع . لكن يجب أن لا تزيد قوة هذه الدوافع عن المعدل

الطبيعي الذي يكفي لاستثارة السلوك ؛ لأن الاستثارة الانفعالية القوية جداً كثيراً ما

تؤدي إلى الإخلال باتزان الفرد جسماً ، وعقلياً ، واجتماعياً .

٢ - حينما تقف عقبات أمام إشباع الدوافع : نجد الإنسان يفعل تجاه الأشخاص

أو الأشياء الذين حالوا بينه وبين وصوله إلى تحقيق أهدافه التي تشبع دوافعه .

٣ - حينما تستبعد الدوافع فجأة : تنشأ استثارة انفعالية عند غياب الدافعية فجأة

ويصل الإنسان إلى حالة من اليأس أو الحزن أو الكره . (الكنائي وآخرون ، ١٤١٥هـ — ،

ص ٤٠٥)

مما سبق يتضح أن الانفعالات ترتبط ارتباطا وثيقا بالدوافع ، كما أن بينهما علاقة متبادلة ؛ فقد ينطوي الدافع على شحنة انفعالية تقترن به ، فنجد مثلا دافع الجوع مصحوبا بحالة وجدانية أو انفعالية كالغضب الذي يحدث عند إعاقة إشباع هذا الدافع ، والرضا عند إشباعه ، وكذا دافع الوالدية الذي يرتبط بانفعال الحب . وقد تكون الانفعالات مولدة للدوافع ، فانفعال الغضب قد يدفع الفرد إلى العدوان والمقاتلة ، وانفعال الخوف على الحياة والصحة يدفع الفرد إلى حب الطعام ، كما أن انفعال الحسد قد يدفع صاحبه إلى حب التملك ، وهكذا . (السيد وآخرون ، ١٤١١هـ ، ص ٤٥٧) .

إن لهذه الانفعالات أثر على السلوك الإنساني ، ستشرح الباحثة أثر هذه الانفعالات على السلوك الإنساني ، ثم تتعرض للجوانب الإيجابية للانفعال ، وكذلك الجوانب السلبية له .

أثر الانفعال على السلوك الإنساني : يعد الانفعال من أهم الدوافع الشعورية للسلوك الإنساني ؛ فحالات الخوف ، أو الكره والبغض ، أو الحسد ، أو الفرح والحب هي حالة من التوتر الانفعالي القوي أو الضعيف ، هذا التوتر يدفع صاحبه إلى القيام بسلوك يضمن له إشباع ذلك الدافع لتخفيف شدة التوتر والطاقة المصاحبة له .

فالخائف مثلا يحاول الفرار من مصدر الخوف ويبتعد عنه ، أو يجابهه بأساليب متعددة، وكذلك الغضبان فهو إما أن يحاول الاعتداء على مصدر الغضب والانتقام ، وإما أن ينسحب من الموقف الذي استثار غضبه حتى يهدأ . والحزين إما أن يتغلب على المواقف التي

سببت له الحزن وبيتعد عنها وإما أن يقع فريسة لهذا الحزن ويتعطل سلوكه . وكذا الحاسد والمحب والفرح وغيرهم ، كل منهم تظهر عليه أنواع خاصة من السلوك المناسب الذي يتوقف على استعداد صاحبه ودرجة تأثره بالانفعال .

إن بعض الأفراد ينفعلون بدرجات متطرفة حادة هائجة ، وآخرون يتصفون بانفعال هادئ انسحابي ، وبين هذين الطرفين الحاد الهجومي والهادئ المنسحب تقع درجات متعددة من الانفعالات التي لها أثرها في السلوك الإنساني واتجاهاته . (الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٧٢)
هذه التأثيرات للانفعالات على السلوك الإنساني والصحة النفسية و الجسمية للإنسان لها جوانب إيجابية وأخرى سلبية تتمثل في التالي :

١- الجوانب الإيجابية للانفعالات : تحقق الدرجة المعتدلة من الانفعالات العديد من الفوائد بالنسبة للإنسان كما ينكرها كل من السيد وآخرون (١٤١١هـ ، ص ٤٩٢) وعبد الجابر (١٤١٠هـ ، ص ١٦٨) منها :

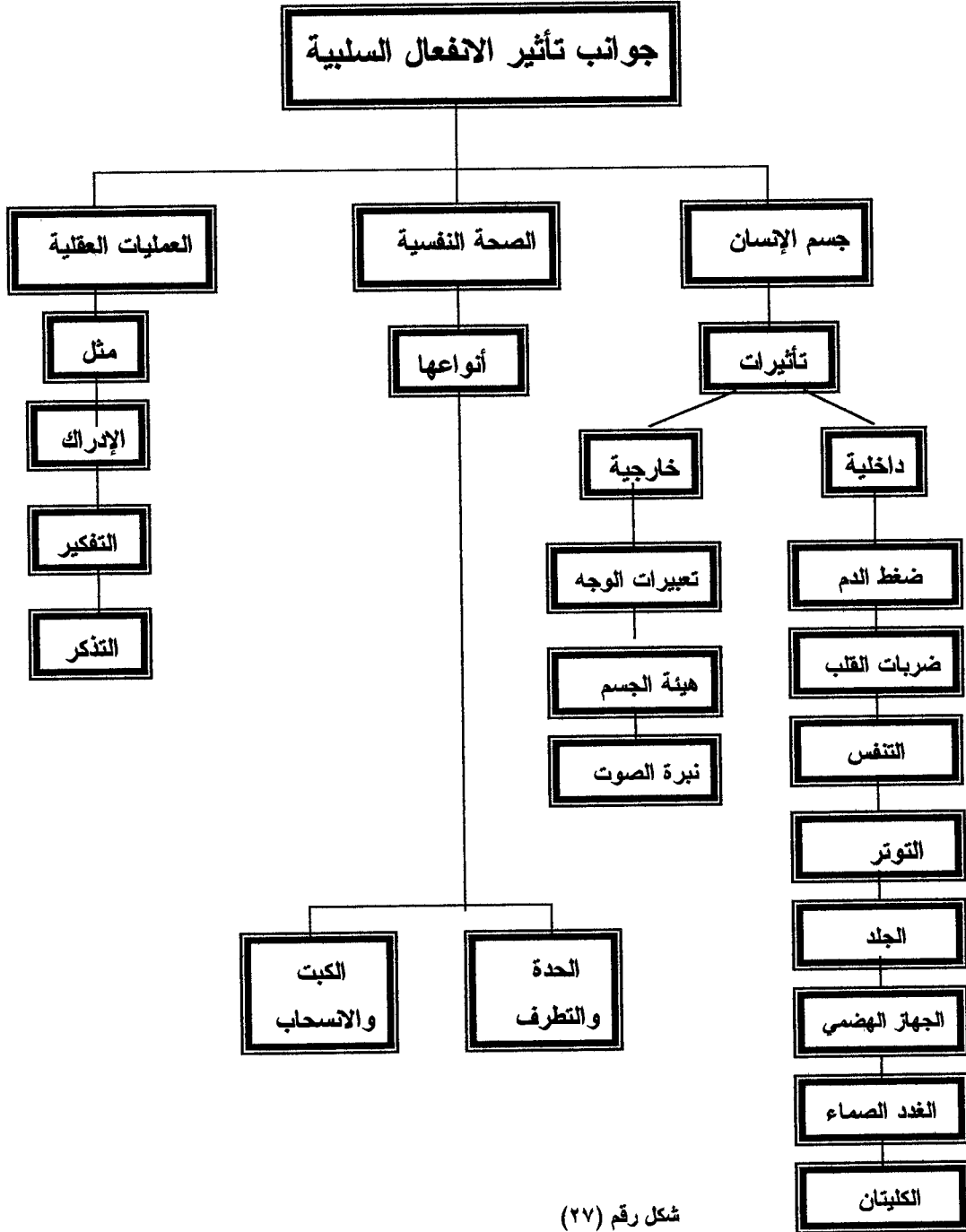
أ - تزيد الشحنة الوجدانية المصاحبة للانفعال من تحمل الفرد ، وتدفعه إلى مواصلة العمل والسعي لتحقيق أهدافه .

ب - للانفعال قيمة اجتماعية ، ذلك أن التغيرات المصاحبة للانفعال ذات قيمة تعبيرية تربط بين الأفراد وتزيد من فهمهم لبعضهم لبعض ، وتقربهم في وحدة وتماسك .

ج - الانفعال قد يكون مصدراً من مصادر السرور ، فكل فرد يحتاج إلى درجة معينة منها ، مثل الأمن بعد الخوف ، الفرح بعد الحزن ، الحب بعد البغض والكره ، الغبطة بعد الحسد .

ط - تهيء الانفعالات الفرد للمقاومة من خلال تنبيه الجهاز العصبي الإرادي ، فتصبح

أجهزة جسم الإنسان متحفزة للقيام بسلوك معين أثناء الانفعال .



شكل رقم (٢٧)

يوضح تأثير الجوانب السلبية للانفعال على الإنسان

٢ - الجوانب السلبية للانفعالات : الانفعال طاقة تندفع في قوة وتتحرك لإشباع

عاجل وبأقصر الطرق ، هذه الطاقة المندفعة في قوة تؤثر على :

أ - جسم الإنسان .

ب - الصحة النفسية للإنسان .

ج - العمليات العقلية .

أولاً : تأثير الانفعال على جسم الإنسان : يؤثر الانفعال على جسم الإنسان وتحدث

تغييرات في الجسم مصاحبة للمواقف الانفعالية ، ويمكن تقسيم هذه التغييرات المصاحبة إلى

نوعين رئيسيين هما :

١- تغييرات جسمية داخلية .

٢- تغييرات جسمية خارجية .

وستعرضها الباحثة كما حددها كلٌّ من : (الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ص ١٦٩ -

١٧٤) و (الكناني وآخرون ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٠٣) على النحو التالي :

١- التغييرات الجسمية الحافظة : تصاحب الحالة الانفعالية للإنسان عدة تغييرات جسمية

داخلية تتمثل في التالي :

أ - ضغط الدم : يحدث أثناء الانفعال ارتفاع عام في ضغط الدم ، مع

توزيعه على سطح الجسم وأطرافه كما يحدث في حالات الغضب أو

الخجل مثلاً.

جـ - ضربات القلب : نتيجة لقوة اندفاع الدم من القلب ؛ يتغير معدل ضربات

القلب أثناء الحالة الانفعالية ، فتزيد سرعة النبض من ٧٢ إلى ١٥٠

نبضة في الدقيقة تقريباً ، وهذه قيست لدى مجموعة من الطلبة قبل

أدائهن للاختبار وبعده .

د - التنفس : إن معدل التنفس يتغير ، وزمن الشهيق والزفير أيضاً يتغير

بحسب الحالة الانفعالية ، فقد يتوقف برهة من الزمن في حالات

الدهشة، بينما ينقطع أثناء الضحك أو البكاء .

هـ - توتر و ارتعاش العضلات : قد يرتعش الفرد أثناء الانفعال الشديد ؛ وذلك

لتزايد النشاط الكهربائي أثناء الانفعال .

و - الجلد : نتيجة للتغيرات الكهربائية التي تحدث في الجسم أثناء الانفعال

فإن استجابة الجلد تختلف في وقت الانفعال عنها في غيره .

ز - الجهاز الهضمي : قد يصاحب الانفعال انتفاخ في الأغشية الداخلية للمعدة

مع زيادة في انقباض عضلاتها ، وارتفاع نسبة الحامض فيها كما يحدث

في حالات الغضب ، وأحيانا تقل نسبة الحامض وتكف المعدة عن

الحركة كما في حالات الاكتئاب ، وقد يصاب الإنسان بالإسهال أو

الإمساك أو القيء .

ز - الكليتان : تتغير وظائف الكليتين ونسبة الماء والأملاح في الجسم تبعاً لتغير الحالة الانفعالية وبالتالي تزيد نسبة التبول وقد يتبول الإنسان على نفسه كما يحدث في حالات الخوف الشديد .

ح - الغدد الصماء : تنشط الغدتان المجاورتين للكليتين أثناء الانفعال ، ويزداد إفراز هرمون الأدرينالين ، فيفرز الكبد كمية زائدة من السكر في الدم .

آ - التغيرات الجسمية الخارجية المصاحبة للانفعالات : تحدث أثناء الانفعال عدة تغيرات في السلوك الخارجي للإنسان ، منها :

أ - تعبيرات الوجه : يعد الوجه أهم منطقة تُصدر تعبيرات غير لفظية أثناء الانفعال مهما حاول الفرد إخفاءها ، لأن الدراسات التي تمت لدراسة تعبيرات الوجه أثناء الانفعال أثبتت أنه يمكن ملاحظة تلك التغيرات ، كما كشفت بعض الدراسات أن هناك اختلافاً في تعبيرات الوجه من انفعال لآخر ، كاختلاف تعبيرات الوجه في موقف الغضب عنه في موقف الفرح ، وفي موقف الخوف عنه في موقف الطمأنينة .

ب - هيئة الجسم وحركته : تحدث تغيرات واضحة في هيئة الجسم أثناء الانفعال وتبدو في تصلب القدمين في مكانهما وإعاقة الحركة أو الجري أو ظهور طاقة حركية دفينة كالقفز والجري بسرعة لا عهد للمنفعل بها في حياته العادية ، كما يحدث في حالات الخوف ، وانقباض اليدين

أثناء الغضب ، والتراخي في الأطراف والوجوم عند الحزن ، وأيضاً
اتساع حدقة العين في حالات السرور والرضا ، والعكس ضيقهما في
حالات الألم والغضب والتشفي .

جـ - نبرة الصوت : تختلف نبرة الصوت من موقف انفعالي لآخر ، فمثلاً
في حالات الشعور باليأس والفشل والخوف يخفت الصوت ويصبح
الكلام بطيئاً ، بينما في حالة الغضب يرتفع الصوت ويسرع الكلام
ويصبح أكثر حدة مع ارتعاشه .

ثانياً : تأثير الانفعال على الصحة النفسية : إن معظم الأمراض النفسية والجسمية

إنما مصدرها الانفعالات التي يمر بها الإنسان ، والتي أصابها أحد أمرين هما :

١ - إما انفعالات حادة ومتطرفة جداً أرهقت أعصاب صاحبها ؛ نتيجة عدم قيامه بمحاولة
توجيهها و ضبطها ، ضبط نفسي متوازن ، فالخوف مثلاً إذا استمر واشتد فإنه
يؤدي إلى مخاوف وهمية وهذه حالة مرضية ، وكذلك الغضب إذا كان قوياً
واصبح حالة مستمرة فإنه قد يصل إلى سلوك تخريبي وقد ينتهي إلى انحرافات
نفسية وسلوك غير سوي يتسم بالعدوانية والإجرام .

٢ - وإما محاولة كبت الانفعالات الصحية المعتدلة وقمعها . هذا الكبت والقمع القوي
يحول الانفعالات إلى هم وغم واكتئاب وعزلة وتشاؤم وانطواء ؛ وقد ينتهي

بأسباب ذلك إلى نقمة على النفس أو المجتمع ؛ ثم إلى الانتحار ، وهذا ما هو

حادث في البيئات غير المؤمنة من ارتفاع نسب الانتحار نتيجة للعوامل النفسية.

(الهاشمي ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٧٤)

ثالثاً : تأثير الانفعال على العمليات العقلية : إن وقوع الفرد تحت تأثير

الانفعالات الحادة كثيراً ما يلحق الضرر بالعمليات العقلية للإنسان من إدراك واستقراء ،

وتفكير ، واستدلال ، وحكم ، وتذكر ... وغير ذلك ، فسنعطي هنا أمثلة لتأثير الانفعال على

بعض العمليات العقلية مثل :

١ - الانفعال والإدراك : الانفعال الجامح يشوه الإدراك ، كما يشوه الصفاء الذي ينبغي

أن يتناول به الذهن ما يمر به من منبهات ، فلا يرى من الحقيقة إلا بعضاً منها ،

ولا يكون موضوعياً ولا منطقياً في حكمه على الآخرين ، ولا يرى هذا الإنسان

نو الطبيعة الانفعالية الحادة إلا عيوب خصمه ، ولا يسمع من كلامه إلا الإهانات

الموجهة إليه .

٢ - الانفعال والتفكير : الانفعال الشديد أيضاً يقتل التفكير الهادئ المنظم ؛ ذلك لأنه

يعمي الإنسان المنفعل عن رؤية كثير من الحقائق الواضحة أمام عينه ، ويجعله

يغفل عنها تماماً .

٣ - الانفعال والتذكر : حدة الانفعال تعطل عملية التذكر وتربكها . فيرين على الذاكرة ،

وقد يرتج على الخطيب الذي يخاف مواجهة الجمهور فنجدته يتلعثم ويتأنيء ،

وينكص بلغته إلى مستوى أقل مما يعهده في نفسه من قدرة على الخطابة والتكلم .

وكذا الطالب الذي يرهب بشدة موقف الاختبار الشفوي أو المقابلة الشخصية ، نجده

يعجز عن تذكر الأجوبة الصحيحة أثناء الاختبار ، ويتذكرها بعد خروجه من

القاعة . (محمد ، ١٤١٦هـ ، ص ١٧٤) و (الوقفي ، ١٤١٩هـ ، ص ٣٧٧)

بعد تحديد مفهوم الانفعال ، وذكر الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الانفعال ، وأثره على

السلوك والصحة النفسية الجسمية ، وعلى العمليات العقلية ، كان لابد من ذكر أنواع الانفعالات،

ووصفها بالطريقة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة مع توضيح

التوجيهات القرآنية والنبوية ، لتعلم طرق ضبط وتوجيه هذه الانفعالات .

دراسة لبعض الانفعالات في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية

المطهرة : وهنا أهم تلك الأنواع :

أولاً : انفعال الغيرة : يقال عن الغيرة بأنها : الحمية والأنفة (ابن منظور ، د.ت ، ج ٥ ، ص

٣٣٢٦) . والغيرة : انفعال مركب من عدة انفعالات متعددة مكدرة في غالبيتها مثل : الغضب ،

الخوف ، الاستياء ، التبرم ، ويصاحبها مشاعر النقص . (الكناني وآخرون ، ١٤١٥هـ ، ص ٤١٥)

وتعتبر الغيرة هي المحرك الأساسي للإنسان في مجريات حياته ، إن خيراً أو شراً ،

وهذا يعني أن للغيرة جانبين أحدهما إيجابي ، والآخر سلبي ، هما :

١- الجانب الإيجابي للغيرة : إن كثيراً من الفضائل والأخلاق والأعمال الحسنة التي يتحلى

بها غيرنا ، قد تولد لدى الإنسان دافعاً أو ميلاً إلى تقليد مثل هذه الأعمال .

فمثلاً : عند الثناء أمام طفل عن أترابه الذين يتحلون بسلوك حسن ، نجد أن هذا الطفل

يشعر بالغيرة من هذا الثناء فيلجأ إلى تقليدهم في سلوكياتهم التي امتدحناها .

وكذلك الكبار في جميع الأعمار ، فمثلاً قد يعجب فرد ما بمن سبقوه من شخصيات مثالية فيلجأ إلى تقليدهم ، كالتالي الذي يغار من زميله الذي حصل على المركز الأول في صفة ، فتدفعه تلك الغيرة إلى زيادة همته واستنكاره ليصل إلى مرتبته وينافسه عليها . وأيضاً مثل الغيرة التي تؤدي إلى التسابق إلى الأعمال الحسنة والعبادات . وهذا النوع من الغيرة ما يحبه الله عز وجل .

أ- الجانب السلبي للغيرة : إذا ازدادت حدة الغيرة أدت إلى أفعال سلوكية غير مرغوبة ، مثل : الحسد ، والكره ، والحقد ، والغضب ، وهذا هو الجانب المذموم من الغيرة ، والذي لا يحبه الله عز وجل ولا يرضاه ، وذلك ما ظهر لنا في قصة يوسف عليه السلام حينما أدت شدة غيرة اخوته منه إلى الرغبة في التخلص منه بإلقاؤه في البئر .

مما سبق نجد أن للغيرة جانبان سلبي وإيجابي ، فالجانب السلبي هو ما لا يحبه الله ولا يرضاه ، والإيجابي هو ما يحبه الله ويرضاه . فما الذي يدفع بعض الناس لتكون غيرتهم سلبية ؟ بينما توجد لدى آخرون الغيرة لكنها إيجابية ، هذه الأسباب نكرها (أسعد ، د . ت ، ص ص ٥٤ - ٧٣) في التالي :

الأسباب التي تؤدي لحدوث الغيرة السلبية : أما عن الأسباب التي تؤدي

لظهور انفعال الغيرة السلبية متعددة ، منها ما يلي :

أ- الإحساس بالدونية عن الآخرين والنقص : الإنسان غالباً لا يغار ممن هو أقل منه

شأناً ، إنما يغار ممن يعطونه في ناحية ، أو نواحي متعددة ، مثل التفوق في الثراء

المادي ، أو الجانب الاجتماعي ، الثقافي ، التفوق الدراسي ... وغيره .

٢ — تهديد المكانة الاجتماعية : عندما يشعر الإنسان أن هذا الشخص الذي هو أعلى منه أو الذي يملك امتيازات أفضل منه ، وسيحتل مكانته الاجتماعية لتفوقه عليه ؛ فإن هذا يفعم قلبه بالغيرة على من سيتقدم عليه ويحتل مكانته التي يشغلها .

٣ — المقارنة المستمرة المصاحبة بالتوبيخ أو اللوم من الأكبر سناً ، أو من المسئولين ، الأمر الذي يؤدي إلى تذكية روح الحقد والحسد فتنشأ الغيرة المؤدية إلى العدوان ، والكره ، والميل إلى الانتقام ... وما إلى ذلك .

أما الأسباب التي تؤدي لحدوث الغيرة الإيجابية : فتكمن في عدة

أسباب منها :

١ — انعدام الاهتمام بالجانب الذي تفوق فيه (س) أو (ص) من الأخوة ، أو الأصدقاء وما شابههم .

٢ — الشعور بأن هذا الأخ أو الصديق متفوق في جانب بينما هو أيضاً يتفوق عليه في جانب أو جوانب لا يملكها هذا الأخ أو الصديق ، أي أنه يدرك مبدأ الفروق الفردية بين الناس ، ومؤمن إيمان عميق بمشيئة الله عز وجل .

٣ — قد يكون هذا الإنسان ممن لديهم روح — الإيثار — بدرجة عالية جداً ، كما أنه يميل إلى حب الآخرين بدرجة كبيرة .

ومن انفعال الغيرة تتولد عدة انفعالات كما ذكر سابقاً تذكر الباحثة منها انفعال الغضب ،

وانفعال الحسد، وانفعال الكره . باعتبارها من أهم أنواع الانفعالات التي لها تأثير على السلوك

الإنساني ، وقد جاءت كما يلي :

ثانياً : انفعال الغضب : هناك عدة تعريفات للغضب منها مايلي :

١ - الغضب نقيض الرضا ، وهو السخط المصاحب بغلظة وقوة ، ويترك ، إجمراً شديداً

الحمرة . (ابن منظور ، د.ت ، ج ٥ ، ص ٣٢٦٢)

٢ - " غليان دم القلب بطلب الانتقام ، تتوجه هذه القوة عند ثورانها إلى دفع المؤذيات قبل

وقوعها وإلى التشفى والانتقام بعد وقوعها " . (الغزالي ، د.ت ، ج ٣ ، ص ١٦٧)

٣ - " وسيلة للتعامل مع البيئة المهددة ، يؤدي إلى صراع مع النفس أو مع الآخرين " . (الكناني

وآخرون ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، ص ٤١٢)

جوانب الغضب : للغضب جانبان أحدهما إيجابي وآخر سلبي ، هذان الجانبان يسيران في

خط متصل على درجات ثلاث حددها كل من الغزالي (د.ت ، ج ٣ ، ص ١٦٧) و (الزين ،

١٤١١هـ ، ج ١ ، ص ١٦٨) في التالي :

١- التفريط . ٢- الإفراط . ٣- الاعتدال .

١- الجانب السلبي للغضب : وهو يتمثل في : أ - التفريط . ب - الإفراط .

أ - أما بالنسبة للتفريط : فيكون بفقدان قوة الغضب أو ضعفها ، وذلك غضب مضموم . عندها

يقال عن هذا الإنسان إنه لا حمية له ، لأن من فقد قوة الغضب فقد الحمية .

إن فقدان أو ضعف هذه القوة يؤديان إلى الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات ،

ولذلك أمرنا عز وجل بعدم التهاون والرفقة عند إقامة حدوده ، في قوله : ﴿ أَلزَّانِيَةُ وَالزَّانِي

فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ (سورة النور ، آية ٢)

في الحقيقة أن من فقد قوة الغضب أيضاً عجز عن رياضة نفسه ، الأمر الذي يقوده إلى تسليط غضبه على شهواته الدنيئة عند ميله إلى تلك الشهوات ، لذا فيعتبر فقد قوة الغضب من التفريط المذموم .

وجـ - والإفراط : هو أن تغلب قوة الغضب على الإنسان حتى تخرجه من سياسة العقل والدين والطاعة لله ولرسوله عليه الصلاة والسلام ، بحيث تعمي بصيرة وفكرة واختيار صاحبه ، فإذا وعظ لم يسمع بل يجعله ذلك الوعظ يزداد حدة في غضبه ، وإذا استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يستطع ؛ لأن قوة الغضب لا زالت ترين على نور العقل . وهذا أيضاً من الغضب المذموم .

كـ الجانب الإيجابي للغضب : يتمثل الجانب الإيجابي للغضب في الاعتدال وهذا يعني

الاستقامة التي كلف الله بها عباده ، وهو الوسط الذي وصفه صلى الله عليه وسلم في قوله : " خير

الأمور أوسطها " (البخاري ، كتاب المناقب ، ج ٥ ، ص ٤٧٩) . هذا الاعتدال يعني القدرة على كظم

الغيظ ، والصفح والعفو عند المقدرة ، ما لم ترتكب معصية أو ما لم ينتهك حد من حدود الله .

ويكون الهدف منه الحفاظ على النفس ، والدين ، والعرض ... وغير ذلك ، في حدود ما شرع

الله عز وجل .

ولتسكين حدة الغضب أتت التوجيهات الربانية والنبوية ، في صور متعددة متنوعة ،

فيها طرق علاجية ناجحة على المسلم الاستبصار بها ؛ لتحقيق رضا الله عز وجل ، ولتطبيق توجيهات نبيه عليه الصلاة والسلام . هذه التوجيهات أوردها كل من الغزالي (د . ت ، ج ٣ ، ص ص ١٦٥ - ١٦٧) و (أيوب ، د . ت ، ص ص ٧١ - ٧٤) وتتمثل في :

أ - على المسلم أن يخشى الله ويخافه ، ويخاف أليم عقابه ؛ ذلك أن هذه الخشية وهذا الخوف يجعلانه ضابطاً لمظاهر الغضب المتمثلة في العداوة ، والانتقام ، والحقد ، فيكن ممن أشارت إليهم الآية القرآنية التي نقول : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴾ (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ (سورة المؤمنون ، آية ٥٧-٦١) .

ب - التعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، عملاً بما جاء في الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها رب العزة والجلال : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة الأعراف ، آية ٢٠٠) . وإلى أثر التعوذ بالله من الشيطان الرجيم على الغضب أشار حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يروى عنه : " أنه استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى عُرف الغضب في وجه أحدهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " . (الترمذي ، كتاب الدعوات ، ج ٥ ، ص ٤٧٠)

ج — اللجوء إلى الوضوء ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " الغضب من الشيطان ، إن الشيطان

خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ " . (أحمد ، ج ٤ ، ص ١٢٦)

د — اللجوء للسكوت ، عملاً بقول الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه الذي يقول فيه :

" إذا غضب أحدكم فليسكت " . (أحمد ، ج ٤ ، ص ١٢٩)

ه — تغيير الوضع الذي يكون عليه الشخص أثناء الغضب تأسيماً بعمل المصطفى عليه

الصلاة والسلام في حالة غضبه والذي يخبر به أبو هريرة رضي الله عنه فيقول :

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب وهو قائم جلس ، وإذا غضب وهو جالس اضطجع

فيذهب غضبه " . (أحمد ، ج ٥ ، ص ١٥٢)

و — الدعاء والاستغفار عند الغضب ، وهذا ما كان يقوله عليه الصلاة والسلام للسيدة

عائشة رضي الله عنها إذا غضبت : " يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب

غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن " . (البخاري ، كتاب النكاح ، ج ٩ ، ص ١٠٨)

ز — قراءة كل ما يدور حول الغضب ومساوئه الدنيوية والأخروية ، مع قراءة وفهم الآيات

القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تنفر و تقبح من الغضب ، والتي

توضح فضيلة العفو عن الناس ، وكظم الغيظ ، والدفع بالتتي هي أحسن ... وغيرها

مثل ما ورد في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ

الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا
 فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا
 اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن
 رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَجْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴿
 (سورة آل عمران ، آية ١٣٤-١٣٦) . ﴿ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا
 غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ ﴿ (سورة الشورى ، آية ٣٧) . وقوله جل من قال : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ
 الْجَمِيلِ ﴾ ﴿ (سورة الحجر ، آية ٨٥) . وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ
 مِنكُمْ وَالسَّعَةَ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ
 وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿ (سورة
 النور ، آية ٢٢) . وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
 أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿ (سورة فصلت ، آية

(٣٤)

وأيضاً قراءة ما ورد في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام التي تنفر من
 الغضب وتوضح فضيلة الصَّفْحِ والعفو ، حين يقول عليه الصلاة والسلام : " ليس الشديد

بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب " . (البخاري ، كتاب الألب ، ج ١٠ ، ص

(٥٣٥)

وعن ثواب من لا يغضب ويصفح عن الناس يخبرنا حديث المصطفى عليه

الصلاة والسلام ، أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : " يا رسول الله

قل لي قولاً اتق به وأقل ، قال : لا تغضب ولك الجنة " . (البخاري ، كتاب الألب ، ج ١٠ ، ص

(٥٣٦)

هـ — النظر في أسباب الغضب العميقة في النفس من أجل ضبطها والتخلص منها ، فقد يكون

السبب : الكبر أو العجب أو الجاه والغنى أو زيادة العلم أو الحسد ... وغير ذلك من

الأسباب المؤدية للغضب والعمل على إزالتها بأضدادها ؛ كأن نستبدل الكبر والزهو

بالتواضع ، والحسد بالغبطة ، والكره بالحب ، وهكذا .

ثالثاً : انفعال الحسد : يعرف الحسد بأنه : " تمنى زوال نعمة المحسود وتحولها إلى

الحاسد " . (ابن منظور ، د.ت ، ج ٢ ، ص ٨٦٨)

كما تم تعريفه بأنه " كره النعمة التي أنعم الله بها على الغير ومحبة زوالها " . (أيوب ،

د.ت ، ص ٧٩)

إذا فالحسد انفعال يشعر فيه الإنسان أن شخصاً آخر يمتلك شيئاً ، يتمنى هو أن يكون

لديه هذا الشيء بدلاً من هذا الشخص الذي يمتلكه . (نجاتي ، ١٤١٧هـ ، ص ٩٨)

وانفعال الحسد حاد جداً ؛ لذا فهو يدفع الفرد إلى أنماط سلوكية سيئة ، تمثل حالة من

الانحلال والتفكك في أكثر من جانب من جوانب شخصية الفرد ، فيصبح هذا الانفعال يشمل أكثر من دافع وحاجة كحب التملك ، والعدوان ، وتقدير الذات ، مع ضعف الوازع الديني ... وغيره .

كل تلك الأمور مجتمعة تجعل الحاسد يفقد الثقة بنفسه ويستشعر العجز عن تحقيق غاياته ، فيصبح خلقه اللؤم ، ولذته الوشاية بين الناس والوقية بينهم ، غايته النهائية الاستئثار بما عند الغير لنفسه عن طريق تشويه صورة الآخرين بالكذب والافتراء والطعن . (عبد الجابر ، ١٤١٠هـ ، ص ٢١٠) و (طبارة ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٣٨) . وللحسد مضار دنيوية وأخروية ، كما وأن له آثار نفسية واجتماعية خطيرة على الفرد والمجتمع ، تتمثل فيما يلي :

أ - بالنسبة للحياة النفسية الداخلية للفرد : نجد أن الحسد يأكل قلب الحاسد حتى يجعله إنساناً قاسي القلب ، شرس الطبع ، ساخطاً على قضاء الله وقدره ، كارهاً نعمته الله التي قسمها بين عباده .

ب - بالنسبة للآثار الاجتماعية للحسد : فنجدها خطيرة جداً ، لأنه يشعل نار البغضاء ، ويرفع راية العداوة بين الأخوة ، أو الأقرباء ، أو الأصدقاء ، أو الجيران ، الأمر الذي يؤدي إلى منع المساعدة والمعونة للغير بين الحاسد والمحسود ، ويتوقف تطبيق ما ورد في الآيات الكريمة التي تحض على التعاون ، والتكافل ، والتواد ، والتراحم .

وهناك جانب إيجابي للحسد المرادف للمنافسة الشريفة الحققة ، كالمنافسة على حب الله تعالى ، وحب التقرب إليه عز وجل بالطاعات ، وفعل الخيرات ، والإكثار من النوافل في الصلاة ، والصيام بهدف التقرب إليه عز وجل ، وهذا هو الحسد المحمود الذي حضت عليه الآية

الكريمة التي يقول فيها جل من قال : ﴿ حَتَّمَهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (سورة المطففين ، آية ٢٦) .

هذه المنافسة تسمى بالغبطة أحياناً ، والغبطة هي تمنى مثل ما للإنسان الآخر من نعمة لديه من غير حب زوالها عنه ، ولا كره لوجودها ودوامها . (الغزالي ، د.ت ، ج ٣ ، ص ١٩٠)
وقد صرح رسول الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات بذلك فقال : " لا حسد إلا في إثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على مملكته في الحق ، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس " ولقد تم تفسير هذا الحديث في حديث آخر له عليه الصلاة والسلام يقول فيه " مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعمله في ماله ، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول رب لو أن لي مالاً مثل مال فلان لكتت أعمل فيه بمثل عمله ، فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو يتفقه في معاصي الله ، ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالاً فيقول لو أن لي مثل مال فلان لكتت أفقه في مثل ما أفقه فيه من المعاصي ، فهما في الوزر سواء " .
(البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، ج ٨ ، ص ٦٩١)

الحسد كما ذكر في القرآن الكريم : لقد احتوت بعض من سور القرآن الكريم في قصصها على آيات تشير فيها إلى وقوع ألوان من الحسد ، لنا فيها عظة وعبرة ، ستحاول الباحثة أن تذكر بعضاً منها :

١ - قصة حسد إبليس لعنه الله عليه آدم عليه السلام على رتبته ومنزلته عند الله عز

وجل ، متمثلاً في استكباره وإيائه أن يسجد لآدم ، وعصيانه بذلك ربه جل وعلا . (الغزالي ، د .

ت ، ج ٣ ، ص ١٨٨) وإلى هذا العصيان تشير الآية الكريمة التي يقول فيها سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ

قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾

(سورة البقرة ، آية ٣٤) .

٢ – قصة حسد بعض الناس لقارون الذي آتاه الله المال الكثير ، والذي صورته القرآن

الكريم – بالكنوز – ، وكان فرحاً به ، فخرج على قومه مزهواً ، معتزلاً بما له ، فتمنى بعض من الذين يريدون عرض الحياة الدنيا أن يؤتوا مثله ، وهذا نوع من أنواع الحسد ، لكن عقاب الله كان له بالمرصاد نتيجة لبطره على قومه ، وعدم مراعاته للآخرين ومشاعرهم فخسف به وبداره الأرض . (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج ١٠ ، ص ١٠٨) و(قطب ، ١٣٩٨هـ ، ج ٥ ، ص ٢٧١٠)

وسيتم تتبع هذه القصة لتكون عبرة لمن اغتنى ، أو امتلك زينة من زين الحياة الدنيا مثل : المال ، أو الأولاد ، أو الجمال ، أو المكانة الاجتماعية والثقافية ... ، فلا يصل هذا الشخص الذي امتلك هذه الزينة إلى درجة البطر والكبر ، الأمر الذي يدفعه إلى نسيان المنعم المتفضل عليه بتلك النعم ، كما لا يجعله ذلك يغفل مشاعر الآخرين وما يتركه هذا النعيم الذي هو فيه من انعكاس سلبي على نفوسهم ، فيقع من امتلك هذا تحت مضار الحسد ، فيكون مآله مآل قارون الذي ورد ذكر قصته في قوله تعالى : ﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ

عَلَيْهِمْ ۗ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا

تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ

مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ
 مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾
 فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ
 قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ
 وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ
 مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ
 بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآتِ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ
 عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَآتِهِ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ (سورة القصص ، آية ٧٦ - ٨٢) .

٣ - الحسد بين الإخوة كما ورد في حسد هابيل و قابيل ، الذي سولت له نفسه قتل أخيه
 لأسباب تعدد نكرها في كتب التفسير نصل منها إلى أن ذكر الله عز وجل لهذه الآيات فيه تقييح
 للحسد وتغيير منه عن طريق عرض سوء العاقبة الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ
 نَبَأَ ابْنَىٰ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ
 لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ

يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ قَالَ يُوزِلْتَنِي أَخَعَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورِي سَوَاءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ (سورة المائدة ، آية ٢٧ - ٣١) .

وكذلك قصة سيدنا يوسف عليه السلام في رؤيته للكواكب والشمس والقمر الذين يسجدون له ، وتحذير يعقوب عليه السلام له من أن يقصص رؤيته هذه على إخوته ؛ خوفاً من حسدهم له الأمر الذي قد يؤدي بهم إلى إيذاء يوسف عليه السلام ، وهذا دليل آخر على أن الإنسان يجب أن يتقي ما يؤدي إلى حسده من الآخرين ؛ خوفاً على نفسه ، أو ما لديه من نعمة، فيقول سبحانه وتعالى في ذلك : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٥٠﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَآ تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (سورة يوسف ، آية ٤-٥) .

٤ - حسد اليهود والمشركين للرسول عليه الصلاة والسلام على ما خصه الله به من فضل النبوة، وكذلك حسدهم للمؤمنين على ما خصهم الله به من فضل الإيمان والهداية . (الوازي ، د . ت ، ج ٦ ، ص ٢٠٦)

وهذا يتضح في قوله تعالى : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ

أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

﴿ (سورة البقرة ، آية ١٠٥) ، وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ

يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ

فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ (سورة البقرة ، آية

١٠٩) .

التوجيه القرآني والنبوي للاتقاء من الحسد : من التوجيهات القرآنية والنبوية

للحسد التالي :

١ — الاستعاذة من شر الحاسدين بقراءة المعوذات والإكثار من الدعاء ، لتطهير النفس

من الحسد وشروره ، متمثلين قول الآية الكريمة : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

رَبَّنَا أَخِفْنَا لَنَا وَإِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا

رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿ (سورة الحشر ، آية ١٠) .

٢ — الإقتداء برسول الله عليه الصلاة والسلام بتعويد النفس والأولاد بالتعويدة التي

كان يُعوِّذُ بها صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين رضي الله عنهما في قوله : " إني أعيدكما

بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة " . (البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، ج ٦ ، ص ٤٧٠)

٣ — أن يقتنع الإنسان بما أعطاه الله عز وجل ، ويؤدي واجبه الذي أوْتَمَنَ عليه ، ولا

يقارن بين حاله ومن هو أحسن منه ، وفي هذا رضاء بالقضاء والقدر وليتمثل بأقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وإرشاداته التي توجه إلى البعد عن هذا الانفعال المؤذي للنفس وللآخرين ، ومن أحاديثه التوجيهية قوله عليه الصلاة والسلام : " إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه شيئاً يعجبه فليدع له بالبركة فإن العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا " . (البخاري ، كتاب الطب ، ج ١٠ ، ص ٢١٣)

والمقصود في الحديث بكلمة (إذا استغسلتم فاغسلوا) أي : إذا طلب من الشخص الذي يعتقد ان العين الحاسدة صدرت منه أن يغتسل ، ليغتسل بها بعد ذلك من أصيب بالعين و أن لا يمتنع ؛ لأن ذلك الاغتسال من النشرة النافعة كما أرشدنا إليها نبينا عليه الصلاة والسلام . (البخاري ، ج ١٠ ، ص ٢١٥)

" من رأى شيئاً فأعجبه فقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، لم يضره " . (البخاري ، كتاب الطب ، ج ١٠ ، ص ٢١٥) ، وإلى شدة أذى الحسد على الحاسد نفسه يقول عليه الصلاة والسلام : " إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أو قال : العشب " . (ابن ماجة ، كتاب الزهد ، ج ٢ ، ص ١٤٠٨)

" لا يجتمعان في قلب عبد : الإيمان والحسد " . (النسائي ، باب الجهاد ، ج ٦ ، ص ٣٢٠)

رابعاً : انفعال الخوف : عرف الإمام (الغزالي ، د.ت) الخوف بأنه عبارة عن " تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل " . (ج ٤ ، ص ١٥٥)

كما عرف الخوف بأنه : " توتر عام واضطراب ينتاب الفرد من جراء مواجهته لموقف أو مواقف تعرض دوافعه لخطر ما ، مما يدفعه إلى الهلع والفرع " . (عبد الجابر ، ١٤١٠هـ ،

والخوف ظاهرة صحية ورد فعل طبيعي يقوم به الإنسان إذا ما واجهته مواقف أو ظروف مهددة، أما إذا زاد معدل الخوف أو نقص عن معدله الطبيعي فإن سلوك الإنسان يصبح غير سوي وغير طبيعي. هذا يعني أن للخوف أنواع منها ما يسمى بالخوف الصحي أو الخوف المحمود، ومنها ما يسمى بالخوف المرضي أو المذموم يتم توضيحهما فيما يلي :

أنواع الخوف : ١- الخوف الصحي المحمود .

٢- الخوف المرضي المذموم .

١- الخوف الصحي أو المحمود : هو الخوف الذي يدفع الإنسان إلى الحذر واتخاذ

الحيطة، مع الحفاظ على سلامة العقل وصحة البدن ، في حسن تفكر وتصرف ؛ كاتخاذ التدابير اللازمة عند مجابهة حيوان مفترس ، أو عدو ظالم ، أو كالخوف عند محاولة ارتكاب معصية ، فيلجأ الإنسان المسلم ساعتها إلى الله عز وجل ويجاهد نفسه في محاولة منع ارتكاب تلك المعصية ، وغيرها .

٢- الخوف المرضي أو المذموم : وهو قسمان اما أن يكون خوفاً فيه قصور ، أو خوفاً

مفرطاً .

أ - الخوف الذي له قصور ، هو خوف مؤقت ، والسلوك الصادر عنه سلوك لا يتسم

باتخاذ الحيطة والحذر ، والاستفادة والعبرة في المواقف التالية ، مثل الذي يخاف

عدواً ظالماً قد يعتدي عليه لكنه لا يلجأ إلى التدابير المستديمة التي تقيه شر هذا

الظالم ، وكالشخص الذي تتمع عينه عند تلاوة وتفسير آية من القرآن فيها

مواقف مثيرة للخوف ، لكن هذا التأثير ينتهي بانتهاء السماع لأنه لم يكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، هذا الخوف عديم الجدوى ضعيف النفع ، لا يؤدي إلى دفع الخطر .

جـ - الخوف المفرط : وهو الخوف الذي يجاوز حد الاعتدال ، ويصل بالإنسان إلى اليأس والقنوط وزوال العقل والمرض والدهشة ، كما يصل به إلى التعطل عن العمل ؛ مثل موقف الخائف من النار التي تقترب منه وتهدد باحتراقه ، لكن هذا الخوف من شدته يشله عن الهرب ، أو عن محاولة إخماد النار .

(الغزالي ، د.ت ، ج ٤ ، ص ١٥٧) و (الكنايني وآخرون ، ١٤١٥هـ ، ص ٤٠٩)

مصادر الخوف كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية وكيفية توجيها :

القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أوردا مصادر متعددة للخوف ، مع بيان كيفية توجيه هذه المصادر وتحويلها إلى خشية ووجل وإحساس بالأمن والطمأنينة ، وهنا تقوم الباحثة باستعراض ما ورد في القرآن والسنة من هذه المصادر ، وكيفية استغلالها بما فيه فائدة الإنسان :

أ - الخوف من الله عز وجل ، والخوف منه جل وعلا ؛ يؤدي للإيمان به والتصديق

بما أمر به ونهى عنه وزجر ، ذلك أن من خاف مقام ربه لا يقوم بمعصية ، وإذا أقدم على ذلك بحكم ضعفه البشري ، قاده خوفه إلى الندم والاستغفار ، فأثابه الله جل وعلا بالجنة نتيجة لهذا النهي ، وهذا الجهاد للنفس (قطب ،

١٣٩٨هـ ، ج ٦ ، ص ٣٨١٨)

وفي ذلك تقول الآيات القرآنية التالية : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (سورة

النازعات ، آية ٤٠ - ٤١) ويقول جل من قال : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ

﴿ ﴿٤١﴾ ﴾ (سورة الرحمن ، آية ٤٦)

فما سمات هاتين الجنتين التي يكافأ بها من خاف مقام ربه ؟ وما سمات ما

فيهما ؟ ومن فيهما ؟

إن سماتهما وسمات ما فيهما ، ومن فيهما ، كما ذكرها (الطبري ،

١٤١٢هـ ، ج ١١ ، ص ٦٠١) تكمن في التالي :

أ — " نواتا أفنان " : أي أغصانها صغيرة نديه نضرة .

ب — " فيهما عينان تجريان " : أي ماؤها غزير ، وسهل ويسير .

ج — " فيهما من كل فاكهة زوجان " : الفواكه فيها متنوعة .

د — " متكئين على فرش بطائنها من إستبرق " : الإستبرق : المخمل

الحرير السميك .

د — " وجنى الجنتين دان " : ثمارها قريبة التناول ، أي لا يتعب من

يتناولها في قطافها ، ولا يتأذى بشوكها .

و — " فيهن قاصرات الطرف " : فيهن عفيفات الشعور والنظر .

ز — " لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان " : مصونات لم يمسهن إنس ولا

جان ولم يقربونهن .

ح - " كأنهن الياقوت والمرجان " : ناضرات لامعات في صفاء الياقوت

وبياض المرجان . ويروي - الطبري - مع تفسير هذه الآيات

حديثاً عن الرسول عليه الصلاة والسلام في وصف - قاصرات

الطرف - عن ابن مسعود أنه قال عليه الصلاة والسلام : " إن المرأة

من أهل الجنة يرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير ومخها " . (البخاري ، كتاب

بدء الخلق ، ج ٦ ، ص ٣٦٧)

آ - الخوف من الموت وعذاب القبر : وتشير إلى هذا الخوف الآيات الكريمة

التاليات التي يقول فيها جل من قال : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا

كُنْتُمْ مِنْهُ تَحِيدُونَ ﴾ (سورة ق ، آية ١٩) . ﴿ قُلْ إِنْ أَلْمَمْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَقُلْتُمْ مَوْلَايَ وَمَا لَنَا أَعْقَابًا مَتَّبِعِينَ كَلِمَةَ رَسُولٍ مَا أَفَعَالَى الْوَجْهِ الْعَمِيءِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَهُ يُحِقُّونَ

مِنْهُ فَإِنَّهُمْ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (سورة الجمعة ، آية ٨) .

هذا الخوف من الموت يقترن بالخوف من عذاب القبر ، فالمؤمن

يخافه؛ خشية أن يكون مقصراً في طاعة ربه عز وجل ، والكافر يخافه

ويخشاه ؛ لأنه يعرف سوء أعماله ، لذا يقول رب العزة والجلال أنه مهما

خاف الإنسان ومهما هرب من الموت فإنه لا بد أن يلاقيه فليستعد له ، فيقول

سبحانه وتعالى : ﴿ أَيِنَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ

مُشِيدَةً وَإِن تَصِبَّهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِن تَصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ

يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ

يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ (سورة النساء ، آية ٧٨) . وقوله جل من قال : ﴿ وَلَنْ

يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ (سورة المنافقون ،

آية ١١) .

٣ - الخوف من اليوم الآخر وأهوال يوم القيامة : المسلم الحق مهما قدم من

أعمال ومهما تقرب إلى الله بالطاعات إلا أنه لا يزال يخشى أن يكون مقصراً

في طاعته ، فنجد أن خوفه هذا يدفعه إلى المزيد من التقرب إلى الله خشية

منه ، وخشية من أليم عقابه في اليوم الآخر ، الذي وصفه عز وجل في كتابه

الكريم بـ ﴿ يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ (سورة الإنسان ، آية ١٠) و﴿ يَوْمًا

كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ (سورة الإنسان ، آية ٧) لأهوال ذلك اليوم ، وما فيه

من شر مستطير ينزل بمن نزل عليهم غضب من الله سبحانه وتعالى ، يجعل

هذا الغضب الولدان شيبا ، كما تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع

كل ذات حمل حملها ، و يُرى فيه الناس سكارى وما هم بسكارى ، إلا من

رحم الله وعفا عنهم ، ووقاهم شر ذلك ولقاهم نضرة وسرورا ، جعلنا الله منهم

إنه سميع مجيب . (الرازي ، د.ت ، ج ٣٠ ، ص ٢٤٤) و (الطبري ، ١٣١٢ هـ ، ج

٦ ، ص ٥٤٠)

٤ — الخوف من سوء الخاتمة : وإلى سوء الخاتمة التي يجب أن يخاف منها

الإنسان المسلم أشار حديث الرسول عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه " إن

أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل

أهل النار ، فيدخلها . وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق

عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " . (مسلم ، كتاب القدر ، ج ٨ ، ص ١٤٤)

٥ — الخوف من عدم إقامة حد من حدود الله أو من عدم تطبيق أمر منه سبحانه :

كالخوف من إقامة العدل بين الزوجات ، أو الخوف من عدم عدل الولي في

أموال اليتامى ، أو الخوف من نشوز الزوجات وغيره مما يطبق فيه حد من

حدود الله ، كما ورد في بعض الآيات الكريمة التي تقول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (سورة النساء ، آية ٢) . ﴿ أَلْطَلْقُ مَرَّتَانٍ فَمَا سَاكُ بِمَعْرُوفٍ

أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ

يَخَافَ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ إِلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا
 فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣١﴾ (سورة البقرة ، آية ٢٢٩) .

٦- الخوف من ابتلاء الله : الدنيا دار ابتلاء وامتحان ؛ ليتبين الصادق من
 الكاذب، وليتبين المؤمن الحق ذي البصيرة من المنافق أو الشاك والمرتاب ،
 والمسلم الحق يخاف من هذا الابتلاء ، ويخاف من ارتكاب الخطأ صغيراً كان
 أم كبيراً أمام هذا الابتلاء . (الطبري ، ١٤٢١هـ ، ج ٢ ، ص ٤٤) ، وإلى ذلك
 الابتلاء أشارت الآية الكريمة التالية : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ

وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾

(سورة البقرة ، آية ١٥٥) . وهذا الابتلاء ستكون له عاقبة وجزاء ، فمن صبر
 وآمن بقضاء الله تكون عاقبته ما أشارت إليه الآية الكريمة : ﴿ أُولَئِكَ

عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ (سورة البقرة،

آية ١٥٧) .

وأيضاً إلى حسن العاقبة تلك أشار حديث الرسول عليه الصلاة والسلام

الذي يقول فيه : " ما من مسلم يصاب بمصيبة فيفرج إلى ما أمر الله به ، من قوله : إنا لله وإنا

إليه راجعون . اللهم عندك احتسب مصيبي ، فأجرني فيها ، وعوضني منها . إلا أجره الله عليها ،

وعاضه خيراً منها " . (ابن ماجة ، كتاب الجنائز ، ج ١ ، ص ٥٠٩)

وأما من لم يصبر ، ولم يؤمن بقضاءه جل وعلا فقد وصفتهم الآيات

القرآنية بأنهم من القانطين اليائسين من رحمة الله وذلك في قوله جل من قال :

﴿ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ (سورة الحجر ، آية

٥٦) . ﴿ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ

الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة يوسف ، آية ٨٧) وبالتالي يكون مصير القانطين واليائسين

من روح الله الضلال المبين والكفر .

٧ - الخوف على الأبناء : وهذا الخوف نابع من دافع الوالدية ، فالوالدان يخافا على

أبنائهما من أي مكروه يصيبهم ، والدليل على ذلك خوف نبي الله يعقوب على

ابنه يوسف عليهما السلام ، حين طلب منه إخوته أخذ يوسف معهم فقال لهم :

﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَدْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ

عَافِلُونَ ﴾ (سورة يوسف ، آية ١٣) . وكذلك خوف أم موسى عليه السلام من

ظلم فرعون وأهله ، حيث توضح الآية الكريمة التالية خوفها هذا : ﴿ وَأَوْحَيْنَا

إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا

تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة القصص ، آية

٧) .

إن القصص القرآني الكريم يرشدنا إلى عاقبة من يصبر إذا ابتلى في
أبنائه بشيء من مسببات الخوف عليهم ، وهذا ما ترويهِ سورة يوسف في آيتها
التي توضح الطريقة التي استقبل فيها أبوه يعقوب نبأ أكل الذئب ليوسف كما
بلغ من إخوه يوسف الحاقدين عليه حين قال : ﴿ وَجَاءُو عَلَيَّ قَمِيصِي بِدَمٍ
كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا
تَصِفُونَ ﴾ (سورة يوسف ، آية ١٨) .

وبعد أن ابيضت عينا يعقوب حزناً وكمداً على يوسف وأخيه تأتته عاقبة
الصبر، والكظم للحزن والخوف على ولديه ، هذه العاقبة توضحها الآية التي
يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيَّ يَوْسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ
وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ
سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتِبِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ
أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ
الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
﴾ (سورة يوسف ، آية ٩٩-١٠٠) .

وكذلك في قصة أم موسى عليه السلام حين يأتيها الإحياء المطمئن المبشر
بالخير ، هذا الإحياء جعل من القلب الخائف الوجل على موسى عليه السلام من

فرعون وهامان وجنودهما ؛ قلباً فيه بردٌ وسلامٌ وطمأنينةٌ ، هذه الطمأنينة جعلتها تمتثل لأمر الله عز وجل ، فتلقي ابنها في اليم ؛ لأنه سبحانه وتعالى المتلطف على عباده ، أراد لهذه الأم الخائفة الجزعة ، التي طار عقلها من شدة خوفها على ابنها أن تكون عاقبة أمرها من المؤمنين . (الرازي ، د.ت ، ج ٢٤ ، ص ٢٢٨) و (قطب ، ١٣٩٨ هـ ، ج ٥ ، ص ٢٦٧٨) . كما تشير الآية الكريمة التي تقول : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِعًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة القصص ، آية ١٠) .

ولتصل هذه الأم الخائفة لدرجة المؤمنين ؛ أنتها البشارة منه سبحانه وتعالى ، البشارة التي جعلتها تؤمن بقضاء الله ، وتركن إلى عهده لها ، الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَن أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ ۖ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة القصص ، آية ٧) .

٨ - الخوف من بعض آيات الله : آيات الله عز وجل كثيرة في هذا الوجود بعضها يرسلها رب العزة والجلال تخويفاً للعباد للعبارة والعظة ، وأخذ الحيطة والحذر ، وفي هذا علاج وقائي رباني ، وبعضها الآخر إنذار جزئي بما سيصيب الإنسان المنحرف عن الطريق المستقيم في الآخرة ، وفي بعض من هذه الآيات علاج نهائي لوضع الحل الحاسم لبعض النفوس ، التي لا تجدي معها الخطوات

السابقة، فيقع العقاب الحاسم الذي ينهي الموضوع ، ويكون في هذا العقاب تخويف ، ومثل لمن لا يخاف الله عز وجل وآياته ، فيصبح ظالماً لنفسه ، ذلك أن آيات الله عز وجل لها جانبان ، جانب فيه منفعة وتسبيح لله ، وحمد على نعمه وآلائه ، وجانب آخر فيه عقوبة وهلاك . فمثلاً : نزول المطر بالنسبة للمسافر يسبب خوفاً له لأن المطر يجعل الطريق وعثاً ، أما بالنسبة للمقيم فيكون فرحاً وطمعاً في غيث الله وما يؤثر به هذا الغيث من إنبات للزرع ، والاستفادة منه في السقيا والرعي ، وما إلى ذلك . (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج ٧ ، ص ٣٥٩ و٣٥٨ ، ص ١٧٦) ، وإلى هذا تشير الآية الكريمة التي تقول : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ ﴿١٣﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٤﴾ (سورة الرعد ، آية ١٢-١٣) . كما يقول جل من قال : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَعَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ ﴿٥٩﴾ (سورة الإسراء ، آية ٥٩) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ (سورة الروم ، آية ٢٤)

وإلى العقوبة بآيات الله يروي الطبري (ج ٧ ، ص ٣٦١) حادثة وقعت

في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، يرويها عن أنس بن مالك أنه قال : "

بعث النبي صلى الله عليه وسلم مرة رجلاً إلى رجل من فراعنة العرب أن ادعه لي ، فقال : يا رسول الله ،

إنه اعنى من ذلك ! قال : أذهب فادعه . قال فأتاه فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك !

فقال : من رسول الله ؟ وما الله ؟ أمن ذهب هو ، أم من فضة ، أم من نحاس ؟ قال : فأتى الرجل النبي

فأخبره ، فقال : " ارجع إليه فادعه " . قال : فأتاه فأعاد عليه ، ورد عليه مثل الجواب الأول . فأتى النبي

فأخبره ، فقال : " ارجع إليه فادعه " ! قال : فرجع إليه ، فبينما هما يتراجعان الكلام بينهما ، إذ بعث

الله سبحانه بجبال رأسه فرعدت ، فوعدت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه ، فأنزل الله : ﴿ وَيُرْسِلُ

الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَدِّلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ

﴾ .

٩- الخوف من الفقر : هذا الخوف أشارت إليه الآية القرآنية التي توضح خوف المسلمين

من الفقر عند ما حرم الله عز وجل دخول المشركين إلى المسجد الحرام ، لكنه

جل وعلا وضع لهم أنه هو المتكفل بأمر الرزق ، وأنه هو وراء الأسباب ، فحين

يشاء يغلق باباً ويفتح أبواباً أخرى . قطب (١٣٩٨هـ ، ج ٤ ، ص ٢٢٢٣) ، فيقول

سبحانه وتعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا

يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ (سورة التوبة ، آية ٢٨) .

وكذلك الآيات الكريمة التي تنهى عن قتل الأولاد خشية الفقر بسبب كثرة

عددهم ، أو قتلهم بسبب فقر الآباء أصلاً ، فالرزاق هو الله ، وهو الذي يبسط

الرزق لمن يشاء ويقدر . (الرازي ، د . ت ، ج ١٣ ، ص ٢٣٢) ، فلننظر في تلك

الآيات التي يقول فيها جل من قال : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ

نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خِطَاً كَبِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، آية ٣١) .

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ

إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا

بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَّكُمْ بِهِم لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الأنعام ، آية ١٥١) .

١٠ — الخوف من الطغاة والظالمين وغدرهم وخيانتهم : هذا الخوف ورد على لسان

سينا موسى عليه السلام عندما أمره الله عز وجل أن يذهب إلى فرعون

ويبلغه رسالة ربه في سور متعددة في القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ

نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أُنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢٤﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي
 فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ ﴿١٢٥﴾ وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٢٦﴾ قَالَ كَلَّا
 فَآذِهِمَا بِبِئَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴿ (سورة الشعراء ، آية ١٠-١٥) . وقوله
 جل من قال : ﴿ آذِهِمَا أَنْتَ وَأَخُوكَ بِبِئَاتِنِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ ﴿١٢٨﴾ آذِهِمَا
 إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٢٩﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿١٣٠﴾
 قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَقْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطَّغَى ﴿١٣١﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي
 مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿١٣٢﴾ ﴿ (سورة طه ، آية ٤٢-٤٦) .

ويطمئن رب العزة والجلال الإنسان المسلم ، ويرشده إلى طريقة

يتخلص بها من الخوف من الطغاة والظالمين وجورهم فيقول سبحانه : ﴿ إِنَّمَا

ذَالِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٣٥﴾

(سورة آل عمران ، آية ١٧٥) .

خامساً : الانفعال العجيب : يعرف الحب بأنه " استحسان الشيء والرغبة فيه ، وإظهار الود له".

(ابن منظور، د. ت ، ج ٢ ، ص ٧٤٢)

والحب من الانفعالات الهامة في حياة الإنسان ؛ لأنه العامل الأساسي المكون للأسرة ثم

المجتمع ؛ فالطفل إذا نشأ في جو مشبع بالحب والعطف والحنان ينمو نمواً سوياً ، وهذا النمو

السوي يجعله يشعر بالأمن والطمأنينة فيصبح إنساناً مرتبطاً بأسرته محباً لها ، وبالتالي ينعكس

ذلك الحب والطمأنينة الأسرية على علاقات الإنسان مع مجتمعه ، فتنشأ من هنا العلاقات الإنسانية القائمة على التعاون والتماسك والتكامل .

أما إذا حُرِمَ الإنسان من ذلك الحب من طفولته لأي سبب كان ؛ فإنه يفقد الطمأنينة والأمن ، ويصيبه القلق وتضطرب شخصيته ، ويتولد لديه الشعور بالنفور من الأسرة وبالتالي المجتمع ، الأمر الذي يؤدي إلى انعدام العلاقات الإنسانية بين هذا الإنسان وبين المجتمع الذي يعيش فيه (نجاتي ، ١٤٠٩هـ ، ص ٧٧) .

وإلى أسمى عاطفة إنسانية يمتلكها الإنسان ، وردت آيات متعددة ، وأحاديث نبوية توضح للإنسان المسلم درجات انفعال الحب ، وكيفية توجيه هذا الانفعال ؛ ليصبح عاطفة هادئة تحقق رضاء الله عز وجل ، ومن ثم رضاء الإنسان عن نفسه وعن مجتمعه ، وهذا ما سيوضح في درجات الحب .

درجات الحب كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية :

إن للحب درجات متعددة ستبدأ الباحثة بنكر هذه الدرجات من أعلاها ثم التي تليها ،

وهكذا :

١ - حب الله عز وجل : وهو أعلى درجة من درجات الحب الإنساني وأسمى أنواعه .

هذا الحب يحقق السعادة في الدارين الدنيا والآخرة ، وهو الأساس الذي تقوم عليه

بقية الدرجات المختلفة في الحب ؛ لأن حب الله عز وجل إذا سكن في قلب

الإنسان ؛ وجه هذا الحب كل الأفعال والتصرفات والأقوال التي تصدر عن

الإنسان إلى ما يحبه الله ويرضاه ، فتسمو تبعاً لذلك الدرجات التي تلي درجة حبه

جل وعلا ، وفي هذا الحب يقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ

اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ

ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

(سورة البقرة ، آية ١٦٥) ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ

يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ

يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن

يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٦﴾ (سورة المائدة ، آية ٥٤) .

وإلى حب الله عز وجل ، و ما يحققه هذا الحب للإنسان من منافع دنيوية

وأخروية ، يقول صلى الله عليه وسلم : "من أعطى الله ، ومنع الله ، وأحب الله ، وأبغض الله ،

وانكح الله فقد استكمل إيمانه." (الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، ج ٤ ، ص ٥٧٨)

وإذا أحب العبد خالقه عز وجل ووجه كل أعماله في الدنيا إلى حبه جل وعلا ،

أحبه الله ، كما أن حب الله للإنسان يترتب عليه أمور متعددة يذكرها صلى الله

عليه وسلم في حديثه الذي يقول فيه : " إذا أحب الله عبداً نادى جبريل أن الله يحب فلاناً

فأحبه ، فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء : أن الله يحب فلاناً فأحبهه ، فيحبه أهل السماء ،

ثم يوضع له القبول في أهل الأرض ." (البخاري ، كتاب الأدب ، ج ١٠ ، ص ٤٧٦)

آ - حب الرسول عليه الصلاة والسلام : بعد حب الله عز وجل يأتي حب الرسول

عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ، وهذا الحب واجب على كل مسلم

ومسلمة ، إذ أقرن الله سبحانه وتعالى حبه بحب رسوله عليه الصلاة والسلام في

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ٣١) من الآية الكريمة يتبين

أن الله عز وجل جعل اتباع نبيه محمد عليه الصلاة والسلام علماً لحبه سبحانه

وتعالى ، وعذاب لمن خالفه . (الطبري ، ١٤١٢هـ ، ج ٣ ، ص ٢٣١)

وكذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ٣٢) . أيضاً قوله جل من قال : ﴿ وَمَنْ

يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ

وَالشُّهَدَاءِ وَالصّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (سورة النساء ، آية ٦٩) .

والآيات كثيرة حول حب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وطاعته ، واتباع سنته .

وإلى فضل حب الرسول عليه الصلاة والسلام يشير حديثه الذي يروى

عنه أن : " رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم : متى الساعة يا رسول الله ؟ قال ما أعددت

لها ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ، ولكي أحب الله ورسوله . قال : أنت مع

من أحببت " . (البخاري ، كتاب الأدب ، ج ١٠ ، ص ٥٧٢)

وأيضاً قوله عليه الصلاة والسلام : " أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب

الله ، وأحبوا أهل بيتي لحي ". (الترمذي ، كتاب المناقب ، ج ٧ ، ص ٦٢٢)

٣ - حب النفس (الذات) : هذا الحب يرتبط ارتباطاً وثيقاً بدافع حفظ الذات ، فنجد

الإنسان يحب كل ما يجلب له المنفعة ويحقق له السعادة ، وحب الإنسان لنفسه ينقسم إلى نوعين ، هما :

أ - حب مرضي يتسم بالأنانية والرجسية والغرور والتكبر والزهو

والعجب ، فيصبح كل ذلك مصدر فساد وشقاء للنفس ، ومنشأ ذلك كله

قد يكون واحد من عدة أمور : كأن يكون حباً مبالغاً فيه يصل إلى

درجة الإفراط ، وقد يكون رد فعل عكسي لمشاعر النقص وعدم

الكفاءة ... وغيرها ، وهذا جميعه دليلاً على وهن الصحة النفسية .

ب - حب صحي يكون فيه رضا عن الذات ، وتقبل لها ، وثقة فيها ، مما يدفع

بالإنسان إلى تنمية هذه النفس وتزكيتها ، وهذا الحب يعتبر دليلاً على

الصحة النفسية ، لأنه حب معتدل لا يوجد فيه إفراط ولا تفريط .

(مرسي ، ١٤١٣هـ ، ص ٢٧٢)

وإلى حب الذات المرضي وعواقبه الوخيمة أشارت بعض الآيات القرآنية

الكريمة منها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ (سورة النساء ، آية ١٠٧) . فخيانة النفس تأتي عن

طريق ظلم النفس بحب ارتكاب المعاصي والبعد عن الطاعات مثل : الأناية التي تصل بالإنسان إلى تفضيل نفسه عن الآخرين حتى لو أدى هذا الأمر إلى سحق الآخرين أو أذيتهم . (الرازي ، د.ت ، ج ١١ ، ص ٣٤)

وإلى علاج هذا الحب المرضي أيضاً يقول رب العزة والجلال : ﴿ وَمَنْ

يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (سورة

النساء ، آية ١١٠)

٤ - حب الآخرين - الغير - : هذا الحب فيه تضحية وعطاء وغيرية ، ولتعميق نوعية

هذا الحب ترشد الآية القرآنية الناس إلى أنهم جميعهم مشتركون في الخلقة من

نفس واحدة ، فلا فرق بينهم في التسوية ؛ لأنهم جميعاً يعودون إلى نفس واحدة

في الخلق ، والفروق بينهم تكمن في التقوى ، فنقول الآية الكريمة : ﴿ يَأْتِيهَا

النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ

مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (سورة النساء ، آية ١)

إن تعويد النفس على حب الآخرين مفتاح لسعادة وطمأنينة النفس الإنسانية ،

كما أنه مصدر تماسك المجتمع . فمن يُحِبُّ يُحَبُّ ويشعر بالأمن والتقدير ، كما أن

الحب المتبادل يشبع حاجات نفسية اجتماعية للطرفين ، الفرد والمجتمع . (مرسي،

١٤١٣هـ ، ص ٢٧٣)

وحب الذات وحب الغير يسيران جنباً إلى جنب في معظم الأوقات لدى الناس ، ولكن بدرجات متفاوتة ؛ ففي بعض الأحيان نشاهد حب الغير قد اشتد إلى درجة عالية جداً ، بحيث يضحي الأفراد بأنفسهم وبأعز ما يملكون من أجل الغير ، ومن أجل المصلحة العامة أو الجماعية ، كما أننا نشاهد العكس في بعض الحالات، فنجد بعض الأفراد الأنانيين الذين يريدون كل الخير لأنفسهم فقط ، يهملون حقوق الجماعة بل ويستغلونها بهدف الوصول لتحقيق الذات . (السيد وآخرون ، ١٤١١هـ ، ص ٤١٦)

والمتمائل للآيات القرآنية الكريمة التي تحبب في حب الغير وتحدد مجالاته ، وكذا الآيات الأخرى التي تنفر من الأنانية وظلم الآخرين نتيجة لحب الذات المرضي ؛ سيجد فيها خير معين على التوفيق ما بين حب الذات وحب الغير ، من هذه الآيات الكريمت قوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْأَيْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْبَيْتِ وَاللِّتْقَوَىٰ وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (سورة الحشر ، آية ٩) . ﴿ وَإِن طَلَقْتُمْوهنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (سورة البقرة ، آية ٢٣٧) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا

الْقَلْبِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ

فَأَصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن

تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٦﴾ (سورة المائدة ، آية ٢٦) . ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ (سورة

البقرة ، آية ١٩٥) . ﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ

يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨٦﴾ ﴿

(سورة الممتحنة ، آية ٨) . ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ (سورة البقرة ، آية ١٩٠) . ﴿ وَأَمَّا

ءَامَنُوا الَّذِينَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

﴿٥٧﴾ (سورة آل عمران ، آية ٥٧) . ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ (سورة النساء ، آية ٣٦)

هذا ويوضح الرسول عليه الصلاة والسلام الكيفية التي نحب بها الآخرين

في أحاديث متعددة هذه بعضاً منها للتدليل :

" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعلم من يعمل

بهن؟ فقال أبو هريرة : أنا يا رسول الله ، فيقول : أخذ بيدي فعد خمساً ، وقال : اتق المحارم تكن أعبد

الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارِك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب

لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب . (الترمذي ، كتاب الزهد ،

ج ٤ ، ص ٤٧٨)

" إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه إياه . (الترمذي ، كتاب الزهد ، ج ٤ ، ص ٥١٧)

" أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بعدة أمور هي : فك العاني ، إجابة الداعي ، عودة المريض ، إتباع

الجنائز ، تشميت العاطس ، إبرار المقسم ، نصره المظلوم ، إفشاء السلام . (البخاري ، كتاب النكاح ، ج

٩ ، ص ١٤٩)

وحب الغير يتمثل في التالي :

١ - حب الوالدين .

٢ - حب الأبناء .

٣ - حب الأزواج .

٤ - حب الأقارب .

٥ - حب الجيران .

٦ - حب الفقراء والمساكين ، وغير ذلك .

مأحداً : انفعال الحزن : الحزن هو " ألم يلزم القلب تأسفاً على ما قد مضى من مواقف وأحداث " . (علي ، ١٤١٧هـ ، ص ٣٤٦)

وأيضاً يعرف عبد الجابر (١٤١٠هـ ، ص ٢٠٥) الحزن بأنه : " انفعال يعبر عن مشاعر الضيق والأسى والخيبة والفشل والعسر وغير ذلك ، عندما يواجه الفرد المواقف والأحداث التي تتضمن ما يؤدي إلى الإحباط والحرمان والفشل في الاختيار لحل الصراع ، وبما يتعرض له من بأساء وضراء " .

هذا الألم الذي يلزم القلب ، و يولد مشاعر الضيق للإنسان يكون مصدره شيئين هما :

١- الغم : وهو ألم في القلب نتيجة لأحداث مضت .

٢- الهم : وهو ألم يلزم القلب بسبب توقع مكروه لما يستقبل أو يجيء ويأتي .

إذا فالغم للماضي ، والهم للمستقبل وما هو آت ، والغم والهم يؤديان للحزن ، فمن اغتم لما مضى من ذنوب نفعه غمه على تفريطه فيتوب إلى الله ويعود إليه ، ومن اهتم لعمل خير نفعه هذا الهم في القيام بهذا العمل . والاتقان الغم والهم يعودان على الإنسان بالفائدة إذا توجهها لأعمال الخير النافعة للإنسان في الدنيا والآخرة ، لكنهما قد يكونا ضارين على النفس إذا جعلها الإنسان يتقاعس ويبأس من ما مضى وعمل ما هو آت ، فالمفقود لا يعود ، والقادم بيد الله عز وجل . (حلمي ، ١٤١٢هـ ، ص ص ١٥٣-٣٥٥) و (علي ، ١٤١٠هـ ، ص ١٠٧)

وبما أن انفعال الحزن ينشأ نتيجة لتفريط الإنسان في طاعة ، أو ارتكاب معصية فيما مضى من عمره ، أو خوف من عدم القدرة على القيام بالطاعة ، أو عدم القدرة على رد

معصية، فما هي الأسباب التي تؤدي بالإنسان إلى الإحساس بهذا النوع من الانفعالات ؟

الأسباب المؤدية للحزن : لقد ورد نكر أسباب متعددة مؤدية للحزن في كتاب الله عز

وجل، وفي أحاديث رسوله عليه الصلاة والسلام ، من هذه الأسباب التالي :

١ - الحزن على فوات طاعة أو ارتكاب معصية : هذا الحزن وصفته الآية القرآنية الكريمة

التي يقول فيها جل من قائل : ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ

يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَتَيْبَكُمُ غَمًّا بَعْمًا لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ

وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٥٣) .

هذه الآية تنزلت في حادثة غزوة أحد التي عصى فيها الرماة أمر الرسول عليه

الصلاة والسلام، ونزلوا عن الجبل بهدف جمع الغنائم ، وتركوا بذلك الطاعة التي

عليها ثواب الآخرة ، وآثروا الدنيا عليها ، فكانت عقوبتهم من الله عز وجل أن

أصابهم الغم والكرب ، وقيل عن أسباب هذا الغم أنه كان بسبب وقوع الهزيمة لهم

في هذه الموقعة ، وأيضاً على ما فاتهم من الغنيمة ، وسماعهم نبأ قتل الرسول عليه

الصلاة والسلام ، وكثرة القتلى من صفوف المسلمين .

ف ما فاتكم أي الغنائم التي كانوا يرجونها ، ما أصابكم الهزيمة والقتل . (الطبري ،

١٤١٢هـ ، ج ٣ ، ص ٤٧٨)

٢ - الحزن على عدم القدرة على إتيان طاعة ، وهذا ما توضحه الآية الكريمة التي يقول

فيها سبحانه وتعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ

لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
 مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا
 أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ
 ﴿١٢﴾ (سورة التوبة، آية ٩١-٩٢) . والآية توضح أصحاب الأعداء الحقيقية الذين يسقط

عنهم الجهاد في سبيل الله وهم : الضعاف المعتلون الصحة بالفطرة ، والشيخوخ الذين
 يعانون ضعفاً في أجسامهم ، والمرضى مثل أصحاب العمى ، والعرج ... وغيره ،
 والذين لا يجدون الزاد والراحلة والنفقة ، بشرط أن يمتنعوا عن إثارة الفتن والقلاقل
 عند إقامتهم في البلد مع خدمة بيوت من خرجوا للجهاد . ومع ذلك العذر لهم من الله
 عز وجل ورسوله ، فإن مجموعة منهم فاضت أعينهم من الحزن ، لأنهم لم
 يستطيعوا المشاركة في الجهاد . (الرازي ، د . ت ، ج ١٥ و ١٦ ، ص ١٥٩)

٣ - الحزن الذي يصيب الإنسان المسلم عند ما يرى مواقف الكفار ، والعصاة ، والطغاة
 الذين لا يستجيبون لأمر الله عز وجل : وهذا ما ذكر في آيات كثيرة من حزن الرسول
 عليه الصلاة والسلام حينما كان يرى كفار مكة لا يستجيبون لدعوته بالإيمان وبما
 أنزل عليه من ربه وكذا بقية الرسل ، فيقول رب العزة والجلال في آياته التاليات :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا

بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ

لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا

فَاخْذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاخْذُرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ (سورة المائدة ، آية ٤١). ﴿قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ

فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ (سورة الأنعام ، آية

٣٣). ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ (سورة

يونس ، آية ٦٥)

٤ — الحزن عند الإصابة بمرض مفسد للبدن : وللصبر على هذا المرض المحزن جزاء من

الله عز وجل يبشر به صلى الله عليه وسلم المحزون الصابر لهذا المرض ، فيقول عليه

الصلاة والسلام : " إن الله قال : إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة " والمراد

بحبيبتيه : عينيه . وسميت بذلك لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدتهما

من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه (البخاري،

كتاب المرضى ، ج ١٠ ، ص ١٢٠)

٥ — الحزن عند فراق حبيب أو فقدانه ، كحزن يعقوب على فراق ابنه يوسف عليهما السلام:

﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ

﴿ (سورة يوسف ، آية ٨٤) وكذلك حزن أم موسى عليه السلام حين وضعتَه في

الصندوق وألقته في اليم ، فهلج قلبها عندئذ وحزنت عليه فجاءها الإلهام من الله عز

وجل يبشرها ويطمئنها في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاِذَا

خِفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ

الْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة القصص ، آية ٧) . وكذلك حزن نبينا محمد عليه الصلاة و

السلام عند موت ابنه إبراهيم ، وتعبيره عن ذلك بقوله : " إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا

قول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك يا إبراهيم لحزونون " . (البخاري ، كتاب الجنائز ، ج ٣ ، ص ٣٠٦)

هذه الأسباب المؤدية للحزن والمؤثرة في النفس والجسم لم يتركها رب العزة

والجلال المطلع على شؤون عباده تعمل في نفس العبد المسلم كعمول هدم لشخصيته ؛

وإنما تناولها سبحانه وتعالى بالتوجيه والإعلاء ، واكمل عليه الصلاة والسلام وفسر

هذه التوجيهات في أحاديث متعددة له ، تتمثل بعض هذه التوجيهات في التالي :

توجيهات القرآن الكريم والمنة النبوية لانفعال الحزن : من التوجيهات القرآنية

والنبوية التي تبين للإنسان المسلم طريقة التعامل مع المواقف المحزنة التي يصاب بها الإنسان

ويبتلى ما يلي :

١ — الإيمان بالله عز وجل ، وبقدرة خيره وشره ، وليعلم الإنسان أن الدنيا موضوعة على

الفرح والكد ، والبناء والنقض ، والجمع والتفريق ، فكل شيء فيها لا يد أن يفنى

ويزول، ما عدا الحي الدائم الذي لا يموت أبداً ، فينبغي على الإنسان أن يهين نفسه دائماً

لهذه الحقائق ، ولا يطلب من الدنيا ما لم يكتب له . (حلمي ، ١٤١٢هـ ، ص ١٥٤)

فإذا آمن الإنسان بكل ذلك يصبح ممن أشارت إليه الآية الكريمة التي يقول فيها

سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَرَىٰ مَنْ ءَامَنَ

بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة المائدة،

آية ٦٩) .

٢ - اللجوء للدعاء في حالة الإصابة بمصيبة ، أو توقع حدوث مصيبة ، تأسياً برسول الله عليه

أفضل الصلوات وأزكى التسليمات ، في دعائه الذي كان يتعوذ فيه من عدة أشياء ، ومن

ضمنها الحزن ، فيقول صلى الله عليه وسلم : " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز

والكسل، والبخل والجبن ، وضلع الدين وغلبة الرجال " . " لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب

السموات والأرض ورب العرش العظيم " . (البخاري ، كتاب الدعوات ، ج ١١ ، ص ١٧٧)

٣ - لزوم الاستغفار والحوقة والترجيع ، وهو ما توجهنا له الآيات القرآنية الكريمة التي

تحضنا على الاستغفار في قوله تعالى : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠٠﴾

﴿ (سورة نوح ، آية ١٠٠) . وقوله جل من قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن

ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلثَهُ وَطَافِيَةَ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمَ أَنْ

لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ

وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ط
فَأَقْرَعُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا
تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ (سورة المزمل ، آية ٢٠) .

وإلى الحوقلة وفائدتها عند الكرب يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " لا حول ولا قوة
إلا بالله كرز من كوز الجنة " . (مسلم ، كتاب الذكر والاستغفار ، ج ٨ ، ص ٧٣) ، والترجيح ورد في
قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ
عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ (سورة البقرة ، آية
١٥٦-١٥٧) .

٤ — الصلاة عند الحزن ووقوع المصيبة ، للآية التي يقول فيها سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ
يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمَاتَ اللَّهُ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ (سورة البقرة ، آية
١٥٣) .

هذا ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يلجأ إلى الصلاة إذا حزبه أمر ، لقول ابن

عمر رضي الله عنهما : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه ^(١) أمر فزع إلى الصلاة " .

(النسائي، كتاب المواقيت ، ج ١ ، ص ٣١٥)

٥ - الصبر عند المصيبة، فالمؤمن عليه أن يعرف أنه مبتلى من رب العزة والجلال ، ومما

يبتلى به الحزن ، وهو يثاب عليه ، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام : " ما يصيب المسلم

من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من

خطاياها " . (البخاري ، كتاب المرضى ، ج ١٠ ، ص ١٠٧)

سابعاً: الفرح والسرور : الفرح : " نقيض الحزن ، وهو أن يجد الإنسان في قلبه خفة

ورضا " (ابن منظور ، د.ت ، ج ٥ ، ص ٣٣٧١) . كما يعرف الفرح أيضاً بأنه " انبساط في النفس

والقلب بنيل ما يشتهي " . (علي ١٤١٧هـ ، ص ٣٤٤)

أما السرور " فهو من السرو ، ومعناه : كشف وإزالة الألم والخوف عن الفؤاد " . (ابن

منظور ، د.ت ، ج ٣ ، ص ٢٠٠٤)

والفرح والسرور كلاهما يجتمعان في انبساط القلب إذا نال ما تمناه ، أو حصل على ما

يريد أن يحصل عليه الإنسان من : مال ، أو نفوذ ، أو علم ، أو تقوى ، أو جاه ، أو أبناء ...

وغيره ، إلا أن هناك فرقاً بسيطاً بينهما يكمن في أن انفعال الفرح يكون التعبير عنه بسلوك

خارجي ظاهر مشاهد ، أما انفعال السرور فيكون إحساساً داخلياً يشعر معه الإنسان بالطمأنينة

١- حزب : أي نزل عليه أمر شديد أو مهم أو أصابه غم ، كما جاء في لسان العرب .

والسكينة أي هو يُحس .

وأكثر ما يكون الفرح عادة في الملذات الحسية المادية ، من هنا كان متاع الحياة الدنيا مصدر فرح للإنسان ، فيفرح الإنسان بالصحة ، وسعة الرزق ، ووفرة المال وكثرة البنون ، وغازاة العلم ، والمكانة الاجتماعية العالية ... وغير ذلك ، بينما السرور يكون في الأمور المعنوية مثل الطمأنينة والأمان النفسي والإحساس بالسكون . لذا يرى القرآن الكريم في غالية آياته يشير إلى ما يصيب العباد أثناء تحقيقهم للمتعة الدنيوية بالفرح وذلك في قوله تعالى: ﴿ اللهُ

يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا

مَتَعٌ ﴿٢٦﴾ (سورة الرعد ، آية ٢٦) . ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنْ

الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ (سورة غافر ، آية ٨٣) . ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ

بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿١٠٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٠٤﴾

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿١٠٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٦﴾

﴿ (سورة المؤمنون ، آية ٥٣ - ٥٦) . ﴿ وَلَئِن أَدْقَنَهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَّسَّتْهُ لَيَكْفُرَنَّ ذَهَبَ

السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠٧﴾ (سورة هود ، آية ١٠) .

فمثلاً إن الفرح بالعلم بغرض التباهي لا يجدي ، لأن العلم بغير إيمان فتنة ؛ تعمي

الإنسان وتجعله يطغى ، عندها يتجاوز هذا الإنسان بنفسه قدرها ومكانها وينسى ما جهله ، فلو

أنه قاس ما يعلم إلى ما جهل لخفف ذلك من كبريائه وفرحه الذي يستخف به الناس الآخرون .

وكذلك أشارت آية سورة المؤمنون بمن يفرح لكثرة المال أو البنين ، فجعلته هذه الكثرة يطغى على الآخرين ، كما تلهيه هذه الكثرة أحياناً عن حمد المنعم المتفضل عليه بهذه النعم وشكره ، وينسى الإنسان أن هذه النعم قد تكون ابتلاء وفتنة من خالقه سبحانه وتعالى ، فليعلم الإنسان أن هذا الفرح زائل لا محالة لأنه متاع من متاع الدنيا فقط ، والحياة الدنيا مصيرها إلى فناء . (قطب ، ١٣٩٨ هـ ، ج ٤ ، ٥ ، ص ٢٤٧٢ و ٣١٠١)

أما السرور فتشير إليه الآيات القرآنية الكريمة التي وصفت حال عباد الله الأبرار ، الذين ورد ذكر بعض من صفاتهم في آيات سورة الإنسان ، كما وصفت ما أعد الله لهم في الآخرة ، وما سيكون عليه شعورهم وإحساسهم نتيجة لهذا الإعداد ، فنقول : ﴿ فَوَقَلَهُمُ اللَّهُ شِرًّا ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴾ (سورة الإنسان ، آية ١١) . وتكمل آيات سورة الانشقاق حال هذه الفئة من الناس الأبرار وتسميهم هذه السورة أيضاً بأصحاب اليمين فهم يتسمون بما قال فيهم رب العزة والجلال : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ ﴿ وَنَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ (سورة الانشقاق ، آية ٧-٩)

هذا وقد أشار القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف إلى أنواع من الفرح يمر بها

الإنسان بعضها ممدوح وآخر منموم ، سيشار إليها في التالي :

أنواع الفرح كما ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية : من أنواع

الفرح التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يلي :

١ - فرح المسلم بأداء فرض الله الواجب عليه ، وإلى ذلك الفرح يشير حديث الرسول

عليه الصلاة والسلام : " للصائم فرحتان . يفرحهما ، إذا افطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح

بصومه " . (النسائي ، كتاب الصيام ، ج ٤ ، ص ٤٧١)

٢- فرح العبد المؤمن بنصرة دين الله وإعلاء كلمته ، وهذا الفرح ورد ذكره في قوله

تعالى : ﴿ اَلَمْ غَلِبْتِ الْرُّومَ ﴿١﴾ فِيْ اَدْنٰى الْاَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ

سَيَغْلِبُوْنَ ﴿٢﴾ فِيْ بَضْعِ سِنِيْنَ لِلّٰهِ الْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ

الْمُؤْمِنُوْنَ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة الروم ، آية ١-٤) .

٣- فرح الجبناء المتخاذلين بالتخلف والعودة ، وعدم الذهاب إلى ساحة القتال والجهاد في

سبيله ؛ ذلك لأنهم يكرهونه ويفضلون عليه البقاء على النفس من تعريضها للقتل

والإهدار ، أو حرصاً على المال ، أو الألفة للدعة والراحة ، والخشية من شدة الحر ،

وهذا ما حصل من المتخلفين عن القتال في غزوة تبوك الذين كرهوا الجهاد مع

الرسول عليه الصلاة والسلام . (الرازي ، ج ١٥ ، ١٦ ، ص ١٤٨)

ولقد ذكرت الآيات القرآنية الكريمة حال هؤلاء المتقاعسين ، كما ذكرت

مصيرهم الذي سيؤولون إليه ، في قوله تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ

خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا

تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا

وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ (سورة التوبة ، آية ٨١ - ٨٢) .

٤ - فرح بعض الناس بمصائب إخوانهم ، وهذا الفرح لا يحض عليه الإسلام ؛ لأن الإسلام يدعو إلى التأخي ، والتواد ، كما يدعو إلى مشاركة المسلم لأخيه المسلم أفراحه وأحزانه ، وتوضح الآية القرآنية الكريمة حال من يفرح لمصائب الآخرين التي يقول فيها جل من قال : ﴿ إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٢٠) .

ومن هذا الفرح حذر عليه الصلاة والسلام الناس في حديثه الذي يقول فيه : " لا

تظهر الشماتة لأخيك فیرحمه الله ویبلیک " . (الترمذي ، كتاب القيامة ، ج ٤ ، ص ٥٧١)

٥ - فرح العبد بماله أو كثرة نسله ، أو جاهته ... وغير ذلك ، الأمر الذي يؤدي به إلى البطر والتكبر على غيره ، وتأتينا قصة قارون الذي آتاه الله المال والثراء فتكبر وبطر وأغتر ، وتشرح القصة عاقبة فرحه هذا بهذا الحال ونهايتها ، في سورة القصص .

تلخيص : من العرض السابق للانفعالات الذي دار حول - تعريفها ، والتأثير المتبادل بينها وبين الدوافع ، وبينها وبين السلوك الإنساني ، والعلاقات الإنسانية ، وأنواع الانفعالات وكيفية توجيهه وضبط الإسلام لهذه الانفعالات - استطاعت الباحثة أن نستخلص طريقة تعامل القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، مع هذه الانفعالات والكيفية التي تستثار بها للاستفادة منها ، مع حسن تهذيبها فيما يرضي الرب جل وعلا ، ورسوله عليه الصلاة والسلام ، باعتدال وتوازن وشمولية،

فلا إفراط ولا تقريط في ذلك ، من طرق التعامل والتوجيه هذه ما يلي :

أولاً : بين رب العزة والجلال الكيفية التي تؤثر فيها تلاوة القرآن الكريم على انفعالات الإنسان

المسلم في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ

جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ

اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ (سورة الزمر ، آية

.(٢٣)

ثانياً : كذلك يربي الله عز وجل في نفوس الناس الخشية الخالصة منه سبحانه وتعالى في قوله

تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا أَسْهُرَ الْحَرَامِ وَلَا أَلْهَدَىٰ

وَلَا أَلْقَابَهُ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ

فَأَصْطَادُوا وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدَّقْتُم مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا

وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦٦﴾ (سورة المائدة ، آية ٢) .

﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ

فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٥١﴾ (سورة الأنبياء ، آية

. (٩٠)

من الآيات السابقة نجد أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية لا يتحدثان عن صفات المؤمنين إلا ويكون الحديث معها عن أحاسيس ومشاعر قلب المؤمن ، التي من ضمنها الانفعالات ، مثل الوجل ، الرهبة ، الغيرة ، الفرح ، المحبة ... وغير ذلك .

ثالثاً : تجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكريمة بين العقل والانفعالات ، فكلما استيقظ العقل فكر، وتأمّل ، واستبصر ، وتدبر ... كلما تحركت لدى الإنسان انفعالات الخوف، والمحبة ، والغيرة ، والغضب ... وغيرها من الانفعالات المتعددة ، تجاوباً مع يقظة العقل ووعيه بما يحيط حوله ؛ فتنمو العواطف ، وتتحوّل تلك إلى إيمان ، وجهاد ، وعمل ، وإيثار ، وتضحية ، وبذل ... وما إلى ذلك .

رابعاً : توازن الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية بين الانفعالات بعضها بعضاً ، فنرى الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الخوف والوجل ، لا تقف عند ذلك بل مقابل هذا تتحدث عن الرجاء وسعة الأمل طمعاً في المغفرة والتوبة ، حتى لا يصل الإنسان إلى اليأس من شدة الخوف ، وأيضاً الآيات والأحاديث التي تتحدث عن الحسد ومضاره والغيرة العمياء وما يؤديان إلى مهالك إلا أنها تجعل مقابل ذلك انفعال الغبطة وكيف يستفيد الإنسان المؤمن من الغيرة والحسد ويوجهها ، لتكون غبطة على العمل الصالح وليحصل التسابق إلى عمل الخير . (البوطي ، ١٤٠٤هـ ، ص ٢٠٣) و (النحلوي ، ١٤٠٨هـ ، ص ٩١ - ٩٤)

خامساً : توضيح الكيفية التي يتعامل الإنسان المسلم مع هذه الانفعالات ، حتى وإن كانت انفعالات متطرفة منحرفة ؛ بهدف استثمار هذه الانفعالات موجبها وسالبها إلى سلوك

حسن يرضي الله عز وجل ورسوله عليه الصلاة والسلام ، مثل الترويح عن القلوب ،
وممارسة الأنشطة الجسمية ، والتأمل والتمتع بكل ما هو جميل وحسن في هذا الكون،
مع الإكثار من الذكر والعبادة والصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، والبعد عن
مجالسة رفقاء السوء ، والصبر والاحتساب عند الله ، والإيمان بأن كل ما يحيط
بالإنسان إلى زوال فلا دائم إلا وجهه سبحانه وتعالى ... والكثير الكثير من
التوجيهات. (الكنائي وآخرون ، ١٤١٥هـ ، ص ٤١٧)

الفصل السابع

مناقشة النتائج ، والتوصيلت

- مناقشة النتائج -

- التوصيات وآليات العمل -

مناقشة النتائج

استناداً لما تم عرضه في الدراسة الحالية التي تناولت موضوع التأصيل الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تقوم الباحثة بمناقشة الموضوعات التي تم تناولها في ضوء أسئلة الدراسة وأهدافها التي صيغت في الفصل الأول ، كما يلي :

الإجابة على السؤال الرئيس : ما واقع التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، وما مبرراته في ضوء الاتجاهات المعاصرة التي تدور حوله ؟

وللإجابة على السؤال قامت الباحثة بطرح الموضوعات التي تجيب عن هذا السؤال في الفصل الثاني للدراسة ، والذي ناقش الاتجاهات الرئيسة التي دارت حول عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، وهي ثلاثة اتجاهات جاءت كما يلي :

الاتجاه الأول : الاتجاه الرافض لعملية التأصيل الإسلامي ، حيث انقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى فريقين هما :

١ - فريق رافض لعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس مع إلتزامهم بالإسلام ، لأنهم يفصلون بين علم النفس كونه علماً مستقلاً ، وبين الإسلام الذي يعتبرونه دين عبادة وتقرب إلى الله ، فلا خلط بينهما .

٢ - فريق رافض لعملية التأصيل ؛ بسبب رفضهم لعلم النفس الغربي ؛ الذي يرونه قائم على مفاهيم خاطئة دخيلة على الإسلام .

الاتجاه الثاني : الاتجاه التوفيقى وأصحاب هذا الاتجاه حاولوا التوفيق بين الدراسات النفسية الغربية ، وبين النظرة الإسلامية للنفس الإنسانية ، وكذلك أنقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى فريقين :

١ - فريق الاتجاه الإسقاطي : وهم الذين يترجمون المفاهيم النفسية الأساسية في الإسلام ؛ ثم يستشهدون ببعض ما كتب في علم النفس الغربي ، وكأنهم في محاولة لإثبات أن الإسلام قد سبق الغرب وناقش المفاهيم النفسية من وجهة النظر الغربية .

٢ - فريق الاتجاه المسابير : وهو الفريق الذي يستخدم المفاهيم النفسية الغربية كما هي ، ثم يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة للتدليل على تلك المفاهيم .

الاتجاه الثالث : هو اتجاه الوسط الصحيح : وأصحاب هذا الاتجاه هم من الذين استفادوا من الدراسات النفسية الغربية ، لكن هذه الاستفادة جاءت موزونة بثوابت الإسلام وأسسها الراسخة ، متتبعين في ذلك توجيهات حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه : " الكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها إتقطها فهو أحق الناس بها " (ابن ماجة ، كتاب الزهد ، ج ٢ ، ص ١٣٩٥) . وهذا الاتجاه هو ما تبنته الدراسة الحالية .

لأن هذا الاتجاه يطبق نص التعريف الإجرائي لعملية التأصيل الإسلامي الذي ذكرته

الباحثة في الفصل الأول عند تحديدها لمصطلحات الدراسة والذي يهدف إلى :

١ - تحديد أسس ومبادئ الإسلام في دراسته للنفس الإنسانية .

٢ - الإستفادة من النتاج الغربي في الدراسات النفسية وفقاً للأسس والمبادئ الإسلامية .

٣ - تقديم علم نفس إسلامي صالح للمجتمعات كافة .

هذا وفي ضوء واقع التأسيس الذي عرضته الدراسة الحالية المتمثل في الاتجاهات الثلاثة السابقة الذكر . وجدت الباحثة أن الدعوة لعملية التأسيس الإسلامي لعلم النفس تزامنت مع الصحوة الإسلامية التي قامت في دول العالم الإسلامي ، والتي تمثلت في عقد المؤتمرات العلمية في بعض من جامعاتها ، ومعاهدها ، الأمر الذي أفرز للعالم الإسلامي مؤلفات احتوت على نتاج فكري إسلامي حول موضوعات متفرقة تقع ضمن إطار التأسيس الإسلامي لعلم النفس ، وستنكر الباحثة بعضاً من هذه المؤتمرات على سبيل التلليل وهي :

١ - أبحاث ووقائع اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض

(١٣٩٩هـ)

٢ - ندوة الإسلام وعلم النفس ، التي نظمتها جامعة الملك سعود بالرياض .

(١٣٩٩هـ)

٣ - أبحاث ندوة علم النفس ، التي نظمتها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة .

(١٤١٣هـ)

٤ - بحوث ومناقشات المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي بالسودان .

(١٤١٦هـ)

٥ - رسالة التربية وعلم النفس ، التي تصدرها الجمعية السعودية للعلوم التربوية

والنفسية بالرياض . (١٤١٦هـ)

٦ - ملتقى الفكر الإسلامي بالجزائر (د . ت) .

٧ - مجلة الإعجاز العلمي التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

(١٤٢١هـ)

ولقد اتفقت جميع هذه الملتقيات العلمية في توصياتها إلى ضرورة الدعوة إلى التأصيل .
هذه الدعوة التأصيلية يجب أن لا تقيد في حدود النقد وإظهار الجانب السلبي لعلم النفس الغربي ،
أو لعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، إنما يجب أن تقوم هذه الدعوة على دراسة نقدية بناءة
متحررة من كل تبعية أو اتجاه ، بحيث يُخضع فيها علم النفس الغربي للدراسة والتحليل والنقد
بطريقة واعية بهدف إستخراج ما يستفاد منه في ضوء معيار إسلامي ، ثم بعد ذلك توضح تلك
الدراسات النظرة الإسلامية الإيجابية ، المتمسمة بسمات المنهج الإسلامي ، للخروج في النهاية
بعلم نفس يقوم على أسس إسلامية ثابتة مقروناً بنظرةٍ حديثةٍ مواكبة للتطور العلمي الذي يعيشه
الإنسان المعاصر ، بإعجاز علمي إسلامي في نظره للنفس الإنسانية من جميع جوانبها .

إذاً من خلال عرض الدراسة الحالية لماهية التأصيل الإسلامي لعلم النفس ، وواقعه في
ضوء الاتجاهات التي تدور حوله ، فقد تم تحقيق هدف الدراسة الأول الذي يدعوا إلى توضيح
مفهوم التأصيل الإسلامي لعلم النفس ومبرراته ، وبالتالي خرجت الباحثة بواقع ينص على أن
هناك خطوات إجرائية تأصيلية لعلم النفس لا يمكن إغفالها ، لكنها تحتاج إلى بلورة أكثر
ودراسة تخصصية عميقة . في جانبين : الأول : منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس القائمة
على أسس ومبادئ الشريعة الإسلامية ، ثم ثانياً : الدراسة الواعية المميزة للغث من السمين

لعلم النفس الغربي . ولتحقيق هذين الجانبين قامت الباحثة بصياغة السؤال الفرعي الأول .

الإجابة على السؤال الفرعي الأول : ما خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم

النفس؟

وللإجابة على هذا السؤال فقد قامت الباحثة بمراجعة أدبيات الدراسات التي قامت بمحاولات متفرقة لوضع خطوات عملية لمنهج التأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية والاجتماعية بصفة عامة ، ولعلم النفس بصفة خاصة ؛ فوجدت أنه تم تناول هذه المنهجية بصور متعددة ومستفيضة ، وقد عقدت من أجلها الندوات والمؤتمرات وأصدرت المؤلفات — وكفيينا ما نشر من إصدارات المعهد العالمي للفكر الإسلامي كمثال — فأنت خطوات رئيسة لمنهجية التأصيل الإسلامي للعلوم عامة ، وعلم النفس خاصة ، تمثلت في تحديد أصول وثوابت الشريعة الإسلامية والتي يجب أن يكون لها تقييم وتقويم لما هو مقبول أو مرفوض من علم النفس الغربي. لأن الأصول والمبادئ الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، ولكل فرد وأمة ، عكس المبادئ الناشئة في مجتمعات وضعية لا تقوم على هذه الأصول والثوابت ، بل إن ثوابتها نسبية قابلة للتعديل ، فما يصلح لزمان معين فيها قد لا يصلح لآخر ، وما يطبق في مكان ، أو في مجتمع أو على أفراد دون غيرهم ، قد لا يطبق على مجتمع آخر أو على أفراد آخرين .

إن خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس التي اقترحتها الباحثة في الفصل الثاني

من هذه الدراسة يمكن اعتبارها معياراً إسلامياً عالمياً يُحكم به على ما هو مقبول ، وما هو مرفوض من علم النفس الغربي ، حكماً يقوم على أسس يجعل واقع التأصيل الإسلامي مقبولاً من قبل المتخصصين في علم النفس سواء في العالم الإسلامي أو في العالم الغربي ، خاصة وأن

العالم يعيش حالياً عصر عولمة المعلومات ، وبالتالي تُغلب خطوات منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس الذي اقترحته الباحثة الفئات والمؤسسات المؤيدة لعملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس على الرافضين والمحايدين تجاه فكرة التأصيل .

فأنت الخطوات كالتالي :

الخطوة الأولى : تحديد مسلمات الإسلام الأساسية عند دراسة النفس الإنسانية ، في

ضوء توجيهات الآية القرآنية الكريمة التي يقول فيها الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ

بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ

بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ (سورة

البقرة ، آية ٢٨٥) وقوله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي

نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٢٨٦﴾ (سورة النساء ، آية ١٣٦)

الخطوة الثانية : دراسة خصائص النفس الإنسانية كما وردت في القرآن الكريم

والسنة النبوية ، المتمثلة في :

أ — الطبيعة المزوجة في خلق الإنسان .

ب — الميل الفطري لعمل الخير (الخيرية) .

ج — التكريم والتفضيل ، الذي أنعم الله عز وجل به على الإنسان مثل : القوى المميزة

التي يمتلكها الإنسان عن غيره .

د — حسن الصورة والخلق .

هـ — كون الإنسان هو الكائن الوحيد المخلوق بيد الله جل وعلا .

و — النطق والتميز .

ز — التعليم والتعلم .

ح — سجود الملائكة للإنسان بأمر الله .

ط — التسخير .

ي — حرية الإرادة والاختيار .

الخطوة الثالثة : وحدة مجال المعرفة التي يستقي منها القائمون على التأصيل

معرفتهم ، والتي تكمن في مجالين هما مجال العقل وأدواته ، ومجال الوحي .

الخطوة الرابعة : القرآن الكريم والسنة النبوية وهما أصل مصادر المعلومات اليقينية

في دراسة النفس الإنسانية .

الخطوة الخامسة : التعرف على إسهامات العلماء المسلمين ودورهم في إثراء

الدراسات النفسية.

الخطوة السادسة : تحديد أسس ومبادئ علم النفس الغربي ، بهدف القيام بعملية

التحليل النقدي لها .

نظراً لأهمية تلك الخطوات المنهجية المقترحة فقد خرجت الباحثة أيضاً من عرضها

لهذا الفصل بسمات يجب أن تتوفر في القائمين على عملية التأصيل الإسلامي لعلم النفس

المستمدة من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وفيما يلي تستعرض الباحثة تلك

السمات : —

- ١ — العقيدة الصافية .
- ٥ — الأمانة .
- ٢ — الرسوخ في العلم .
- ٦ — الإلتزام بمبادئ الأخلاق .
- ٣ — حب النظر والتأمل .
- ٧ — الصبر والمواظبة والتأني .
- ٤ — البعد عن الهوى .

إنه بعد الاستتارة بالجهود السابقة لمن حاولوا وضع خطوات منهجية التأسيس الإسلامي لبعض العلوم حيث مكن الباحثة من رسم خطوات منهجية التأسيس الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية والتي يمكن اعتبارها معياراً إسلامياً يؤدي إلى قيام علم نفس إسلامي يتسم رؤية معاصرة ومواكبة للعصر الذي نعيش فيه . عليه فقد تم تحقيق هدف الدراسة الثاني الذي يهدف إلى وضع خطوات منهجية التأسيس الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية .

وبما أن الدراسة الحالية قد قامت بوصف واقع التأسيس الإسلامي لعلم النفس واتجاهاته ، عليه فقد تم التوصل إلى وضع منهجية مقترحة للتأسيس الإسلامي لعلم النفس في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ، لتكون تلك المنهجية معياراً نحكم به على ما هو مقبول أو مرفوض من علم النفس الغربي أولاً ، ولتكون هناك خطوات يتبعها من يريد القيام بعملية التأسيس . ثانياً ، عليه فقد صار لابد من القيام بخطوة إجرائية للمنهجية المقترحة في هذه الدراسة ، الأمر الذي دعا الباحثة إلى صياغة السؤال الفرعي الثاني .

الإجابة على السؤال الفرعي الثاني : ما طبيعة وخصائص النفس الإنسانية في ضوء

توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ؟

ولتحقيق الإجابة على هذا السؤال فقد قامت الباحثة بتناول موضوع طبيعة النفس

الإنسانية من ثلاثة جوانب تعتبر المسؤولة عن مكونات السلوك الصادر عن الإنسان ، وهي :

أولا النفس ، ثم ثانيا: الجسم ، ثم ثالثا الروح .

ولقد بدأت الباحثة بعرض للمكون الأول للسلوك وهو (النفس) وماهيتها ، ومراتبها

الإسلام اعتبر النفس هي المسؤول عن جميع تصرفات الإنسان من خير أو شر ، تقوى

أو معصية ، هدى أو ضلال ... مستتيرة في ذلك بقسم الله عز وجل بها ؛ كما يظهر في قوله

تعالى : ﴿ لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۗ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۗ ﴾ (سورة القيامة ، آية ١

– ٢) . ثم عرضت الباحثة مدلولات لفظ النفس كما وردت في القرآن الكريم والتي أشير إليها

على أنها دلالة على الذات الإلهية ، والروح ، ونفس الإنسان .

أما الجانب الثاني المكون للسلوك وهو الجسم الذي يعتبر الوعاء الذي يحوي داخله

الأعضاء ، والذي به نتعرف على ما تأمر به النفس من الإقدام على أمر معين أو الإحجام عنه .

إن هذا السلوك قد يؤدي بالإنسان إلى تحقيق مرضاة الله عز وجل ، أو قد يؤدي إلى ارتكاب

معصية ، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة التي يقول فيها رب العزة والجلال :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۗ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۗ وَقَدْ

خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ ﴾ (سورة الشمس ، آية ٧-١٠) . كما أن الأعضاء المكونة لجسم الإنسان

يكون لها دور آخر حين تتطرق وتشهد عليه يوم القيامة بما أرتكبه من حسن تركيبة إلى سوء تنسية ، وفي هذه الشهادة من الأعضاء يشير حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي يقول فيه : " يلقى العبد ربه فيقول : أي فل أم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع . فيقول : بلى ، أي رب ، فيقول رب العزة والجلال : أفضنت أنك مُلاقي . فيقول : لا . فيقول سبحانه وتعالى : فإني أنساك كما نسيتني . ثم يلقى عبد آخر فيقول له مثل ما قاله للأول فيقول : يا رب آمنت بك ، وبكبابك ، وبرسلك ، وصليت ، وصمت ، وتصدقت ، وبني بخير ما استطاع . فيقول ها هنا إذا قال ، ثم يقال له الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي ، فيختم على فيه ، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه إنطقي فتتطق فخذ له ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه ، وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه " (مسلم ، كتاب الزهد ، ج ٨ ، ص ٢١٦) .

دور أساليب ووسائل التربية الإسلامية السليمة المتمثلة في الأسرة ، والمدرسة ، والمجتمع ، ووسائل الإعلام ، وغير ذلك ، مستهدفة بناء شخصية سوية تتمتع بالصحة النفسية والجسمية حيث تنعكس آثار هذا الإستواء على صحة القلب والعقل ، فيسمو السلوك الإنساني ويتوجه نحو تحقيق مكارم الأخلاق التي امتدح فيها رب العزة والجلال نبيه محمد عليه الصلاة والسلام في قوله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَآنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، آية ١٥٩) .

ثم وبعد أن سوى رب العزة والجلال الجسم في أحسن تقويم نفخ فيه الروح فاكتمل التشكيل ، وتحرك الجسد الهامد الذي لم يكن به حراك فصار ناطقاً ، عاقلاً ، شاعراً بما يدور حوله ، متحركاً ... ، لذا تطرقت الباحثة للمكون الثالث من المكونات المسؤولة عن حدوث السلوك الإنساني ألا وهو الروح ، ومعانيها كما ورد نكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دون الإشارة إلى ماهيتها أو كيفية تحقيقها لأمر رب العزة والجلال الذي أمرنا به في قوله جل من قال : ﴿ وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (سورة الإسراء ، آية ٨٥) . وعملاً بما جاء في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي نكر عند الحديث عن الروح ص ١٨٢ .

ومن خلال عرض الباحثة لطبيعة النفس الإنسانية في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أمكنها الاجابة على السؤال الفرعي الثاني في تحديدها للنظرة الإسلامية لطبيعة النفس الإنسانية ، فأنت نظرة فيها شمولية وتكاملية في دراسة مكونات النفس ، ولقد تحققت هاتان السمتان في الدراسة الحالية من نظرتها لطبيعة النفس الإنسانية التي إستتارت بخصائص المنهج الرباني فالنبوي من خلال توضيحها لطبيعة النفس وطرق توجيهها .

إن المنهج الرباني والنبوي لهما طريقة خاصة متفردة عن باقي المناهج الموضوعية من

قبل البشر بل ويستعلمان على سائر المناهج لأمر كثيرة ستذكر الباحثة منها التالي :

١ — لأنه منهج رباني ونبوي فهو يأخذ في اعتباره طبيعة البشر وفطرتهم التي فُطروا

عليها ، وواقعهم المادي في كل مرحلة من مراحل نموهم ، وفي كل بيئة يعيشون فيها .

٢ — أنه منهج يهدف إلى جعل النفس البشرية تعمل من ذاتها ولذاتها لتجاهد الضعف ،

والهوى ، والجهل البشري الموجود في نفسها وفي نفوس الآخرين ، كما يجعلها تصل به إلى الحد الذي تطيقه فطرة البشر دون تعطيل ولا فساد لجانب معين على جوانب أخرى ، بل إنه منهج تتوفر فيه القدرة على إيقاظ النفس من السبات ، كما أن فيه القدرة على رد هذه النفس إلى السواء إلى أن تبلغ أقصى الكمال المقدر لها من خالقها جل وعلا في هذه الأرض .

٣ — أنه منهج فيه غرس إيماني للقيم العليا والمباديء في عقل ، وقلب ، وجسد

الإنسان مع الحرص على تحويل هذا الغرس للقيم والمباديء إلى سلوك تطبيقي عملي .

٤ — أنه منهج فيه تكامل في نظريته لطبيعة النفس الإنسانية ، فهو منهج مؤثر في

النفس ، مستثير لكل وظائفها الجسدية ، والعقلية ، والنفسية ، والاجتماعية في آن واحد .

٥ — أنه منهج يوازن بين مكونات السلوك الإنساني الثلاثة التي تم تحديدها في فصل

الدراسة الثالث — النفس ، والجسم ، والروح — فلا تغليب لجانب على آخر ، ولا نبذ لجانب

عن الآخر ، فهو يطلب من الإنسان أن يعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ، كما يعمل لآخرته كأنه

يموت غداً ، كما يطلب منه أن يحقق متطلبات حياته الخاصة الفردية دون كبت ولا إنكار مع

مراعاة متطلبات مجتمعه الذي يعيش فيه .

٦ — أنه منهج يدعو للتوسط والاعتدال في تحقيق كل ما تحتاجه هذه النفس من

حاجات؛ فلا ضرر ولا ضرار ، بل هو إعتدال يكفل للنفس الإشباع السوي المشروع دينياً ،

وخلقياً ، واجتماعياً .

٧ — أنه منهج يتسم بالاستمرارية في دراسة وتوجيه السلوك الصادر عن النفس ، فهو

يهتم بالإنسان ومكونات طبيعته ، وطرق توجيه هذه النفس من مراحل تخليقه بل وقبل التخليق ،

ولنا مثال على ذلك في التوجيهات التي وردت في حُسن التبعل — بين الرجل والمرأة — والتي تهدف إلى إيجاب نزية صحيحة الجسم والنفس ، ثم الاهتمام بعملية الرضاعة ، ثم اساليب التنشئة الوالدية ، ثم المجتمع ... وهكذا التوجيه مستمر حتى نهاية حياة الإنسان ، إذاً هو منهج يسير مع كل مرحلة من مراحل نمو الإنسان .

٨ — أنه منهج يتسم بالتساوي في نظرته لكل انواع النفوس ومراتبها ، بل وكل فرد وأمة ، فلا تركيز أو تفضيل على فرد أو شريحة من المجتمع وإهمال للآخرين ، إنما التفضيل والتفاضل يكون بالتقوى والإيمان : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة الحجرات ، آية ١٣) .

٩ — أنه منهج كرم الإنسان وفضله على سائر المخلوقات الموجودة ، تفضيل فيه تكريم بالعقل ، والتميز ، والتعليم ، وحُسن التقويم ، والخلة

١٠ — أنه منهج يجمع بين الثابت والمتغيرات في نظرته لطبيعة النفس الإنسانية ، فهو منهج يراعي ظروف العصر ومتغيراته التي يعيش فيها الإنسان ؛ لأنه لا يطلب منه أن يتفوق في عالم محدود ، بل يطلب منه أن يستقي من مصادر الحكمة ويتبعها ويلتقطها أنى وجدها ، لكن عملية الالتقاط هذه يجب أن توزن في ضوء المبادئ ، والقيم ، والموازن الثابتة ، والتي ترى أن البشر يخطئون ويصيبون ، وقد يُبعدون ويُقربون من هذه الثوابت . لكن هذا الخطأ والإصابة ، وهذا البعد والقرب لا يغير منها شيئاً ، لأنه منهج لا يتغاضى عن الخطأ والانحراف الذي يقع فيه البشر مهما كانت منازلهم ، إنما هو منهج يصفهم في حدود أخطائهم

التي يجب أن تبنى عليها المحاسبة ، ثم بعد ذلك يعفو عنهم ويعفيهم من نتائج ما سببته لهم تلك الأخطاء وذلك الانحراف ؛ إذا ما تابوا وأنابوا إليه جل وعلا واستغفروه ، وفي ذلك يقول جل من قال : ﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (سورة المزمل ، آية ٢٠) . كما يقول جل من قال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

(سورة آل عمران ، آية ١٣٥) . ويؤكد حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام دور الاستغفار والتوبة والإنابة لرب العزة والجلال حين يقول : " إن الله تعالى يسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل " (أحمد ، د ز ت ، ج ٤ ، ص ٢٥٩) .

الإجابة على السؤال الفرعي الثالث : ما المعالم الرئيسية لعلم النفس في صيغته المؤصلة إسلامياً ؟

لتحقيق الإجابة عن هذا السؤال قامت الباحثة بتحديد ثلاث من معالم علم النفس الرئيسية لتأصيلها واعتبارها نموذجاً يحتذى به من يريد القيام بعملية التأصيل أولاً ، ثم لكون هذه المعالم تسهم بدرجة كبيرة في تشكيل السلوك الإنساني ثانياً ، ثم تأتي بعدها موضوعات علم النفس المتعددة وقد تمثلت هذه المعالم الرئيسية في :

- ١ - أطوار خلق الإنسان .
- ٢ - الدوافع التي تدفع السلوك الإنساني .
- ٣ - الانفعالات الإنسانية .

أما عن المعلم الأول المتمثل في : أطوار خلق الإنسان في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية ، فقد تم توضيح المقصود بكلمة – طور – لغوياً ، مع ذكر للآيات القرآنية الكريمة التي حددت الأطوار التي يمر بها الإنسان بداية من المرحلة الأولى لخلق أبو البشر – آدم عليه السلام – وإنهاءً بنهاية حياة الإنسان المتمثلة في وفاته .

بعد ذلك قامت الباحثة بانتقاء طورين من أطوار خلق الإنسان باعتبارهما طورين بنائين يسهمان في تشكيل طبيعة النفس الإنسانية ، فهما المسؤولان عما يصدر عنها من دوافع وانفعالات هذين الطورين هما :

الطور الأول : أصل الخلق والذي احتوى على الكيفية التي أُخلق بها آدم عليه السلام أبو البشر؛ والمراحل التي مر بها هذا الخلق ، والمبتدأة بالماء ، ثم التراب ، ثم الطين ، ثم الصلصال .

وعقب خلق آدم عليه السلام أتت مرحلة خلق حواء ، وأيضاً وضحت الباحثة الكيفية التي أُخلقت بها حواء ؛ وفق ما ورد في القرآن الكريم وما أوضحتها أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام . ثم أتى بعد ذلك توضيح لكيفية خلق نرية آدم عليه السلام وحواء وهذه المرحلة من الخلق وجهت الدراسة الحالية للحديث عن الطور الثاني من أطوار الخلق وهو :

الطور الثاني : المرحلة الجنينية ، حيث قامت الباحثة بشرح وتوضيح كل مرحلة على حدة ، وما يتم فيها من تكوينات ؛ مستعينة في ذلك بالآيات القرآنية الكريمة التي تنزلت ممن خلق فسوى ، وقدر فهدى ، ومن أحاديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وأيضاً مما توصل إليه العلم الحديث من فهم لما ورد نكره مسبقاً بإعجاز رباني ونبوي حول هذه المرحلة .

هذا الطور الثاني احتوى على عدد من المراحل تؤدي في نهاية مساره إلى تكوين

الجنين ، وهذه المراحل كما ذكرتها الباحثة في دراستها جاءت على الترتيب كما يلي :

أ - مرحلة الصلب والترائب

ب - مرحلة النطفة

ج - مرحلة العلقة

د - مرحلة المضغة

هـ - مرحلة العظام

و - مرحلة الخلق الآخر

وبعد استعراض الباحثة لأطوار الخلق والتكوين ومراحلها توصلت من خلال هذا

العرض إلى دلالات تؤكد على إعتبار هذا الفصل - مناقشة النتائج - معلماً من معالم دراسة

النفس الإنسانية الذي يقود إلى زيادة فهم واستبصار وقوة نظر في طبيعة الخلق الإنساني ،

تمثلت هذه الدلالات المستنبطة من الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث المصطفى عليه الصلاة

والسلام التي تم عرضها في ص (١٨٩ - ١٩٠) في طوري الخلق والتكوين :

١ - يأخذ الإنسان ويوجهها قلبه إلى تدبر المشهود في أطوار ومراحل الخلق الإنساني

بمقاييسه وإدراكه البشري .

٢ - يؤكد على أطوار النشأة وتتابعها في هذا النظام المطرد الذي يشهد بوجود

المنشئ وقدرته وإبداعه في تدبيره للنشأة التي تسير على وتيرة واحدة لا

انحراف فيها ولا زلل.

٣ - كما أن هذان الطورين يقررا السكوت عن تفاصيل المرحلة الانتقالية التسلسلية بين مرحلة الطين ومرحلة تكوين الإنسان ، وهنا يكمن الفرق بين نظرة القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة من جهة وبين نظرة النظريات التي تحاول أن تضع سلماً للنشوء والارتقاء ، فالقرآن والسنة يقرران أن نفخة الروح هي التي جعلت قبضة الطين إنساناً فيه حياة وهذا الوضع تكريم له ، بينما نظريات النشوء والارتقاء تحاول إثبات تسلسل هذه المرحلة من صورة الحيوان إلى صورة الإنسان .

أما المعلم الثاني في هذه الدراسة المتمثل في : دراسة دوافع النفس الإنسانية وفق توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، حيث تم توضيح مفهوم الدافع ، وخصائصه ، ومن ثم تقسيمات الدوافع والأسس التي تم الاستناد عليها في هذا التقسيم ، ومن ثم التقسيم الذي اقترحه الباحثة والذي قام على ضوء دراستها للجوانب الثلاثة المكونة لطبيعة النفس الإنسانية - النفس ، الجسم ، الروح - فكان التقسيم كالتالي :

١ - دوافع ناتجة عن التكوين المادي للإنسان .

٢ - دوافع ناتجة عن التكوين الروحي للإنسان .

٣ - دوافع ناتجة عن امتزاج التكوين المادي والتكوين الروحي للإنسان .

ورأت الباحثة أن هذا التقسيم للدراسة النظرية فقط أما في المجال التطبيقي لهذا التقسيم

عند عرض دراسة أنواع الدوافع فلا يمكن الفصل بين هذه الجوانب الثلاث ولقد أشير إلى أسباب

ذلك الدمج في فصل الدراسة الخامس .

بعد ذلك عرضت الباحثة دراسة لبعض أنواع الدوافع في ضوء توجيهات القرآن الكريم

والسنة النبوية وضحت فيه كل دافع وآثاره على السلوك ، كما نكرت التوجيهات القرآنية والنبوية التي وجهت عملية إشباع الدافع أو تحقيقه .

وهنا أيضاً تكمن نقطة اختلاف بين النظرة الإسلامية والنظرة الغربية في عملية إشباع وتحقيق الدوافع ، فعملية إشباع الدافع وفق توجيهات الإسلام تحض على وجوب إشباع الدوافع التي يمتلكها الإنسان بمختلف أنواعها دون إنكار واستقذار ، أو إسراف وتضخيم ، بل إشباعاً مقروناً بعبادة الله عز وجل ومحققاً للغاية من الخلق .

هذا الإشباع المقرون بعبادة الخالق سبحانه يجعل من الإنسان خائفاً من ارتكاب المعصية أثناء الإشباع ، في هذا الخوف خشية منه سبحانه ، وفي هذا الخوف وهذه الخشية حب يؤدي إلى زيادة الطاعات ، والبعد عما يغضب الله فيصبح قلب المسلم منزهاً من الحسد ، والحقد، والعداوة والبغضاء ، والفرح وغير ذلك .

ما سبق ذكره قاد الدراسة إلى عرض موضوع الانفعالات التي تنشأ أثناء إشباع الدوافع والتي تعتبر المعلم الثالث من معالم الدراسة الحالية ، حيث تم فيه توضيح مفهوم الانفعال ثم الجوانب الإيجابية والسلبية للانفعالات على السلوك الإنساني ، وأسباب حدوثه ، وفي الختام تم تقديم دراسة لبعض أنواع الانفعالات في ضوء توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

وبنهاية الحديث عن الانفعالات تكتمل المعالم الثلاثة الرئيسية لعلم النفس في صيغته المؤصلة إسلامياً ، وبالتالي قد تم تحقيق هدف الدراسة الذي يهدف إلى تقديم تأصيل إسلامي لعلم النفس في معالمه الرئيسية . فإن أصبت فبتوفيق من الله وإن أخطأت فمن نفسي .

التوصيات وآليات العمل

من خلال القضايا التي تمت مناقشتها في الدراسة الاستكشافية الحالية عن التأصيل الإسلامي لعلم النفس ؛ تقدم الباحثة جملة من التوصيات وآليات العمل التي تتمنى من الله سبحانه وتعالى أن تجد لها طريقاً نحو القبول بمضمونها والأخذ بما يفيد منها من أجل صياغة إسلامية لعلم النفس وهي كالآتي :

أ – توصي الباحثة كل باحث راغب في إيراد دراسة علمية متعمقة في مجال علم النفس الإسلامي ضرورة اعتباره نتائج الدراسة الحالية منطلقاً للدراسات المستقبلية خاصة فيما يتعلق بالمعالم الرئيسية الأربعة التالية :

- أ – طبيعة النفس الإنسانية .
- ب – مراحل الخلق والتكوين .
- ج – الدوافع .
- د – الانفعالات .

وفق خطوات منهجية التأصيل الإسلامي لعلم النفس التي اوضحتها الباحثة في الفصل الثاني من هذه الدراسة والتي تم فيها :

- ١ – تحديد المسلمات الأساسية الإسلامية في دراسة النفس الإنسانية .
- ٢ – دراسة خصائص النفس الإنسانية كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- ٣ – وحدة مجال المعرفة المتمثل في العقل والوحي .

٤ - تحديد مصدري المعلومات اليقينية في دراسة النفس الإنسانية - القرآن والسنة .

٥ - معرفة إسهامات العلماء المسلمين في إثراء الدراسات النفسية .

٦ - تحديد أسس ومبادئ علم النفس الغربي .

٢ - على المتخصصين في مجال الدراسات النفسية والمهنيين من علماء ، وأساتذة ، وأطباء ، وأخصائيين نفسيين ضرورة تعميق مفهوم طبيعة النفس الإنسانية في أنفسهم وفي الآخرين ، كما صورها القرآن الكريم وأكنتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما للقدوة من أثر كبير على الآخرين فكان من الضروري أن يكون هذا المتخصص متسقاً مع نفسه ليكون نموذجاً طيباً لمن يتعلم منه ، ولمن يقوم بإرشاده وعلاجه .

٣ - على الباحثين المتخصصين التعمق في كشف الكنوز التي تذخر بها مصادر التشريع الإسلامي (القرآن الكريم والسنة المطهرة ، الاجتهاد ، القياس ، ...) من أجل تفسير مكنون الآيات ، وتوجيهات الأحاديث الشريفة ، وإجتهادات العلماء عن النفس الإنسانية وربطها بخالقها، بشرح أسرار خلق الإنسان .

٤ - التركيز على الدوافع والانفعالات الإنسانية والاستفادة منها باعتبارها أساس بنائي للسلوك الإنساني التي تبنى عليها موجبات السلوك الإنساني ، حتى تستقيم طبيعة النفس البشرية لتكـون خلقة لها قيمة في حياتها الدنيوية ، من أجل تعريف الإنسان المسلم وغير المسلم بأن طبيعة خلقه توجب عليه عبادة خالقه من خلال إتساق أخلاقي متبصر مدعوم بالتوجيهات القيمية للجوانب التي تقود الدوافع والانفعالات نحو الخير ، بالصبر في كل شيء ، وبكثرة الخوف من الله وكثرة العفو والصفح ، وكثرة الحلم وكظم الغيظ ، والقناعة بالموجود ، واحترام الناس ، وقبول

المواظب وعدم الحسد ، وسد باب الغيبة في الناس وكتمان الأسرار ، والإنشغال بعيوب النفس عن عيوب الناس ، وترك العداوة والبغضاء والتواضع عن رفعة ، والتوسط والاعتدال في مصاحبة الناس ، مع الصمت والنطق بالحكمة لتكوين الشخصية الإسلامية المتزنة المتمتعة بصحة نفسية عالية .

٥ - إن النظرة إلى وجوب تأصيل المفهوم الإسلامي للعلوم عامة ، ولعلم النفس خاصة ؛ وفق خطوات منهجية هي عبادة في حد ذاتها . لأنها سبيل يهدف إلى تقريب العبد لخالقه من خلال معرفته لماهية وجوده خلقه في هذه الدنيا . عليه فإن الباحثة تدعو الباحثين المتخصصين إلى ضرورة إجراء دراسات متعمقة لخصائص الطبيعة الإنسانية الثلاثة (النفس ، والجسم ، والروح) كل في مجال إحترافه ، بما يؤدي إلى فهم أعمق لما ينبغي أن يكون عليه سلوك الإنسان المسلم ، بأسلوب يستطيع معه غير المسلم من التفكير الذي يقود به نحو ؛ أن يكون مسلماً ، لينعم بما ينعم به المسلم في الدنيا والآخرة .

٦ - لما كانت وظائف النفس والجسم لا يمكن أن تُمارس إلا بوجود المكون الثالث للطبيعة الإنسانية وهو الروح الذي أسنأثر الله عز وجل بعلمه ، هذا المكون يُكمل تشكيل العلوم على اعتبار أنها حقائق إلهية . ولما كانت الروح تمثل حقيقة واحدة مع مكوني النفس والجسم . وحيث أن الحقيقة تشق وجودها من الله الذي هو خالقها ومسببها ؛ كما تشق معناها وقيمتها من إرادته جل وعلا التي تعدُّ غايتها وغرضها النهائي . لذا كان من الضروري على المتخصصين من الباحثين ، والعلماء المسلمين في مجال الدراسات النفسية ضرورة ربط تلك الحقائق بمقتضى تحقيقها أو عدم تحقيقها للقيمة - والقيمة هنا هي الغاية من وجود الإنسان أو من خلقه - وفعالية

ذلك يمكن وصفها بأنها صياغة للإرادة الإلهية . لذلك تدعوا الباحثة بدراسة المكونات الثلاثة لطبيعة الإنسان في إطار تحقيقها للقيم من عدمها ، لكي يكون لحياة الإنسان معنى .

أما ما يقوم به الباحثون الغربيون من دراسة لمكوني النفس والجسم فقط دون ربطه بمكون الروح يحقق مبدئهم في علمنة العلوم — أي فصل العلم عن الدين — وذلك بإهمالهم مكون الروح بشكل يجعل العلوم الغربية ناقصة عن تحقيق الغايات السامية لخلق الإنسان .

٧ — إن التأسيس الإسلامي لعلم النفس يحقق المبدأ الخاص بالفكر الإسلامي الذي هو تكامل لمكونات طبيعة النفس الإنسانية عن طريق توثيق صلة الناحية الروحية للنفس البشرية التي تشكل فاعلية النفس التي في الجسد ، وهي التي تميز سائر العلوم وعلم النفس خاصة ليكون علم نفس إسلامي خادماً للبشرية جمعاء .

٨ — على المؤسسات البحثية في المملكة العربية السعودية وبقية دول العالم الإسلامي وغيرها مثل : — رابطة العالم الإسلامي ، هيئة الإعجاز العلمي — مكة المكرمة .

— جامعة أم القرى ، مركز العلوم التربوية والنفسية ، مكة المكرمة .

— مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، الرياض .

— الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية ، الرياض .

— المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

ضرورة الاهتمام بما يلي :

أ — عقد الندوات والمؤتمرات المحلية والدولية التي يشارك فيها متخصصون في

العلوم الشرعية والفقه وأصوله ، ويكون لديهم إلمام كاف بعلوم النفس

البشرية ، من أجل مناقشة ما حوته الدراسة الحالية من دراسات ونتائج حول التأصيل للتعرف على نقاط الضعف والقوة فيها ؛ لرفعها إلى مقامها الأسمى، وتقوية ذلك بدراسات متخصصة هدفها خدمة الإسلام والمسلمين ، ثم لترغيب غير المسلمين من خلال توضيح حكمة الخالق الواحد في أصل هذا الخلق ، وتطوره خاصة في مرحلته الجنينية التي فيها سر الخلق ، لمعرفة عظمة الخالق ، ولربط الخلق بالصاحب الأوحد لهذه العظمة . وكذلك بهدف إيجاد توحيد فكري متكامل نحو عمليات التأصيل الإسلامي لعلم النفس.

بـ — ترجمة الجهود التأصيلية إلى لغات متعددة .

جـ — تعديل المصطلحات النفسية الغربية التي لا تتوافق مع معايير الأصول الإسلامية .

د — أن تكون الدراسات التأصيلية بعيدة عن التتظير ، في بعدها نحو تعيين مجالات تطبيقها لتكون مباديء حقيقية للسلوك .

هـ — تنظيم لقاءات علمية مستمرة مع علماء النفس الغربيين والمؤسسات المعنية لإيجاد تقارب علمي يقود البشرية نحو أسمى غايات وجودها في الدنيا من خلال مدارس مراحل الارتقاء النفسي في مجال علم النفس الإرتقائي ؛ لتعريف العلماء الغربيين بأنه لما كان العقل هو المحرك الإنساني الأول ، فإنه بالضرورة شرح كيفية إتمام إتصال الإنسان بالمعقولات ، حيث يكون

الشعور بالصورة الروحانية من أجل أنها إدراكات لموضوعات هي أجسام محسوسة لهذا الوجود؛ ولتعريفهم بأن البحث في الجسم والنفوس بدون الروح يعتبر في إطار البحث العقيم ، عليه فإن الأمر هو تنظيم الفكر ليتحقق المعقول .



٢٩٤

المراجع

فهرس مصادر ومراجع الدراسة

أولاً : المصادر

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - أحمد ، أبي عبد الله أحمد . (د . ت) . مسند أحمد . بيروت : المكتبة العصرية .
- ٣ - البخاري ، أبي عبد الله محمد . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . القاهرة : دار الريان .
- ٤ - الترمذي ، محمد بن عيسى . (د . ت) . سنن الترمذي . بيروت : دار الكتب العلمية .
- ٥ - الدارمي ، أبي محمد عبد الله . (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) . سنن الدارمي . بيروت : دار الفكر .
- ٦ - أبي داود ، سليمان ابن الأشعث . (د . ت) . سنن أبي داود . بيروت : المكتبة العصرية .
- ٧ - ابن ماجه ، أبي عبد الله القزويني . (د . ت) . سنن ابن ماجه . بيروت : دار الكتب العلمية .
- ٨ - مسلم ، أبي الحسين . (د . ت) . صحيح مسلم . بيروت : دار المعرفة .
- ٩ - مالك ، أبو عبد الله . (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) . موطأ الإمام مالك . بيروت : دار النفائس ، الطبعة الحادية عشرة .
- ١٠ - النسائي ، أحمد شعيب . (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) . سنن النسائي . بيروت : دار المعرفة ، الطبعة الثالثة .

ثانياً : المعاجم

- ١١- عبد الباقي ، محمد فؤاد . (١٣٦٤هـ - ١٩٤٤م) . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . القاهرة : دار الكتب المصرية .
- ١٢- عبد الباقي ، محمد فؤاد . (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م) . المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي . ليدن : مطبعة بريل .
- ١٣- ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل . (د . ت) . لسان العرب . القاهرة : دار المعارف .

ثالثاً : المراجع

- ١٤- أسعد ، يوسف ميخائيل . (د . ت) . المشكلات النفسية . القاهرة : دار نهضة مصر .
- ١٥- أمزيان ، محمد . (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) . منهج البحث الإجتماعي بين الوضعية والمعيارية . سلسلة الرسائل الجامعية . الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي .
- ١٦- أيوب ، حسن . (د . ت) . السلوك الاجتماعي في الإسلام . بيروت : دار الندوة الجديدة .
- ١٧- بار ، عبد المنان ملا . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) . العلاج النفسي في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية . مكة المكرمة : المكتبة المكية .
- ١٨- البار ، محمد علي . (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) . خلق الإنسان بين الطب والقرآن . جدة : الدار السعودية للنشر ، الطبعة السابعة .
- ١٩- بدري ، مالك . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) . علم النفس الحديث من منظور إسلامي .

قضايا المنهجية والعلوم السلوكية . واشنطن : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢٠- البوطي ، محمد سعيد . (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) . الإسلام ملاذ كل المجتمعات

الإنسانية . سوريا : دار الفكر .

٢١- التميمي ، عز الدين - سمرين ، بدر إسماعيل . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) . نظرات في

التربية الإسلامية . عمان : دار البشير .

٢٢- بن تيمية ، أحمد . (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) . مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن

تيمية . الرياض : عالم الكتب .

٢٣- جابر ، جابر عبد الحميد - كاظم ، أحمد خيرى . (١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م) . مناهج

البحث في التربية وعلم النفس . القاهرة : دار النهضة العربية ، الطبعة الثانية .

٢٤- الجاعوني ، تاج الدين محمود . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) . الإنسان - أطوار خلقه

وتصويره في الطب والقرآن - عمان : دار عمار .

٢٥- الجمال ، حمد بن صادق . (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) . إتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر

في مصر . الرياض : عالم الكتب .

٢٦- ابن الجوزي ، أبو الفرج بن علي . (د . ت) . كتاب الأَنْكِيَاء . بيروت : المكتب

التجاري .

٢٧- الجوزيه ، ابن القيم . (د . ت) . تهذيب مدارج السالكين . دبي : دار المنطلق .

٢٨- الجبوشي ، محمد ابراهيم . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) . خصائص التربية في الإسلام .

المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية . القاهرة : المركز العام لجمعيات الشبان

المسلمين العالمية .

٢٩- حامد ، حامد أحمد . (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . رحلة الإيمان في جسم الإنسان ، دمشق :

دار القلم .

٣٠- حسن ، عزت محمد . (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) . نعمة الله في خلق الإنسان كما يصوره

القرآن الكريم . الرياض : مكتبة المعارف .

٣١- أبو حطب ، فؤاد . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) . علم نفس النمو من منظور إسلامي . المجلة

التربوية الإسلامية . السنة الأولى ، العدد الأول القاهرة : الجمعية التربوية الإسلامية .

٣٢- أبو حطب ، فؤاد . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) . نحو وجهة إسلامية لعلم النفس . أبحاث

ندوة علم النفس القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٣٣- حتمي ، مصطفى . (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) . مناهج البحث في العلوم الإنسانية .

الإسكندرية : دار الدعوة ، الطبعة الثانية .

٣٤- حمادة ، البخاري . (د . ت) . العالم الإسلامي والدراسات النفسية المعاصرة . ملتقى

الفكر الإسلامي العشرون . الجزائر : وزارة الشؤون الدينية .

٣٥- حمزة ، مختار . (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) . مبادئ علم النفس . جدة : دار البيان ،

الطبعة الثالثة .

٣٦- الخطيب ، محمد الأمين . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) . علم النفس بين الأصالة والتبعية .

جدة : دار المطبوعات الحديثة .

٣٧- خياط ، محمد جميل . (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) . المبادئ والقيم في التربية الإسلامية .

مكة المكرمة : جامعة أم القرى .

٣٨- دافيدوف ، لندال . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) . مدخل علم النفس . القاهرة : الدار الدولية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة .

٣٩- الدباغ ، عفاف إبراهيم . (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . المنظور الإسلامي لتفسير المشكلات الفردية . أبحاث ندوة الخدمة الاجتماعية في الإسلام . القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٤٠- الدمشقي ، علي بن علي . (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) . شرح العقيدة الطحاوية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة عشر .

٤١- الرازي ، فخر الدين . (د . ت) . التفسير الكبير . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة .

٤٢- رزوق ، اسعد . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) . موسوعة علم النفس . بيروت : المؤسسة العربية ، الطبعة الثالثة .

٤٣- زريق ، وليد عبد الله . (د . ت) . خواطر الإنسان بين منظاري علم النفس والقرآن . دمشق : دار الكتاب العربي .

٤٤- زريق ، معروف . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٩م) . علم النفس الإسلامي . دمشق : دار المعرفة .

٤٥- الزعبلوي ، محمد السيد . (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) . تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس . بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية .

٤٦- الزنتاني ، عبد الحميد . (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) . فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة . ليبيا : دار العربية للكتاب الإسلامي .

٤٧- الزين ، سميح عاطف . (١٤١١هـ - ١٩٩١م) . معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة . القاهرة : دار الكتاب المصري .

٤٨- السعدي ، داود سلمان . (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) . أسرار خلق الإنسان - العجائب في الصلب والترائب . بيروت : دار الحرف العربي .

٤٩- أبو سليمان ، عبد الحميد . (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) . الفكر الأصولي . جدة : دار الشروق ، الطبعة الثانية .

٥٠- أبو سليمان ، عبد الحميد . (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) . قضية المنهجية في الفكر الإسلامي . الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٥١- السمالوطي ، نبيل محمد . (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) . الإسلام وقضايا علم النفس الحديث . جدة : دار الشروق ، الطبعة الثانية .

٥٢- السيد وآخرون ، عبد الحلیم محمود . (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) . علم النفس العام . القاهرة : دار غريب ، الطبعة الثالثة .

٥٣- السيد ، عبد الحلیم محمود . (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) . نحو خطة منظمة ومتكاملة للتأصيل الإسلامي للدراسات النفسية . رسالة التربية وعلم النفس ، العدد الخامس .

الرياض : الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية .

٥٤- الشرقاوي ، حسن محمد . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م) . نحو علم نفس إسلامي .

الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، الطبعة الثانية .

٥٥- الشرقاوي ، موسى علي . (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) . نظريات تفسير الطبيعة الإنسانية

— دراسة تحليلية نقدية في ضوء مفهوم هذه الطبيعة في القرآن الكريم — رسالة دكتوراه
في الفلسفة في التربية . غير منشورة . جامعة الزقازيق : كلية التربية . قسم أصول التربية .

٥٦- الشريف ، عدنان . (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) . من علوم الأرض القرآنية . بيروت : دار

العلم للملايين ، الطبعة الثانية .

٥٧- الشناوي ، محمد محروس . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) . الإرشاد النفسي من منظور

إسلامي . أبحاث ندوة علم النفس . القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٥٨- صالح ، سعد الدين . (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) . البحث العلمي ومناهجه النظرية - رؤية

إسلامية . جدة : مكتبة الصحابة ، الطبعة الثانية .

٥٩- الصاوي ، عبد الجواد . (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) . أطوار الجنين ونفخ الروح . مجلة

الإعجاز العلمي ، مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، العدد الثامن .

٦٠- الصباب ، أحمد . (١٣٩٩هـ - ١٩٨٤م) . الأسلوب العلمي في البحث . جدة : جامعة

الملك عبد العزيز .

٦١- الصنيع ، صالح إبراهيم . (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) . تأصيل المقررات الدراسية في علم

النفس . رسالة التربية وعلم النفس ، العدد الخامس . الرياض : الجمعية السعودية للعلوم

التربوية والنفسية .

٦٢- طباره ، عفيف عبد الفتاح . (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) . روح الدين الإسلامي . بيروت :

دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة والعشرون .

٦٣- طبري ، ابي جعفر محمد . (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) . جامع البيان في تفسير القرآن .

بيروت : دار المعرفة .

٦٤- طبري ، ابي جعفر محمد . (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) . جامع البيان في تأويل القرآن .

بيروت : دار المعرفة .

٦٥- طه ، تيسير وآخرون . (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) . أساليب تدريس التربية الإسلامية .

عمان : دار الفلك .

٦٦- طيفور ، ماجد . (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) . روعة الخلق - أسرار كينونة الجنين .

بيروت : الدار العربية للعلوم .

٦٧- عبد الجابر ، محمد محمود . (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) . الإسلام وعلم النفس ،

الرياض : مكتبة الصفحات الذهبية .

٦٨- عبد الصمد ، محمد كامل . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، الطبعة الثانية . الإعجاز العلمي

في الإسلام . القاهرة : الدار المصرية اللبنانية .

٦٩- عبد العال ، حسن . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) . مقدمة في فلسفة التربية الإسلامية .

الرياض : عالم الكتب .

٧٠- عبد العزيز ، أمير . (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) . الإنسان في الإسلام . الأردن : دار

الفرقان ، الطبعة الثانية .

٧١- عبد الله ، عبد الرحمن صالح . (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) . المنهاج الدراسي . الرياض :

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

٧٢- عبد الله ، عبد الرحمن صالح. (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) . الموضوعية في العلوم التربوية

- رؤية إسلامية . سلسلة المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية . المملكة العربية

السعودية : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الثانية .

٧٣- عبود ، عبد الغني - عبد العال ، حسن . (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) . التربية الإسلامية

وتحديات العصر . القاهرة : دار الفكر العربي .

٧٤- عدس ، عبد الرحمن - توفيق ، محيي الدين . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) . المدخل إلى علم

النفس . أمريكا : دار وايلي ، الطبعة الثانية .

٧٥- عز الدين ، توفيق محمد . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) . دليل الأنفس بين القرآن الكريم

والعلم الحديث . حلب : دار السلام للطباعة .

٧٦- عز الدين ، توفيق محمد . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) . الآفاق التي يفتحها القرآن الكريم

للبحث النفسي . أبحاث ندوة علم النفس . القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٧٧- عقل ، محمود عطا . (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) . النمو الإنساني . الرياض : دار

الخريجي ، الطبعة الثانية .

٧٨- عقل ، محمود عطا . (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . الإرشاد النفسي والتربوي . الرياض :

دار الخريجي .

٧٩- عكاشة ، أحمد . (١٣٩٤هـ - ١٩٧٢م) . التشريح الوظيفي للنفس . مصر : دار

المعارف .

٨٠- علوان ، عبد الله ناصح . (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) . تربية الأولاد في الإسلام . القاهرة : دار السلام ، الطبعة التاسعة .

٨١- العلواني ، طه جابر . (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم . القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٨٢- علي ، هاشم محمد . (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) . المنهاج في المهلكات والمنعطفات والأعداد . الكويت : دار البيان ، الطبعة الثانية .

٨٣- علي ، هاشم محمد . (١٤١٧هـ - ١٩٩٠م) . المنهاج الإسلامي . الدوحة : دار الثقافة .

٨٤- عيسى ، محمد رفقي . (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) . نحو أسلمة علم النفس . مجلة المسلم المعاصر . بيروت : مؤسسة المسلم المعاصر ، ربيع الثاني - جماد الثاني .

٨٥- العيسوي ، عبد الرحمن . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) . الإسلام والعلاج النفسي . الإسكندرية : دار الفكر الجامعي .

٨٦- الغزالي ، محمد أبو حامد . (د . ت) . إحياء علوم الدين . بيروت : دار المعرفة .

٨٧- قارد ، بريان . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) . موسوعة جسم الإنسان . القاهرة : المركز العالمي للموسوعات .

٨٨- ابو الفضل ، منى عبد المنعم . (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) . نحو منهجية للتعامل مع مصادر التنظير الإسلامي . سلسلة المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية .

الرياض : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، والدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة

الثانية .

٨٩- القرضاوي ، يوسف . (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) . الإيمان والحياة . بيروت : مؤسسة

الرسالة ، الطبعة السادسة عشر .

٩٠- قطب ، سيد . (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) . في ظلال القرآن . القاهرة : دار الشروق ،

الطبعة السابعة .

٩١- قطب ، سيد . (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) . خصائص التصور الإسلامي ومقوماته .

القاهرة : دار الشروق .

٩٢- قطب ، محمد . (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) . منهج التربية الإسلامية . القاهرة : دار

الشروق ، الطبعة العاشرة .

٩٣- قناوي ، هدى محمد . (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) . حقوق الطفل بين المنظور الإسلامي

والمواثيق الدولية . القاهرة : مكتبة الانجلو .

٩٤- القوز ، أنس عبد الحميد . (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) . تأملات ابن القيم في النفس والآفاق .

الرياض : دار الهدى ، الطبعة الثانية .

٩٥- الكناني وآخرون ، ممدوح . (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) . المدخل إلى علم النفس .

الكويت : مكتبة الفلاح .

٩٦- محمد ، محمد عودة - مرسي ، كمال إبراهيم . (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) . الصحة

النفسية في ضوء علم النفس والإسلام . الكويت : دار القلم ، الطبعة الثانية .

٩٧- محمد ، محمد محمود . (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) . علم النفس المعاصر في ضوء

الإسلام . جدة : دار الشروق ، الطبعة الثالثة .

٩٨- محمود ، عبد الحليم . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) . نحو دستور عمل لعلماء النفس

المسلمين . ابحاث ندوة علم النفس . القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٩٩- محمود ، حمدي شاکر . (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) . مبادئ علم نفس النمو في الإسلام .

حائل : دار الأندلس .

١٠٠- محمود ، مصطفى . (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) . علم نفس قرآني جديد . القاهرة :

مطابع أخبار اليوم .

١٠١- مرسي ، كمال إبراهيم . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) . تتمية الصحة النفسية - مسئوليات

الفرد في الإسلام وعلم النفس . القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٠٢- المطرودي ، عبد الرحمن إبراهيم . (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) . الإنسان وجوده وخلافته

في الأرض في ضوء القرآن الكريم . القاهرة : مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية .

١٠٣- المقري ، أحمد محمد . (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) . تربية النفس الإنسانية في ظل

القرآن الكريم . جدة : دار حافظ .

١٠٤- الملا ، أحمد علي . (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) . عالمية الإسلام . دمشق : دار قتيبة .

١٠٥- المليجي ، حلمي . (١٣٩٤هـ - ١٩٧٢م) . علم النفس المعاصر . بيروت : دار

النهضة العربية ، الطبعة الثانية .

١٠٦- المنزري ، الحافظ أبي محمد زكي الدين . (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) . الترغيب

والترهيب . بيروت : دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة .

- ١٠٧- منصور وزملاؤه ، عبد المجيد . (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) . علم النفس التربوي .
الرياض : مكتبة العبيكان ، الطبعة الثالثة .
- ١٠٨- ناصر ، إبراهيم . (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) . أسس التربية . عمان : دار عمار ،
الطبعة الثانية .
- ١٠٩- نجاتي ، محمد عثمان . (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) . الحديث النبوي وعلم النفس .
القاهرة : دار الشروق .
- ١١٠- نجاتي ، محمد عثمان . (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) . منهج التأصيل الإسلامي لعلم النفس .
أبحاث ندوة علم النفس . القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
- ١١١- نجاتي ، محمد عثمان . (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) . القرآن وعلم النفس . القاهرة : دار
الشروق ، الطبعة السادسة .
- ١١٢- نجاتي ، السيد - محمد عثمان ، عبد الحليم محمود . (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) . علم النفس
في التراث الإسلامي . القاهرة : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
- ١١٣- النحلوي ، عبد الرحمن . (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) . أصول التربية الإسلامية
واساليبها . بيروت : دار الفكر المعاصر ، الطبعة الثانية .
- ١١٤- النحلوي ، عبد الرحمن . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) . التربية الإسلامية والمشكلات
المعاصرة . الرياض : المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية .
- ١١٥- النغمشي ، عبد العزيز محمد . (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) . الإرشاد النفسي : خطواته
وكيفيته - نموذج إسلامي . الكتاب السنوي الثاني للتوجيه والإرشاد الطلابي في التعليم .

الرياض : الجمعية السعودية للعلوم التربوية و النفسية .

١١٦- الهاشمي ، عبد الحميد. (د . ت) . علم النفس في التصور الإسلامي . مكة المكرمة :

مركز التعليم الإسلامي ، جامعة أم القرى .

١١٧- الهاشمي ، عبد الحميد. (١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) . لمحات نفسية في القرآن الكريم .

مكة المكرمة : الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي .

١١٨- الهاشمي ، عبد الحميد . (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) . أصول علم النفس العام . جدة :

دار الشروق .

١١٩- الوقفي ، راضي (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) . مقدمة في علم النفس . عمان : دار

الشروق، الطبعة الثالثة .

١٢٠- يالجن ، مقداد . (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) . بناء البيت السعيد في ضوء الإسلام .

الرياض : دار المريخ .

١٢١- الموسوعة الحديثة . (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) . إيطاليا : كريمونا .